ملخص دروس الجهاد
لـ الإمام الشهيد البوطي

مشاركة : فاطمة حكيمة

(الدرس 1) مقدمة

تحدث الشيخ أولا عن أسباب اختياره لهذا الموضوع بعد أن استخار الله تعالى فشرح صدره لهذا الموضوع، واستشار كثيرين فأشاروا له بأهمية الموضوع وما له من فوائد كثيرة :

أسباب اختيار هذا الموضوع:

ـ إن أسلوب التصدي للإسلام والوقوف في وجهه تطور وتغيرًا كبيرًا، حيث فيما مضى استعمل أسلوب الهجوم عليه من الخارج، فمثلا كان الإسلام يوصف بالبعد عن العلم، ويوصف بالرجعية، وهؤلاء الذين يحاربون الإسلام يلحون على أنه دين فارغ عن العلم، وأن العلم لابد أن يلزم الإنسان بالإلحاد، ووجدت من المؤلفات ما يعمق الفكر الإلحادي وأن هذا الكون مادة، وإلى مادة سينتهي، ولا إله في الكون، ويرددون فكرة ماركس في هذا. وفيما بعد اختفى هذا الأسلوب ووجد من حذر منه .ذلك لأنه أسلوب تبين لهم بعد التجربة أنه لم يفدهم شيئا، بل أثار ردود فعل لدى المسلمين وهيجهم لدفاع عن وجودهم بدافع ردة الفعل. والزعيم الشيوعي الإيطالي" توليابتي" كتب وصية قبل موته يوصي كل ملاحدة العالم، وفي مقدمتهم الشيوعيون بتغير الأسلوب المتبع للهجوم على الإسلام ويوصي :" بأن يحارب الإسلام من داخله وأن لا يحارب بالهجوم عليه، وانتشرت هذه الوصية في الواقع، ووثق بها كل العاملين ضد الإسلام، سواء من الغربيين أو من المعسكر الشرقي آنذاك .

والأسلوب الجديد هو: أن يرتدي الجنود المكلفون بالكيد للإسلام وبمحاربة الإسلام بأن يرتدوا أقنعة الإسلام، وأن يظهروا في المجتمعات الإسلامية بأنهم مسلمون، وبأنهم غيارا على دين الله سبحانه وتعالى، وعليهم أن يجندوا من المسلمين جنودا معهم، إن بواسطة استغفالهم والخداع لهم، أو بواسطة شراء أفراد منهم وإن علموا الحقيقة " هذه الخطة هي التي تتبع الآن، وكثيرا من الذين ألحدوا بالأمس، أطلقوا اليوم اللحى وارتدوا مسوح الإسلام، ودربوا في دورات إسلامية بطريقة التي لا تشعر بأنهم كاذبون في إسلامهم، هذا شيء موجود ومعروف، وهؤلاء قد أغمدوا أسلحتهم السابقة، ويحاولون اليوم الدخول ضمن دائرة الإسلام ثم العبث بالإسلام من داخله وباسم الإسلام .وتعددت أساليبهم في ذلك منها :

أسلوب1: كأن يقولوا علينا أن نحكم كتاب الله فقط فا فيه حل لكل شيء ويغني عن كل شيء، ولا داعي لسنة فا فيها الصحيح والضعيف وفيها الباطل والمنكر والموضوع ...، والسنة تجعل المسلمون يتيهون في فجاج مختلفة متنوعة، ولذلك فإن أقصر وأيسر طريق للعودة إلى الإسلام الرجوع إلى كتاب الله ونبذ السنة

أسلوب 2: يأتي أيضا من يظهر الغيرة على دين الله سبحانه، والاهتمام البالغ على أن يكون الدين هو الحكم الأوحد في حياة المسلمين، والسبيل هو إخضاع القرءان لما يسمى بالقراءة المعاصرة. وهذا كيد جديد للإسلام يتجه إليه من الداخل، وكل عاقل لما يفكر في هذا فإنه يكشف بفضل الله وتوفيقه الزيف والخداع. وتتساءل لماذا لا يخضعون التاريخ للقراءة المعاصرة، أو كتب الفلسفة القديمة، أو كتب علم النفس القديمة، أو فن الأدب الجاهلي كمعلقة امرئ القيس ؟ إطلاقا بل يدرسونها على قواعد اللغة العربية كما كانت تفهم في ذلك العصر. إلا القرءان أرادوا إخضاعه للقراءة المعاصرة لكي يتسنى اللعب بالقرءان والعبث به وتفريغه من أحكامه، ثم ترك اسم القرءان كما هو شكل قد أفرغ من مضمونه.

أسلوب 3:تجد أناس يغارون على الإسلام بشكل كبير جدا،و ينادون بضرورة تحكيم الإسلام والرجوع إليه،ولكن تجدهم يقولون يجب تجديد الإسلام، هذا بدل أن يقولوا أنَّ الإسلام غير صالح وعلينا أن نستبدل به نظاما جديدا، وهذا الكلام إذا قيل لأثار في صدور المسلمين غضبا. وأي واع يستطيع أن يكتشف زيغ هؤلاء. ونقول لهؤلاء أن الفقه الإسلامي يحمل بذور تطوره في داخله، والذين يرعون ذلك هم الفقهاء المجتهدون، الأمناء على دين الله، وهؤلاء لو قالوا ذلك فالكل يصغي إليهم.

هذه نماذج من الكيد الداخلي ضد الإسلام باسم الإسلام، ومن جملة الوسائل الكيد لأخطر حكم من أحكام الشريعة الإسلامية، وأبقى هذه الأحكام على مر العصور ألا وهو حكم الجهاد. ومند أن وجد الإستشراق في العالم كله، أي مند عقد مؤتمر بال بسويسرا إلى اليوم فإن أخوف ما يخافه أعداء الإسلام في الإسلام هو الجهاد، حيث لما كان الإسلام يحارب من الخارج هنالك من دعا إلى ضرورة نسخ شرعة الجهاد ولا داعي له، قائلين أن هيئة الأمم المتحدة اليوم أصبحت تقوم مقام شرعة الجهاد وكونها منظمة تنصف لأي دولة استضعفت، هذا وجد لما كان الإسلام يحارب من الخارج، فنظرت بريطانيا فوجدت أن هذه الطريقة لم تفد، كونها أثارت ردود فعل عند المسلمين والجهاد لم يقضى عليه لا في أدمغة المسلمين ولا في واقعهم. ولما تبدلت الطريقة كليا والتي ينبغي أن

يحارب الإسلام من خلالها، واجتمعت كلمة أعداء الله في الغرب والشرق على أن الإسلام يجب أن يحارب من داخله وباسمه، أيضا طورت المكيدة ضد الجهاد بهذه الطريقة، فجاء من يسعى للقضاء على الجهاد وتمزيق باب الجهاد في الشريعة الإسلامية، وهذا بأسلوب مختلف عن القديم، وذلك بوضع صورة مزيفة للجهاد بحيث تشرئب إليها أعناق المسلمين جميعا ويشغلون بها، وأثناء ذلك يتم القضاء على الجهاد الحقيقي الذي شرعه الله سبحانه تعالى ، والمخططون لهذا هم نخبة من الصهاينة من وراء ستار. وهذا هو الواقع الذي نعيشه الآن .

لهذا علينا أن نسلك أقرب طريق علمي لفضح هذه الخطط كلها، وإذا قضي على الجهاد بهذه الطريقة فإنه قد قضي على هذه الأمة إلى اضمحلال لا رجعة من بعده إلى أي تفوق أو تماسك. والوحدة هي السبيل الوحيد لتحصين الأمة من كل المكائد التي تحاط بها من هنا وهناك.وهذه هي الأسباب التي دعتني إلى دراسة باب الجهاد في الشريعة الإسلامية، دراسة مفصلة مستوعبة، وبهذا يتضح لنا حكم الجهاد وتتضح لنا تلك الخطط وقد آلت إلى الكشف والعراء، ومن تما نكون إن شاء الله في نجوة عن الوقوع في أسر هذه الخطط .

العالم العربي مستهدف، وهذه البقعة المباركة (ويقصد الشام وكلامه هذا منذ 16 سنة) مستهدفة أضعاف البقاع الأخرى وينبغي أن نعلم هذه الحقيقة.

ـ ونتساءل هل ما يقع ما بين المسلمين اليوم في معنى الجهاد؟ كما يرسم له و كما يعلن عنه ؟ مثال ذلك ما يقع في الجزائر أيام التسعينيات، وأفغانستان. (والدروس سجلت عام 1996 أيام الفتنة في الجزائر) وهل هذا الذي يجري داخل أي دولة إسلامية بين المسلمين بعضهم مع بعض أيا كان يسمى جهادا ؟؟ إن كان هذا جهادا فعلينا أن نخطئ كلام الله، وكلام رسول الله ﷺ. ويقول الله عز وجل :" **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** " تهدد الله عز وجل هذه الأمة أن يأتي يوم من الأيام أن يكون عقابها أن يذيق بعض أفرادها بأس بعض، إذن هنا لم يسميه الله تعالى جهادا، أو ننظر إلى الحديث الصحيح الوارد عن رسول الله ﷺ في أكثر من طريق وكلها صحيحة، وخلاصة الحديث أن رسول الله ﷺ دعا ربه عدة أدعية، دعا أن لا يهلك الله هذه الأمة بسنةٍ عامةٍ، فاستجاب الله له، ودعا أن لا يجتث شأفتها بعامة عن طريق عدو يسلط عليها فاستجاب الله دعاءه، ودعا أن لا يجعل الله بأس هذه الأمة بينها فلم يستجب دعاءه، وأوحى

الله عز وجل أن عقاب هذه الأمة لن يكون كما كان عقاب الأمم السابقة عند انحرافها. وإنما يكون بأن يذيق بعضهم بأس بعض. إذن هذا الذي يحدث لم يسميه الله ولا رسوله بالجهاد. وهذا الذي يحدث اليوم إنما يستهدف منه الجيل المسلم الذي يتمتع بالصحوة الإسلامية، والتي تجابه بخطة متفرعة إلى عدة وسائل وفروع، ومنها التلاعب في أحكام الإسلام باسم الإسلام، وإثارة المسلمين بعضهم ضد بعض عن طريق إثارة المشكلات البسيطة .. وغيرها من الوسائل المرسومة، ومنها خاصة التلاعب بشرعة الجهاد. ولهذا ينبغي أن ندرس الجهاد، وعلينا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وما اتفق عليه فقهاء هذه الشريعة المحمدية، وما ذكر العلماء، وبهذا نجد أننا قد عرينا هذه الخطة، وهذا هو سبب دراستنا للجهاد .

وينصح الشيخ أن يكون وعينا منسجما مع واقعنا، وعلينا أن نكون على علم بما يخطط لنا، والمكائد التي تدبر .

معنى الجهاد في دين الله سبحانه وتعالى: ندرس أحكام هيكل الجهاد بصورة عامة، وبعد ذلك يكون الشرح التفصيلي للجهاد. استقر في أذهان كثير من مسلمي هذا العصر أن كلمة الجهاد حيثما أطلقت، إنما يراد منها معنًا واحد ألا وهو الجهاد القتالي، والواقع أن هذا نوع من أنواع أقدس أنواع الجهاد، وهذا عندما تتحقق شروطه، وعندما يتحقق ظرفه. ولكن هل الجهاد محصور بهذا المعنى؟ فالواقع أن الجهاد له أكثر من معنا واحد

ـ فالجهاد هو بذل الجهد أيا كان نوعه في سبيل الانتصار لدين الله عز وجل، بذل الجهد بلسان دعوة إلى الله وتطبيقا لشرعه جهاد، بذل المال في سبيل الانتصار لدين الله عز وجل جهاد، خروج الإنسان واقتحامه المخاطر من أجل إبلاغ كلمة الله هنا وهناك جهاد، حمله السلاح ودفاعه عن دين الله سبحانه وتعالى لنشر كلمة الله في الأفاق وفي القلوب جهاد، إذن كل هذا في الواقع جهاد .

لما كان رسول الله ﷺ في مكة قبل الهجرة لم يكن هنالك جهاد قتالي، ولم يكن قد شرع بعد، وعندها كانت كلمة الجهاد متداولة في القرءان، حيث يقول الله تعالى في سورة الفرقان وهي مكية :" فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا " يعني جاهد الكفار بالقرءان، تفسيرا وشرحا له واصبر علة إيذائهم وكيدهم. ويقول أيضا في مكان أخر ورسول الله في مكة :" ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ " والحديث عن هجرة المسلمين إلى الحبشة . وقوله تعالى :" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ " إذن كلمة الجهاد كانت موجودة عندما كان رسول الله في مكة، ويقصد بها، الجهاد التبليغي، أي جهاد

الدعوة وفيه جهاد بالصبر لمكائد العدو. ولنصغي أيضا إلى كلام رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن الجهاد، ويوضح لنا أن أعظم الجهاد الذي يتقرب به الإنسان إلى الله عز وجل هو كلمة حق عند سلطان جائر، وأيضا في حديث أخر يرويه أبي داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم :" أفضل جهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله تعالى " إذن هنالك أنواع أخرى من الجهاد غير الجهاد القتالي .

نتساءل أي أنواع الجهاد كان أساسا للأنواع الأخرى ؟ هل الجهاد القتالي كان الأساس والمنطلق لجهاد الدعوة واللسان ؟ أم كان العكس ؟ الجواب أن جهاد الدعوة وجهاد التبليغ، وجهاد الصبر على المكائد التي تصلني وأنا أدعو إلى الله، كان هو الأساس والمنطلق للجهاد القتالي. وهذا لأنني عندما أدعى إلى الجهاد في سبيل الله، هل أتسرب إلى حمى المشركين وأفاجئهم بالقتل قبل أن أكلمهم وأدعوهم إلى الله؟ طبعا الجواب لا، لهذا لابد لي أن أدخل إلى بوابة الجهاد الكبرى ألا وهي جهاد الدعوة والحوار والتبليغ، تماما كما كان يفعل رسول الله ﷺ عندما كان في مكة، وهذا العمل سيكلف صاحبه جهدا كبيرا وعنتا شديدا، والمطلوب هو الصمود أمام هذا. ومنه ينبثق الجهاد القتالي من هذا النوع الأول والذي هو القاعدة والمنطلق.

- **(الدرس 2) تتمة المقدمة + الإنسان بين الحرية والتكليف**

هاجر سيدنا رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، واستمرت القاعدة الجهادية الواسعة واستمر المسلمون يؤذونها كما أمر الله عز وجل، ألا وهو جهاد الدعوة، وكان رسول الله ﷺ يرسل الوفود والسرايا ليبلغوا دعوة الله سبحانه وتعالى إلى الناس في أطراف الجزيرة العربية المختلفة، لكن أثناء ذلك وقعت ظروف أخرى اقتضت أن يضاف إلى هذا الجهاد نوع أخر وهو الجهاد القتالي.

نتساءل ما هي هذه الظروف ؟ الجواب :

أولا: نشأة أول مجتمع إسلامي متماسك، وتألف من الأنصار والمهاجرين، واليهود أيضا الذين قرروا أن يعايشوا المسلمين في أمن وسلام .

ثانيا: النظام السلطوي المنضبط بدستور، وهذا ما لم يكن موجودا في مكة المكرمة. والوثيقة تتألف من بضع وسبعين بندا، وأول هذه البنود يقول فيه :" المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحقهم أمة واحدة من دون الناس " وأخر بند يقول :" كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يُخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ.: توج هذا النظام بإمام أي رئيس دولة، ذلك لأن سيدنا رسول الله ﷺ، كان في مكة المكرمة له شخصية

واحدة وهي شخصية النبي المبلغ ،فلما استقر به الأمر في المدينة المنورة ووجد المجتمع، ووجد النظام السلطوي أصبحت له شخصية أخرى إلى جانب كونه نبيا، وهي شخصية رئيس الدولة.

ثالثا: نشأة أول دار للإسلام، نبتت فوقها أول دولة إسلامية وهي المدينة المنورة .

هذا الظرف الذي وجد في المدينة المنورة اقتضى أن يوجد شيء جديد، واقتضى تشريعات جديدة تتلاءم مع هذا المناخ الجديد، وهذا الكسب الذي أكرم الله به المسلمين يقتضي :

1: تحصين حدود دار الإسلام هذه، ذلك لأن ذلك الكسب سيكون مطمعا لهؤلاء المشركين الذين حولهم، ويجدون أن دولة تفجرت من ظلام الجزيرة العربية، وأن هذه الدولة تكاملت أركانها، أكيد سيخططون للعدوان على هذه الدولة، فاقتضى الأمر واقتضت حكمة البارئ سبحانه وتعالى أن يأمر المسلمين في المدينة المنورة بحماية هذه المكاسب الثلاثة، عن طريق أولا تحصين الحدود .

2: التصدي بالقتال لكل من يريد بهذه الدولة شرا، ذلك لأن هذا الخطر متوقع، ولابد أن يتصدى المسلمون لكل من يريد لهذه الدولة المتمثلة في المجتمع والنظام والدستور ورئيس الدولة .

3: مقاتلة كل من أصر على مقاومة الدعوة الإسلامية، وتسير الدعوة كما كانت في مكة متمثلة في تبليغ هذا الدين ونشر الدعوة الإسلامية في الأفاق، فمن سالم هذه الدعوة سُلِم، ومن تصدى لها بالإسكات أو بالإيذاء، يجب أن يُقاوم إيذاءه بالردع. وهذه الظروف في المدينة المنورة اقتضت شرعة هذه الأحكام. لما تكامل هذا الدين بعقائده وأحكامه، تكاملت معه شرعة الجهاد، وبذلك أصبح هذا الجهاد بقاعدته الواسعة التي يفرضها الله تعالى على كل فرد وفي كل حالة ألا وهي الجهاد بالكلمة والدعوة ،وبالصبر و المصابرة على الشدائد التي يراها في طريقه وهو أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر إلى الجهاد القتالي لما تتحقق موجباته كما تحققت في المدينة المنورة، هذا الجهاد المتكامل أصبح واجبا في أعناق المسلمين إلى يوم القيامة. وشرع كاملا منذ أول يوم .

لنلاحظ إلى ما يكتبه بعض الكتاب اليوم من أن السبب في أن الجهاد القتالي لم يكن مشروعا في مكة إنما هو ضعف المسلمين، وعدم قدرتهم على المواجهة مع المشركين فهو تعليل غير صحيح، ولم يقل هذا الكلام أئمة المسلمين من قبل أبدا، وإنما هو تحليل جديد معاصر قاله بعض الكتاب الجدد. وإنما الحقيقة أن المسلمون في مكة لم يكونوا مكلفين بالجهاد القتالي، في وقت أنهم كانوا أشد قوة والمائة منهم تغلبوا ألفا، وهذا بعلم الله وقراره، ثم قال الله عنهم :" **الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** " وهو الضعف النفسي، فلو كان الأمر كما يقولون، لشرع القتال في

مكة، ولكانت دواعي القتال في مكة أقوى منها في المدينة، لأن صمود المسلمين كان أشد، ولأن القوة النفسية التي أنبأ الله عز وجل عنها في صدر كل مسلم كانت تساوي القوة التي تمتع بها المسلمون بعد ذلك في المدينة المنورة خمسة أضعاف، ومع ذلك لم يكلفهم الله بالقتال. ولو كان سبب عدم مشروعية الجهاد القتالي في مكة المكرمة سببه مجرد الضعف المتمثل في قلتهم وقلة عتادهم، إذن لالتجأ رسول الله إلى الدعاء عليهم بأقل المراتب، ولأن دعاءه أفعل في المشركين من السهام ومن السيوف. ومع ذلك فالرسول ما فعل ذلك .

لو شاء الله عز وجل ورأى الحكمة في أن يقاتلوا لأمرهم بذلك ولنصرهم الله عز وجل على الرغم من قلتهم، لكن في مكة لم يكن المسلمون قد امتلكوا شيئا يقتضيهم أن يذودوا عنه بقتال، وإنما كانت لهم الكلمة التي أمروا ببثها والدعوة بها إلى الله عز وجل. ولما استقر بهم الأمر بالمدينة المنورة وجد الكسب الذي ينبغي أن يذودوا عنه

إذن الجهاد شرع من أجل الدفاع عن مكتسبات معنوية ومادية أكرم الله بها المسلمون. وحيثما وجد المسلمون ووجدت هذه المكتسبات عليهم أن يفعلوا كما فعل رسول الله في المدينة، وإن وجد المسلمون ولم تتواجد هذه المكتسبات عليهم أن يفعلوا كما فعل رسول الله في مكة. مثل حال المسلمون في أوروبا وأمريكا كحال المسلمون في مكة إذ بان البعثة .

ـ نحاول الآن تفصيلا علميا لهذا الموضوع، من خلال الإجابة على هذا السؤال :

ترى هل الجهاد القتالي شرع من أجل كفر كافري أي الكافر يحارب كيف ما كان، أم أنه شرع لدرأ العدوان كما أوضحنا الآن؟

الموضوع فهمناه إجمالا، مادمنا قلنا أن الجهاد القتالي شرع في المدينة حماية للمكتسبات ، إذن الجهاد لم يشرع لدرأ الكفر. بل الدعوة هي التي شرعت لدرأ الكفر. وهذا الكلام يحتاج إلى بيان مفصل وأدلة مفصلة.

الإنسان بين الحرية والتكليف:

كثير من الناس يلتبس عليهم معنى التكليف الذي خاطب الله عز وجل به عباده جميعا، بالحرية التي متعهم الله عز وجل بها. يعني إن قلت أن الله خلق الناس أحرارا، يخيل إليه أنهم ليسوا مكلفين إذا، وإذا قلت أن الله خلق الناس مكلفين أي أنهم ليسوا أحرارا. لا بل هنالك تناسق بين المعْنَيَيْن وليس هنالك تناقض بينهما.

الإنسان من حيث علاقته بالله سبحانه وتعالى عبد مملوك لله عز وجل ملكية حقيقية تامة، ومن تما فهو مكلف بأن يلقي السمع جيدا إلى ما قد يصدر من مولاه ومالكه من واجبات وأوامر ومن نواهي. إذن معنى كون الإنسان مكلفا أن الله سبحانه وتعالى خاطبه بأوامر جازمة، وأنبأه أنه إن فعلها أُثيب يوم القيامة وإن أعرض عنها عوقب، وحذره من نواهي إن اجتنبها أثيب، وإن ارتكبها عوقب يوم القيامة، وهو يملك أن ينفذ أوامر الله، ويملك أيضا أن يجتنب النواهي التي نهاه الله عنها، إذن بهذا فهو حر، وعند وقوفه بين يدي الله تعالى فإن أحسن أَحسَن الله إليه وإن أساء عاقبه الله على إساءته وبهذا فهو مكلف. ومنه نستنتج أن الإنسان حر معناه أنه يستطيع أن يتصرف كما يشاء في هذه الدنيا، وهو ليس حرا بمعنى أن الله لم يسمح له بأن يعتو في الأرض فسادا كما يحب .

ـ قال علماء العقيدة وأصول الشريعة :" الإنسان عندما يكلف فيأتمر بأوامر الله، إنما تظهر قيمة ائتماره بأوامر الله عندما يخترق حريته ويضغط على حريته ويسيرها طبقا لأوامر الله عز وجل، عندئذ تظهر قيمة انصياعه لأوامر الله سبحانه وتعالى " لما نهاني الله تعالى عن نواهي مع حرية الانقياد إليها لكنني ألجمت نفسي عنها وصبرت، عندئذ تظهر حقيقة الانصياع لأوامر الله عز وجل. والفقهاء قالوا لكي يوجد التكليف لابد له من شروط غير شرط البلوغ والرشد: أولا: ينبغي أن يكون المكلف حرا، أي قادرا على أن يستجيب أو لا يستجيب، ويملك القدرة على الاختيار .

ثانيا: ينبغي أن لا يكون ملجئا، أي مضطرا، وهذا لا قيمة لعمله سواء أمر أو نهي. فالله تعالى يرى إلى القلب الذي يقود لا إلى الأعضاء التي جرت جرا إلى الطاعة. إذن الانصياع إلى أمر الله إذا جاء بالإكراه لا قيمة له .

والله تعالى أكد هذا في محكم كتابه، في قوله تعالى :" **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** " وقوله تعالى :" **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** " و هاتان الآيتان تعنيان أن التكليف إن بالعقائد، وإن بسلوكات لا يتم إلا في تربة الحرية.

خطاب الله تعالى للمكونات خطاب تكويني، ما عدى الإنسان فخطاب الله تعالى له تشريعي والذي يمر عبر قناة الحرية إليك، ويرى الله تعالى إلى قلبك حين اختيارك أي أمر من أوامره، أو اجتنابك أي نهي من نواهيه.

- **(الدرس3)** متابعة موضوع الحرية والتكليف + مسؤولية الدعوة – ضوابطها وأهدافها

من المهم لداعي إلى الله وللمجاهد الذي يجاهد بلسانه مبلغا دين الله معرفا بالإسلام، عليه أن يعلم دائما أن التكليف مقترنا اقترانا دائما بالحرية، وأن التكليف لا يعني السطوة والقهر والإلزام، والذي يؤدي الواجبات بالقهر والإلزام لا يثاب عليها. وآيات قرءانية كثيرة تبين مدى ارتباط التكليف بالحرية من الانقياد لأمر الله أو عدم الانقياد منها :

مثال1: قوله تعالى :" وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا " سبحان الله كيف يكون هذا مكلفا ثم يقول له الله تعالى:" فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ:" ؟ هو مأمور بالإيمان وإن لم يؤمن سيعاقب يوم القيامة، وهو حر الآن بعد أن سمع العقاب والتهديد، إن شاء نفذ الأمر فأثيب، وإن شاء لا ينفذ فيعاقب.

مثال2: كذلك قوله تعالى :" لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " هنا لا نافية وليست ناهية، بمعنى لا يتصور الإكراه في الدين، لأن الدينونة تنبع من القلب. ولا يمكن أن يتحقق لك إكراه أحد على الدين .

مثال3: ومن هذا قوله تعالى :" رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ" أي أتركهم أحرارا يفعلون ما يشاءون، وهم مكلفون بأن يختاروا الحق بإرادتهم

مثال 4: في قوله تعالى :"وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ " أي كونوا على ما أنتم عليه، ونحن نعمل ما اخترنا فلننتظر، وأنتم انتظروا ما تتوهمونه وغدا سيتبين الحق، أمر فيه تكليف وتخير أيضا مع تحذير.

ما سبب مع هذه الحرية في التكليف وجود حدود لبعض المعاصي، مثل السرقة، القذف ... فأين الحرية هنا ؟ نقول في الجواب أن الله عز وجل إنما شرع العقاب على هذه المعاصي بسبب أن فيها عدوانا على حقوق الآخرين، فحماية لتلك الحقوق شرع الله تعالى معاقبة من يرتكب هذا النوع من المعاصي. إذن تقام الحدود في تلك المعاصي لا لأنه مرتكب معصية فهذا عقابه في الآخرة، ولكن حماية للمجتمع وحقوق الأفراد فيه.

ـ من هو الذي نلاحقه إذا سرق أو قذف أو شرب الخمرة ...؟ هو ذاك الذي دخل في عهدة الإسلام، أي التزم أوامر الله تعالى بدخوله إلى الإسلام .

ـ وعن ما يرويه البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال :"**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**" لسائل أن يقول كيف نفهم أن التكليف مقترن مع الحرية، ولا يكلف الإنسان بأمر آت من قبل الله إلا أن يكون حرا قادرا على أن يختار ما يشاء، في حين نجد هذا الحديث من رسول الله، أي أمرت أن أجبرهم تحت طائلة القتل بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله ومحمد رسول الله، هذا تكليف بنطق بالشهادتين، وقد جاء بالقهر والجبر والإلزام ؟؟ الجواب عن ذلك باختصار، وسيأتي مفصلا في مكانه. هنا الرسول قال :"أمرت أن **أقاتل** الناس حتى يشهدوا"ولم يقل أمرت أن **أقتل** الناس .." وهنا بمعنى الجبر بالإيمان، وعندها فعلا الإشكال قائم، ولكن لقوله أقاتل على وزن فعل بمعنى المشاركة، أي أمرت أن أواجه قصد الآخرين إلى إيذائي في مجال الدعوة إلى الله بإيذاء مثله، أي أصد إيذاؤهم بالقتل إن هم أرادوا ذلك.

مسؤولية الدعوة – ضوابطها وأهدافها: إن القاعدة الكبرى للجهاد إنما هو جهاد الدعوة إلى الله بالبيان والشرح مع الوقوف في وجه الأخطار أيًا كانت، وهذا من أعظم الجهاد وهو البوابة التي تدخل منها إلى الجهد القتالي. لنتبين معنى الدعوة، وفي عصرنا اختلط معنى الدعوة مع الحركات الإسلامية المختلفة التي ينشط لها من يسمون بالإسلاميين أو الجماعات الإسلامية. ترى هل يوجد فرق بين الحركات الإسلامية وبين الدعوة إلى الله ؟ كثيرون هم الذين يتصورون أنهما شيء واحد، وكثير من الذين يمارسون أنشطة إسلامية يعدون أنفسهم دعاة، في حين أنه يوجد فرق كبير جدا بين الدعوة إلى الله وبين الأنشطة الحركية .

الدعوة إلى الله معناها:أن تبلغ الجاهلين والمارقين والفاسقين أمر الله عز وجل، أن تعرفهم على دين الله، وأن تناقشهم في مذاهبهم الهدامة التي يعتمدون عليها ويتبنونها.وهذه الدعوة لها ركنان اثنان لا تتحقق الدعوة بدونهما

الركن الأول: الداعي أي المعرف بدين الله أو المبلغ مثل الرسل، والدعاة الذين يأتون من بعدهم .

الركن الثاني :المدعو أي الجاهل والفاسق والملحد والمنحرف والتائه والضال .

فعندما تجد أناس ينشطون بحثا عن التائهين والضالين والجاهلين ... يقفون أمامهم ويفتحون ملف حديث معهم، ويدعونهم إلى الله ويعرفونهم على الإسلام، ويسألونهم لماذا لا يثوبون إلى الله ؟ والله تعالى يكرمهم ويعطيهم ويمنحهم، وهم أخيرا سيؤولون إلى الله ... وهذه العملية اسمها الدعوة. وهذا من معنى قول رسول الله :" بلغوا عني ولو آية فربى مبلغ أوعى من سامع"

ـ أما الأعمال والأنشطة الحركية فهي تختلف كل الاختلاف عن الدعوة، وهي مجموعة من المسلمين المتحرقين على الإسلام والذين يرغبون بأن ينهض المجتمع الإسلامي على دعائم هذا الدين وأن يستظل بالحكم الإسلامي، فيتلقون فيما بينهم، ويتحدثون عن أفضل منهج من أجل التحرك لإقامة المجتمع الإسلامي، ويتحدثون عن كيفية الوصول إلى الحكم، وكيفية تنشيط هذه الجماعة، وعن خطط التي يجب أن ترسم لوجود حكم أفضل .. هذه الأعمال هي التي تسمى الأعمال الحركية الإسلامية. ونلاحظ أن هذه الأعمال يقوم بها طرف واحد وهم الجماعة المسلمة المقتنعة بدين الله تعالى، والعلاقة قائمة فيما بينهم ولا شأن لهم بتائهين المنحرفين الضالين.

ونحن هنا نتحدث فقط عن الفرق ولا توجد أفضلية لأمر عن الأخر ,والدعوة إلى الله هي الأساس وهي المنطلق .

حال مجتمعاتنا اليوم: فهي فقيرة في مجال الدعوة بمقدار ما هي غنية بالأنشطة الحركية، تجد حركات إسلامية كثير، ولا تجد أناس يذهبون إلى هنا وهناك لدعوة الجاهلين والتائهين. وقال الشيخ أنه لا علم له إلا بجماعة واحدة، وهي جماعة التبليغ وانطلقت أساسا من الهند ، ويفعلون تماما كما أمر الله :" أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " ويذهبون إلى القرى و المداشر لتعريف بدين الله تعالى .وقد تكون بضاعتهم العلمية قليلة ولكن في عملهم الدعوي صورة طبق الأصل عن عمل أصحاب رسول الله ﷺ. وهؤلاء لهم أنشطة كبيرة في أوروبا وأمريكا والله تعالى يجري خيرا كثيرا على أيديهم، وهم ليست لهم أغراض سوى الدعوة لدين الله تعالى، وقلما نجد أمثال هؤلاء. في حين نجد بالمقابل مبشرين ينشطون بكثرة ترفدهم أموال ووسائل، وينشطون في قرى يسودها الجهل ، وأهليها يستقبلونهم على أنهم علماء يعرفونهم بدينهم، مستغلين إياهم بالإكرام والإحسان. وهي ظاهرة مخيفة. ونتساءل لماذا هذه الحركات الإسلامية لا تقوم بواجب الدعوة إلى الله ؟ والجواب أنهم يرون أن بوصولهم إلى الحكم أولا كخطوة أولى بعدها تأتي خطوة الدعوة إلى الله. وكل عاقل مسلم يعلم أن هذا المنطق معكوس تماما. والرسول ﷺ قال :" كما تكونوا يُولى عليكم" ولم يقل

العكس. وقد روى الحسن البصري عن رسول الله ﷺ أنه قال :" عمالكم أعمالكم كما تكونوا يُولى عليكم" .

وكل العلماء في باب الجهاد يؤكدون على ضرورة الدعوة إلى الله أولا من هؤلاء :

ـالإمام النووي في كتابه"المنهاج"يقول في أول باب الجهاد:"ومن فروض الكفاية القيام بإقامة الحجج وحل مشكلات في الدين وبعلوم الشرع،والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،هذا قبل الحديث عن الجهاد القتالي

ـ الإمام الدردير يفتتح باب الجهاد في كتابه "شرح الصغير" يقول :" يجب القيام بنشر علوم الشريعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يؤكد حرمة القفز فوق هذا الواجب إلى الأعمال القتالية "

ـ ابن رشد يفتتح أيضا بحث الجهاد في كتابه "بداية المجتهد" بقوله :" والجهاد ينقسم إلى أربعة أقسام، جهادٌ بالقلب، وجهادٌ باللسان، وجهادٌ باليد، وجهادٌ بالسيف " ثم يعرف الجهاد باللسان وهو أهمهم فيقول :" وجهاد اللسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك ما أمر الله به من جهاد المنافقين فقال :" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" فجاهد ﷺ الكفار بالسيف، وجاهد المنافقين باللسان .

ـ الإمام البهوتي في كتابه " كشاف القناع" يوضح أيضا في أول باب الجهاد، أهمية الفرض الكفائي الذي يتمثل في إقامة الدعوة إلى دين الإسلام ودفع الشبهات عنه، وإقامة الصناعات التي يحتاج إليها الناس في مصالحهم الدينية والدنيوية والبدنية والمالية "

نلاحظ أن باب الجهاد متوج والكل مجمع على أهميته ألا وهو جهاد الدعوة، عملا بقول الله عز وجل :" ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " وقوله تعالى :" وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" عندما يدرك الإنسان هذا الإلحاح من البيان الإلهي لكل مسلم أن ينهض أيا كان، فيدعوا إخوانه التائهين عن الله بكل الطرق، ويكتب عند الله تعالى من الدعاة إلى الله عز وجل.

- **(الدرس4) متابعة موضوع مسؤولية الدعوة – ضوابطها وأهدافها – ج 2**

وعن الحركات الإسلامية لابد أن تكون خادم لركن الدعوة إلى الله، وبدون ذلك تفقد مزيتها وفائدتها. وقد قلنا أن ركن الدعوة إلى الله هو الركن الأساسي بين يدي ركن الجهاد .

طبيعة الدعوة إلى الله وشروطه:

عن طبيعة الركن :1 . هو حكم تبليغي يشمل المسلمين عامة، وليس هو من أحكام السياسة الشرعية كالجهاد القتالي، حيث أن نشر دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حكمه تبليغي أي يخاطب الله عز وجل به الأفراد كل على حدا، ولا يتوقف تنفيذ المسلم لهذا الحكم لا على إذن الإمام، ولا على تعريف أو موقف منه، مثل الصوم الزكاة الحج الصلاة ... في حين أن الجهاد القتالي مثل إعلان الحرب على دولة باغية مثلا إنما هو حكم من أحكام الإمامة، أي لا يستطيع الأفراد من عند أنفسهم أن ينهضوا به، والحاكم يكون هو الوسيط بين إصدار هذا الحكم وتنفيذه من قبل الناس. كذلك إنهاء الحرب وإعلان الهدنة حكم من أحكام السياسة الشرعية. وكذلك قضية الأسرى عندما يقعون في أيدي المسلمين من أحكام الإمامة .

إن رؤيتي لشخص ما يرتكب منكر ما عليَّ تنبيهه ونهيه عن ذلك، ناصحا إياه بالتي هي أحسن.

. وعن دور الدولة في مجال الدعوة إلى الله هو دور تنظيمي فقط، مثلا إذا رأت جهالا يتصدون لدعوة، ويتحدثون في أمور لا علم لهم بها تمنعهم، أو إن رأت الدولة أن هنالك من يعبث بطريق الدعوة بأحكام الإسلام، حيث أنه يحرم الحلال ويحلل الحرام، هنا يظهر دور الدولة.

الدعوة إلى الله حكم تبليغي حتى للحكام، فإن رأى الداعي أن فئة من الحكام تلبسوا بمعصية، يجب أن يقولوا لهم أنها معصية. بالحكمة والموعظة الحسنة .

2 ـ الجهاد الدعوي فرض كفاية أي إذا قامت به ثلة من الناس وقامت بواجبها، فقد سقط الوجوب عن الناس كلهم. ودليل ذلك قول الله عز وجل :" **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**"لما قال منكم وهي لتبعيض دل على أن هذا الواجب كفائي. لكن في بعض الأحيان تكون الجهالة منتشرة والضلالة عامة قد لا نكتفي بفئة من الدعاة، عندها ينبغي أن تغطى أعمال الدعوة بكل من يستطيع أن ينهض بها، أي المسألة حسب الحاجة. فالدولة عليها أن تختار من الدعاة الأكفأ فالأكفأ .

هذا الكلام ذكره الإمام "الماوردي" في كتاب له اسمه " **الأحكام السلطانية" قال :" وأما جيوش العلماء والفقهاء في الجوامع والمساجد، والتصدي لتدريس والفتية، فعلى كل منهم زاجر من نفسه أن لا يتصدى بما ليس له بأهل، فيظل به المستهدي، ويزل به المسترشد، وقد جاء في الأثر أجرأكم**

على الفتية أجراكم على النار، ولسلطان فيهم من النظر ما يجيبه الاختيار من إقرار أو إنكار، ينبغي أن يلاحظ في ذلك مصلحة الإسلام، يمنع التائه والضال والجاهل، ويقول ليس هذا من شأنك، فإذا كانوا جميعا قادرين ولكن العدد كبير يتخير الإمام منهم أقدرهم وأخلصهم في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى"

3ـ المزية الثالثة للجهاد الدعوي باللسان وهو الركن الأصيل الأساسي في الجهاد، والمزية هي أن جهاد الدعوة هذا إنما يقوم على النصيحة الطوعية لا على الأمر القسري. فالدعوة إلى الله نوع من التعاون كما قال الله عز وجل :" **وتعاونوا على البر والتقوى**" وأثناء القيام بمهمة الدعوة وإرشاد التائهين بأن يخضعوا لسلطان الله، ويعلموا أنهم مكلفون وغدا الله سيحاسبهم .، ودعوتي ينبغي أن تكون طوعية أي دعوتي لهؤلاء بأن يطيعوا الله باختيارهم، وأن يبتعدوا عن المعاصي باختيارهم، وتلك هي مهمة الدعوة. ودليل هذا في قوله تعالى:" **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم** "وآيات أخرى في قوله تعالى :" **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ** " وقوله تعالى :" **وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ** " أي مهمتك يا محمد هي البلاغ وعلى الله الحساب. وكثير من هذه الآيات نزلت بالمدينة المنورة، وقبيل وفاة رسول الله ﷺ .

روى ابن أبي حاتم بسنده عن عمر ابن الخطاب أنه كان له غلام يسمى "أسبق" وكان نصرانيا، ويقول " أسبق" بعد وفاة سيدنا عمر :"**كان يعرض عليَّ الإسلام فآبى، وكان يقول لي "لا إكراه في الدين"، ويعود ويقول لي: يا أسبق لو أسلمت لاستعنا بك في بعض أمور المسلمين ...**" الدعوة تتم عن طواعية. أيضا روى زيد ابن أسلم عن أبيه قال :" **سمعت عمر ابن الخطاب يقول لعجوز لم تكن قد أسلمت :"أسلمي أيتها العجوز تسلمي إن الله بعث محمد بالحق "فتقول له :" أنا عجوز كبيرة والموت قريب مني " ويسكت عمر ويقول :" اللهم اشهد " ثم يتل قوله تعالى :" لا إكراه في الدين**"

ـ إذن الدعوة إلى الله تكون بالإبلاغ الطوعي لا بالقسر والإلزام، ويشكل على هذا حديث لرسول الله ﷺ معروف وصحيح وهو قوله ﷺ فيما رواه الشيخان عن ابن عمر :" **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله** " هذا الكلام بحسب الظاهر يتعارض مع الشيء الذي أوضحنه، قالوا عن

الحديث أنه غريب وغرابته لا تعني عدم صحته، وقالوا أن الإمام أحمد لم يرويه في مسنده، وهذا لا ضير فيه، ومهما يكن لا سبيل إلى تضعيف الحديث. وقد ذكر "ابن حجر العسقلاني" في شرحه للبخاري خلاصة الكلام الذي أقوله لكم .

كيف نفهم هذا الحديث على ضوء قوله تعالى :" **فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر**"؟

الجواب

ـ قبل كل شيء أضعكم أمام رأي الفقهاء هنا، هنالك ثلاثة أراء وهي :

الرأي الأول: وهو أضعفها وأقلها اعتمادا، أن دعوة الناس إلى الإسلام عن طواعية كانت في صدر الإسلام، ولكن لما نزلت آية السيف وهي قوله تعالى :" **فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** " نسخت الدعوة عن طريق الطواعية، وأصبح من الواجب الدعوة إلى الله بالإلزام، ودليل ذلك هذا الحديث، إلى جانب الآية المذكورة .

الرأي الثاني: و به قال أكثر الفقهاء وأكثر المفسرين قالوا آيات التي تدعوا إلى الدعوة إلى الله عن طواعية ليست منسوخة، وماذا عن الحديث ؟ هنا انقسم الجمهور إلى قسمين أي الذين قالوا أن حكمها باق والدعوة ينبغي أن تبقى كما كانت طوعية، وهذه الآيات محكمة وليست منسوخة .

القسم الأول: وهم الأقل قالوا عن كلام الرسول"أمرت أن أقاتل الناس"يقصد الوثنيين فقط، يجب أن أقاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، أي أجبرهم إجبارا، أما أهل الكتاب فيبقى أمر دعوتهم كما كان طوعية ولا نلزم أحدا. القسم الثاني :وهو الرأي الأغلب والأرجح والذي اعتمده كثير من الفقهاء في هذا الرأي الثاني، قالوا بل إن قوله :" أمرت أن أقاتل الناس" تفهم على عمومها وليست خاصة بالوثنيين، وحكم الدعوة إلى الله طواعية أيضا باق وليس منسوخا، إذن كيف ننسق هنا ؟ قالوا أن رسول الله قال" أمرت أن أقاتل " ولم يقل " أمرت أن أقتل" والفرق كبير بين الكلمتين، لو أن رسول الله قال :" أمرت أن أقتل الناس ...." لكان هذا دليلا قاطعا على أن هذا الحديث نسخ الحكم السابق، لكن النبي استعمل كلمة أقاتل، والمسألة هنا تتعلق بقواعد اللغة العربية .

قالت العرب إن وزن فاعل يُفاعل دائما يأتي للمشاركة مثل أن نقول "قاوم فلان اللص" يعني وقفا مع بعض في شجار بعد أن داهم اللص الدار وقف صاحب الدار في وجهه أو قولنا "قاتل فلان فلاناً " يعني اشتركا في المدافعة، وتقول فلان قتل فلان إذا فاجأه وهو غير متنبئ به. ودائما

المقاتل هو الرجل الثاني فيما يتعلق بالعدوان. البادئ يقال عنه مقبل على القتل، والمدافع يقال عنه مقبل على المقاتلة. هذا كلام عربي موجود في لسان العرب وموجود في القاموس، وموجود في كتاب "أساس البلاغة" لزمخشري. لنتأمل هذا المعنى كيف يتجلى في قول رسول الله ﷺ يوم صلح الحديبية أثناء المفاوضات جاء بيداء ابن ورقاء " وهو مشرك إلى رسول الله ﷺ عرض عليه رسول الله المسالمة، وقال النبي ﷺ :" إن المشركين أو قريشا قد أنهتكها الحرب فلو جموا واستراحوا .. ثم قال فإن هم أبوا فو الله لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي " لأقاتلنهم معناها لأبدلنهم العدوان الأول بالعدوان الثاني، هم عملهم القتل، وعمل رسول الله المقاتلة .

ـ الإمام الشافعي وهو إمام في اللغة قبل أن يكون إماما في الفقه، يقول الإمام فيما يرويه البيهقي عنه :" ليس القتال من القتل بسبيل، قد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله " وهنا كلام دقيق ويقصد أن كلمتا القتل والقتال ليستا بمعنى واحد، ويحل قتال من جاء ليهاجمك، ولكن لا يحل قتل مسالم.

كلام طويل للكرماني ابن حجر، كله كلام يعمق الفرق بين القتال والقتل، وهو كما يلي:

ـ سئل الكرماني عن حكم تارك الزكاة، وأجاب بأن حكم تارك الزكاة والصلاة واحد، لاشتراكهما في الغاية وكأنه أراد في المقاتلة لا في القتل، والفرق أن الممتنع عن إيتاء الزكاة يمكن أن تؤخذ منه قهرا ولا داعي إلى القتل، بخلاف الصلاة. فإن انتهى إلى نصب القتال أي صاحب المال نصب قتالا من أجل أن لا يأخذ ماله قوتل وهذا هو القتال المشروع، وبهذه الصورة قاتل الصديق مانعي الزكاة، ولم يؤثر أنه قتل أحدا منهم ابتداءً

أي ساعي الزكاة لما يواجه بقوة من طرف صاحب المال عندها تستعمل ضده القوة وهذا يسمى مقاتلة .

وفي حديث رسول الله ﷺ :"أمرت أن أقاتل الناس " حيث أمر أن يدعو إلى الله كما أمر أن يجلب الزكاة من الناس، فإن تركني الناس وأنا أدعو ولم يقاوموني فلهم أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا. ولكن إذا وجهني أحدهم بالصد ومنعني بقوة، عندئذ أمرت أن أقابل منعهم بقوة بمنع أيضا بقوة .

إذا الدعوة إلى الله طوعية وهذا ما ينسجم تماما مع حديث رسول الله ﷺ .

ـ وعن قول الله عز وجل :" **فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** " البارئ يأمر هنا أنه إذا انسلخت الأشهر الحرم أن نبدأ في قتل المشركين حيث وجدناهم، وجعل غاية ذلك التوبة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، يعني نحن مكلفون أن نحملهم

حملا على الإسلام، من أجل الكفر لا من أجل أنهم يحاربوننا. ماذا تقول في هذه الآية ؟؟؟ قال العلماء من الفريق الثاني من الرأي الثاني، قالوا هذه الآية غاية ما تدل عليه أنه إذا انسلخ الأشهر الحرم ينبغي أن نقتل المشركين من أهل مكة، بالحرابة أم للكفر هذا شيء مسكوت عنه، لكن لما قال فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم دل على أن السبب كفرهم. قالوا لا يعني لو تابوا ولو كانوا محاربين نتركهم، وتركنا لهم لأنهم تركوا الحرابة وزيادة وهي التوبة. قيل لهم ما هو دليلكم ؟ قالوا الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى :" وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ " أي إذا طرق باب بلدتك مشرك يريد أن يدخل يسمع كلام الله وينظر الإسلام ما هو فدخل فأجره حتى يسمع كلام الله، ولم يعجبه هذا الدين وأراد الرجوع عندها أبلغه مأمنه، أي أنك مكلف أن تحميه وتأخذه حتى يصل إلى المكان الذي يطمئن فيه.

ومنه لو كان القتال واجب للمشركين لكفرهم، ولو كانت الدعوة إرغاما وإجبارا ودخل هذا بيننا وسمع عن الإسلام وقال لم يعجبني كنا قتلناه. بينما يقول الله سبحانه وتعالى غير ذلك، وهذه الآية تأتي بعد تلك مباشرة.

وهنالك من يتمحل ويقول الآية الثانية منسوخة بالأولى، ونقول له هنالك آيات تؤكد معنى الآية الثانية، منها قوله تعالى :" أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " الآية تبين حيثية القتل أن السبب حرابة. وفي قوله تعالى وهي من أواخر الآيات نزولا :" لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " ومنه اتضح أن آية :" فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ " فيما دل عليه الجمهور لم تنسخ الدعوة الطوعية أبدا، بل هي تعني وجوب مقاتلة الكافرين المحاربين .

- **(الدرس5) – متابعة موضوع مسؤولية الدعوة – ضوابطها وأهدافها**

إجابة على أسئلة:

س1 :يقول السائل أنك قلت أن المعاصي و الآثام التي فيها إهدار لحقوق الله سبحانه وتعالى أرجأ الله عز وجل العقاب عليها إلى يوم القيامة، وإنما يعاقب الله تعالى في دار الدنيا على المعاصي

ولآثام التي فيها إهدار لحقوق الناس، ثم استثنينا ترك الصلاة وهي من حقوق الله، ومن ترك الصلاة فاستتيب ولم يتب يقتل، ويقول لماذا ؟

الجواب: المسألة فيها خلاف، وليس كل الفقهاء متفقين على أن تارك الصلاة يقتل، هذا هو القول الراجح عند الشافعية، لكن خالف المزني وهو من كبار علماء الشافعية قال لا يقتل تارك الصلاة كسلا، وإنما يقتل تارك الصلاة جحودا، وخالف في ذلك "ابن دقيق العيد"، وخالف في ذلك بعض فقهاء الحنفية، وخالف في ذلك كثير من التابعين. وإجابة لسائل لماذا يعاقب تارك الصلاة رغم أن في هذا تفويت لحق الله. فالعلة التي اعتمد عليها من قالوا أن تارك الصلاة يقتل، هو الحديث الذي يرويه أبو داوود في مسنده وهو حديث مرسل، أنه أوتي برجل إلى رسول الله مخنث قد صبغ أطرافه بالحناء. فقال: ما شأن هذا ؟ فقيل له إنه مخنث يا رسول الله. فأمر به فنفي. فسأله أحد الصحابة: ألا نقتله يا رسول الله ؟ قال: "**لا أقتل من يصلي** " فالمفهوم المخالف أنه لو كان لا يصلي لقتلته، هذا هو الدليل. لكن كثير من العلماء لم يعتمدوا على هذا الدليل، منهم "الإمام النووي" فقال: "هذا الحديث لا يحتج به" أولا لأنه مرسل، ثانيا في سنده مجهول، والحديث ضعيف بالاتفاق. ولعل البعض يقول هنالك دليل أقوى، وهو حديث رسول الله الموجود في صحيح البخاري وهو :" **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة .."** فقد دل هذا على أن تارك الصلاة يقاتل كما أن تارك الزكاة أيضا يقاتل. وقد قلنا أن العلماء لما وقفوا عند كلمة "أقاتل "أدركوا أن هذا بالنسبة لمانعي الزكاة، لأن هذا يتأتى مقاتلته، أما تارك الصلاة لا تتأتى مقاتلته، كيف؟ الذي يصر على أن لا يدفع زكاة ماله، وأرسل الخليفة أو رئيس الدولة من يأخذ زكاته قصرا، عندها إما أن يستسلم هذا الإنسان فيمضي هذا المرسل لأخذ زكاة ماله. عندها تنتهي المشكلة، أو أن يقاوم وعندها فإن مقاومة المرسل له تسمى مقاتلة. لكن تارك الصلاة كيف تقاتله ؟ مثلا تأمره فلا يصلي، ثم تقتله. هذا يسمى قتل، بينما رسول الله قال :" أمرت أن أقاتل الناس ..." إذن فالمقاتلة تتحقق بالنسبة لتارك الزكاة، ولا تتحقق بالنسبة لتارك الصلاة. لهذا العلماء الذين قالوا لا يقتل تارك الصلاة قد استدلوا بهذا.

س2 :هو نص حديث رسول الله ﷺ :" أمرت أن أقاتل" وقوله تعالى :"فإذا انسلخ الأشهر الحرم" أما عن الحديث يقول السائل "فقد أوضحتم أنه هنالك فرق كبير بين "قتل" و"قاتل" وأن المقاتلة تستلزم وجود طرفين بادئ ومبدوء، وعليه فنص الحديث يفيد أن المشركين هم الذين يبدؤون عملية المقاتلة، وأن المسلمون هم المبدؤون، ولذلك نرجو إيضاح ما قد يظهر من استشكالات بعض

الآيات التي ورد فيها ذكر القتال من مثل قوله تعالى في سورة الحج :" أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ "

فهم الأخ أن المقاتلة تعتمد على المشاركة، ولا تتحقق إلا إذا كان المقاتل يدافع عن نفسه، أما الذي يبحث عن إنسان غافل منصرف عنه لا يريد به شرا، يتربص به ويقتله غيرة، فهذا لا يسمى مقاتلة، ويستشكل أنه ورد في الآية أنه أُذن للذين يقاتلون وهم المسلمون، والذين يقاتلونهم المشركون، وهذا ورد لما كان المسلمون في مكة، رغم أن المشركون هم الذين بدؤوا القتال، ومع ذلك سماهم الله مُقَاتلين، وسمى المسلمون مُقَاتلون، أي أنهم مسالمون لم يفعلوا شيئا. وهذا يتنافى مع ما قلناه .

الجواب :أن كلمة قَاتَل يُقَاتلُ مُقَاتَلَةً فهو مُقْاتِل هذا الوزن مبني للمشاركة، ولا تتم المشاركة إلا إذا كان كل طرف بادئًا ومبدوءً به، أي كل طرف متخوف من الطرف الأخر، لهذا قال علماء اللغة هذا الوزن يستوي فيه اسم الفاعل واسم المفعول، مثلا كل مقَاتَل مقَاتِل وكل مُقَاتَلٍ يُقَاتِل لماذا ؟ لأنني لكي أتصدى لإنسان إما أن أتصدى له لأنه مقبل إليَّ يريد بي شرا وإما أنه يستفزني بموقف عدائي أتصدى له من أجل أن أدرأ خطرا عن نفسي، وهو أيضا لا يمكنه أن يقدم إلي إلا لأنه شعر بخطر، فالمقاتلان في الواقع كل منهما يتجه إلى الطرف الثاني بالقتال دفاعا عن نفسه. ولهذا هذه الصيغة دائما يشترك فيها اسم الفاعل واسم المفعول. ففي مكة كان المشركون يستفزون المسلمون، والآية نزلت بعد أن استشرى إيذاء المشركين للمسلمين، وهذا الاستفزاز عبر عنه البارئ بالمقَاتِلْ، لأنه يستثير في الطرف الآخر حوافز الهجوم، لهذا كان ذاك المستفز مُقَاتِل وفي نفس الوقت مُقَاتَلٌ أي أنه مهيء لمقاومة من الطرف الأخر.

س3: إذا سلمنا بأن الحرابة هي علة القتل، فلماذا اشترطت الآية والحديث وجوب دخول أهل الحرابة هؤلاء في الإسلام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ولم تكتفي برجوع المشركين من مقاتلة المسلمين ومعاداتهم لهم ولو لم يكن الإسلام

الجواب: جمهور الفقهاء ما عدى الشافعية الذين لهم رأيان، هنا في الآية البيان الإلهي ما شرط رفع السلاح عنهم بدخولهم الإسلام بل قال تعالى :" وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ" هنا انتهى الكلام ثم قال :" فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " الجواب كما قال الفقهاء أن هذا الكلام لا يدل على أكثر من شيء وهو ، أنه يجب علينا إذا تاب هؤلاء الذين نقاتلهم وأعلنوا دخولهم في دين الله ينبغي أن نرفع عنهم القتال، وقال البارئ

هذا كي لا نظل نقاتل هؤلاء رغم أنهم دخلوا في الإسلام، وهو كلام ساكت عن علة القتال أهو درء الحرابة أم درء الكفر؟ لهذا المولى افترض ما هو أهم من الحرابة ألا وهو التوبة والرجوع إلى دين الله سبحانه وتعالى. وسبب تفسيرنا لهذه الآية هكذا هو وجود آيات كثيرة دالة على ذلك، منها قوله تعالى :" أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " الآية تبين سبب القتال، وأحاديث كثيرة وصلت درجة التواتر أن رسول الله لم يتعقب المشركين، وكم من قبيلة دخلت في حلف رسول الله مثل قبيلة خزاعة .

ومن الأحاديث ما رواه الحاكم والبخاري ومسلم وآخرون من حديث أسماء رضي الله عنها، أن أمها جاءت من مكة وهي تحمل هدايا لابنتها وهي مشركة، فلم تستقبلها أسماء وانتظرت حتى سألت رسول الله ﷺ فجاءت إلى السيدة عائشة وهي أختها، وأمهما ليست واحدة، وتحكي لها قصتها قائلة لها أن تسأل رسول الله ﷺ، فسألت عائشة رسول الله، فتلا عليها قوله تعالى :" لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " وكان هذا بعد الفتح. كلها توضيحات وأدلة لتفسير الذي قاله العلماء.

ـ قد يقول قائل أن هناك مفهوم مخالف فالقرءان يقول :" فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " المفهوم المخالف يقول: إذا لم يتوبوا ولم يقيموا الصلاة لا نتركهم. نعم كن سنعمل بالمفهوم المخالف إن لم تتواجد نصوص تعطل هذا المفهوم، وبهذا تنسجم نصوص القرءان. ومنه فالعمل بالمفهوم المخالف له شروط ومنها أن لا تتواجد نصوص تعطله.

القتال شرع لدرء الحرابة وهذا ما ذهب إليه المالكية والحنابلة والحنفية وجماهير الفقهاء،إلا الشافعية فلهم رأيين .

جوهر الدعوة ومقوماتها:

جوهر الدعوة أنه لون من أجل وأقدس ألوان العبادة التي يتقرب بها الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى، بل إنك لن تستطيع أن تمارس العبودية لله حقا بمنطق أسمى وأعلى من منطق الدعوة إلى الله، فإن عز أمامك الدليل على هذا فقف أمام قول الله تعالى :" وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" وهذه آية واحدة بهذا الأسلوب الأخاذ بيانا أن أجل عبادة هي الدعوة إلى الله، قائلا " ومن أحسن " أي أرني عمل أحسن من هذا إن وجد ، وهو أجل عمل تعلن به صدق عبوديتك لله، ومنه فإن جوهر الدعوة هي أصفى معاني العبودية لله سبحانه وتعالى .

ـ وعن المتحرك من أجل الوصول إلى الحكم من أجل أن يفرض الإسلام أيضا، أليس له نصيب في هذا العمل ؟ لا ليس لهم الأجر نفسه لأنهم ليسوا دعاة، وفي الدعوة إلى الله هنالك داع ومدعو. لكن عند الوصول إلى الحكم فالعمل يتم من طرف واحد، وهو عمل فيه ثواب والأعمال بالنيات، والمجتمع بحاجة إلى هذا النوع من الفئات، على أن تكون الدعوة أولا ثم هذا ثانيا.

ـ لكن ماذا عسى أن تكون نتيجة هذا العمل الحركي الثاني ؟ المجتمعات العربية والإسلامية الآن مليئة بأحزاب، وكل حزب بما لديه فرح كما يقول الله سبحانه وتعالى، ولما أُأَلف أنا الآخر جماعة لبلوغ الحكم أي جماعة إسلامية تنافس باق الأحزاب لتسد عليها الطريق من أجل أن تسبقهم إلى الحكم، وبهذا صار بيني وبينهم خنادق وفجوات، وبدل أن يكون بيننا حوار لدعوة إلى الله عز وجل، فإذا به تنعكس المسألة تماما، وبهذا أبعدتهم عن حظيرة الإسلام لأني جعلت منهم منافسين لي وأعداءً.

والنتيجة أن العمل الحركي أصبح على حساب الدعوة، وبتالي يشمئز المجتمع من الإسلاميين بسبب ما قلته.

والحل أن يكون عدد الدعاة إلى الله بعيدا عن السياسة، وبعيدا عن المنافسات الحزبية كافيا للمجتمع كله .

- **(الدرس6) متابعة موضوع مسؤولية الدعوة – ضوابطها وأهدافها**

إجابة عن سؤال وهو التالي

س: طلب شرح حديث يرويه الإمام أحمد والإمام الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :" بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم "

الجواب: فقصد السائل أن ظاهر الحديث يتعارض مع ما قد أوضحنه وشرحناه، كثير من العلماء ضعفوا الحديث، ولنفترض أنه حديث صحيح، فإنه حديث يفهم على ضوء الأحاديث الكثيرة الأخرى والصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ، وعلى ضوء الآيات الكثيرة والتي شرحناها واستعرضناها في كتاب الله عز وجل، هذه القاعدة إن اعتمدنها نحل كثير من المشكلات وإن لم يتوفر لدينا اختصاص علمي واسعا، والخطر الذي يقع فيه الكثيرين و تفسير آية دون أن يعرضها على باقي آيات كتاب الله في نفس الموضوع. مثلا يقرأ قوله تعالى :" **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا**

فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا" ويسأل نفسه عن معنى الآية ويقول إذن قاتل النفس يكفر وبتالي يخلد، ولو أن هذا الإنسان حاول أن يفهم هذه الآية على ضوء الآيات الأخرى في كتاب الله عز وجل، مثلا قوله تعالى :" إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ "يدرك إذن قوله تعالى:"ومن يقتل مؤمنا متعمدا .." أي وهو مستَحِلاً ذلك ومستبيحا إياه، وهكذا كي تتفق الآيات مع بعض. والقاعدة الفقهية تقول ينبغي أن يفسر القرءان بالقرءان والسنة بالقرءان أيضا. ومنه يفسر الحديث المذكور كما فسر الحديث السابق :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ..." وكلمة بعثت بالسيف تحمل معنيين وهما :

1 ـ أن يواجه كل من لا يؤمن بالله بالسيف أو أن يواجه من يمنعه عن إبلاغ الدعوة .ولكن إذا عرضنا الحديث على أعمال رسول الله نجد أن رسول الله لم يجبر أحدا على الإسلام عنوة ،وما كان فتح مكة إلا لدفاع رسول الله عن قبيلة مشركة، وغيرها من الأعمال. بعثت بالسيف ليس معنى ذلك إجبار الناس على الإسلام، فإن فهمت الحديث كذلك إذا ينبغي عليك تمزيق كل الأحاديث والأعمال التي وردت عن رسول الله مخالفة لهذا تماما .

2 ـ والمعنى الثاني لبعثت بالسيف أي كلفت أن أحمل السلاح في وجه كل من أراد أن يصدني عن الدعوة إلى الله، وأنا مكلف أن أقاتل هذا وهو ما أجمع عليه جمهور الفقهاء .

ـ أما الفقرة التي تليها وهي قوله ﷺ :" وجعل رزقي تحت ظل رمحي" فهو كقوله ﷺ في الحديث الأخر وهو:" أعطيت خمسا لن يعطاهن أحدا من قبلي " ومنها قوله :" وأحلت ليَّ الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي " وهو تفسير للحديث السابق، حيث جعل الله تعالى الغنائم التي تأتي رسول الله من الحرب رزقا حلالاً .

أهم منطلقات الدعوة إلى الله : وهذه هي القاعدة الجهادية العريضة والتي منها يتم الانطلاق إلى الجهاد القتالي، ومنطلقات الدعوة كثيرة ومهمة، وقال الشيخ أنه يوما ما جمعها في رسالة صغيرة سماها " هكذا فا لندعو إلى الله" وجمع فيه جميع آداب الدعوة الإسلامية، وأهم منطلق من هذه المنطلقات هو :

ـ أن ينطلق الداعي إلى الله لتائهين والشاردين والملحدين والضالين بدافع شفقة ورحمة، ودافع غيرة عليهم كي لا يصبحوا غدا حطبا لنار جهنم، والداعي لن يتمتع بهذا إلا إذا كان مستعدا أن يضحي بحظوظ نفسه في سبيل الدعوة إلى ربه. وهناك من يعجب من هذا الكلام ظنا منه أن الدعوة تتم بالغضب والحقد والعداوة على الملحد والتائه، لكن لننظر الإسلام بحد ذاته إلى ماذا يأمرنا، وهو من

أجل رحمة الله بعباده .فالرسول ﷺ الذي أرسل لناس، أرسل رحمة لهم والقرءان فياض بالآيات التي تنطق بهذا، ولهذا ينبغي من الداعي أن يكون رحيما، ومنها قوله تعالى :" **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**" وقوله :" **وربك الغفور ذو الرحمة** " وقوله :" **ورحمتي وسعت كل شيء**"

وأنت خليفة لرسول الله ﷺ في مهمة الدعوة إلى الله وما بعث رسول الله إلا رحمة للعالمين. ومن أحاديث رسول الله ﷺ فيما رواه أحمد وأبو داوود والترمذي والحاكم في مستدركه قوله :" **الراحمون يرحمهم الرحمان تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**" ومن كلام رسول الله ﷺ، أنه في بعض الغزوات يروي مسلم في صحيحه أن بعض الصحابة قالوا لرسول الله ﷺ لو لعنت هؤلاء المشركين، فقال لهم رسول الله :" **إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعنا**" ورسول الله لم يطلب منه يوما أن يدعو على مسلم تائه أو مشرك فاجر فدعا له، بل كان المصطفى يحتاط فيما يرويه مسلم في صحيحه فقال :" **اللهم إني بشر أنطق برضا والغضب فمن لعنته فاجعل لعنتي رحمة له**"وتبث في الصحيح أيضا أن النبي ﷺ حاصر الطائف مدة عشرين يوما أو أكثر، ولم يكتب للمسلمين آنذاك ظفرا، فأمر رسول الله أصحابه بالرحيل فقال قائل يا رسول الله أدعو الله على تقيف، فرفع يديه وقال :" **اللهم أهدي تقيف وأتني بهم** ". قيل لنبي ﷺ في الحديث المتفق عليه إن دوسا قد كفرت وأبت فادعوا عليهم يا رسول الله فقال :" **اللهم اهدي دوسا وأتي بهم مؤمنين**" طلبوا منه أن يدعو لهم بالهلاك فدعا لهم بالرحمة.

ـ قد نتساءل كيف يتفق هذا مع الغضب لله والحب لله ؟ لا يوجد أي تعارض بين هذا الذي ذكرناه من هدي رسول الله ومن حبه وشفقته ورحمته لعباد الله جميعا، وبين مبدأ البغض لله أيضا. لكن ينبغي للمسلمين أن يتعلموا وأن يعكفوا على الدراية، وأن لا يتصرفوا تصرفا عاطفيا أهوج، والعواطف عواصف إن لم تلجم بلجام العلم .

والجواب أن البغض في الله جزء من الإيمان لا شك في ذلك، ولكن الإنسان الذي تراه عاصيا تشفق على ذاته من حيث أنه إنسان مثلك وترحمه وتغار عليه فتهديه إلى الله، وتبغض فيه معصيته لا ذاته. وإذا كان وضعك كذلك لمجرد أن يثوب إلى الله تزول سحابة البغض وإذا بك تحبه حبا صافيا عن الشوائب، ولكن لو كان بغضك لذاته حتى لو ثاب ستظل تكرهه، وعليك أن تتهم نفسك وأن تختبرها أمام العاصي، ومتى أعلم أنني أبغضه في الله؟ إذا لم تكن سخريته سببا لبغضي له وغضبي منه. لكنني أبغضته لأنه سب الدين مثلا أو لأنه ارتكب موبقة من الموبقات، ودليلي على هذا أنني سأحبه وأعانقه لمجرد إقلاعه عن المعصية. وعن سيدنا لوط عليه السلام وما قاله ربنا

على لسانه:"قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ"أي من المبغضين،وقال هنا لعملكم مع رحمته وشفقته عليهم، وكثيرون هم الذين يبغضون انتصارا لأنفسهم وذواتهم، ويغطون ذلك بقولهم أنهم يبغضون في الله.

والله تعالى يقول :" وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ " هذه الدعوة بهذا الشكل وبهذا الصبر هي أساس الجهاد، وهو أشق من الجهاد القتالي .

- وهنا تبرز مشكلة وهذا عندما تكون الساحة فارغة عن هذه الدعوة التي نتكلم عنها، ولا تجد يمينا ولا شمالا من يحاور الملاحدة والتائهين ويتعقبهم بالدعوة إلى الله وتعريفهم بدين الله، ثم نقفز فجأة إلى الجهاد القتالي، يحصل أنك تحقق الجهاد القتالي في فراغ، أي دون تهيؤ المناخ لهذا الجهاد، كمن يلقي بدرا في صخر .

تمهيد للدرس القادم وهو عن مصدر انبثاق الجهاد القتالي، بعد أن تشكلت أول دار إسلام بعد الهجرة، ونشوء المجتمع الإسلامي ووجدت الدولة الإسلامية، تماما كما انتقلت الدعوة في عهد رسول الله ﷺ.

• (الدرس7) دار الإسلام والمجتمع الإسلامي ومصدر انبثاق الجهاد القتالي-ج 1

الإجابة عن سؤال: في شرح حديث" جابر ابن سليم" عندما سأل رسول الله ﷺ قال :" أَأَنت رسول الله " قال :" أنا رسول الله الذي إذا أصبك ضيم فدعوته استجاب لك ..." سألوا أل يمكن أن نرجع الضمير إلى لفظ الجلالة ؟ قال يجوز في اللغة العربية ولعل ذلك هو الأسلم فيما إذا أردنا أن لا نتعمق في شرح الحديث وأن نأخذه على ظاهره. وإن كان الإمام الخطابي في شرحه لأبي داوود سكت عن هذا الموضوع ولم يتحدث، كذلك صاحب "دليل الفالحين شارح رياض الصالحين " كذلك، ولكننا نجزم أنه يجوز أن يعود الضمير إلى لفظ الجلالة، أي الله "الذي" صفة لله لا لرسول الله الذي إذا دعوته ...، لكن الظاهر أن " جابر ابن سليم" كان يسأل رسول الله عن ذاته، أي يريد التعرف على الرسول ﷺ، ومن تما فإن النبي ﷺ يتحدث عن نفسه وأكد له أنه رسول الله، وأنه يتصف بالصفات التي ذكرها له، وكان يجب أن نحتاط ونشرح الحديث بالشرح الذي ذكرناه، حتى لا يتصور أحدا أن رسول الله يشرك نفسه مع الله في أن الإنسان إذا دعا رسول الله تماما كما إن دعا الله. ماعدا الله أن يعني رسول الله بهذا الكلام هذا .ومعنى الحديث أنا رسول الله إن طلبت

منه أن يدعو لك دعا لك فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه وكشف عنك هذا الضيم. وهنالك أحاديث كثيرة تؤل هذا التأويل، وتوسلنا لرسول الله بأن يدعو الله لنا، والاستجابة دائما من الله سبحانه وتعالى.

وعلماء اللغة قالوا أن الصفة إذا كان قبلها موصوفان أحدهما نكرة والأخر علم فالأصل أن تكون الصفة لنكرة لا للعلم الذي قلما يوصف، مثل قولنا غلام خالد الذي، وصفة الذي الأصل أن تكون صفة للغلام وهو نكرة .

الدعوة: من المناخ الجاهلي إلى دار الإسلام:

لما امتلك المسلمون ما ينبغي أن يدودوا عنه انتقلت المرحلة من الجهاد باللسان إلى الجهاد القتالي، وهذا لما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة عندها امتلكوا الأرض وهي المعنية بدار الإسلام، وامتلكوا نظام الجماعة والتي عبر عنها بكلمة الأمة، هذه الأمور الثلاثة هي التي تكونت منها الدولة الإسلامية. وأعداء الإسلام نظروا إلى هذه المكتسبات نظرة خطورة، ووضعوا كل همهم في القضاء على الدولة الإسلامية، وعندها كان لابد من وجود جندٌ يحرسون هذه الدولة، متمثلة في دار الإسلام في الجماعة في الأمة في النظام السلطوي، ومن هنا شرع القتال بقوله تعالى :" **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**" فتسلسلت الآيات الآمرة بالجهاد بعد ذلك، لنقف وقفة تفصيل مع هذه الأركان الثلاثة لدولة، دار الإسلام، الأمة والنظام السلطوي.

أولا: دار الإسلام: هي أول دار متع الله سبحانه وتعالى بها المسلمين وجعلها منطلق حركة ووعاء نظام ووعاء تلاق واجتماع فيما بينهم، وتسمى هذه الأرض دار إسلام، وهذه الكلمة هي اصطلاح فقهي أطلقها الفقهاء على كل أرض دخلها الإسلام، واستقر فيها إن بقتال أو بصلح وبسلام وآمان، والمسلمون فيها يمارسون شعائر الإسلام براحة ودون وجل أو خوف، والمدينة المنورة هي أول دولة إسلام، دخلها الإسلام عن طريق الدعوة .وتطبيق شريعة الإسلام ثمرة لكون أرض ما سميت بدار إسلام، أي حتى ولو لم تطبق شريعة الله في تلك الدار فهي دار إسلام، لكن على أهلها تطبيق الشريعة.

معنى دار إسلام موجود في كتاب الله سبحانه وتعالى ،وأحكام دار إسلام نص عليها كتاب الله سبحانه وتعالى، ولننظر إلى قول الله عز وجل:"**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا**

يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا " معنى هذا الكلام أنه بعد الموت مباشرة يسأل ملائكة الله أناسا يعيشون في أرض لا تعرف الإسلام ومن تما لم يمارسوا دينهم، وجوابهم للملائكة أنهم كانوا في أرض لا ظل للإسلام فيها ولم يستطيعوا أن يطبقوا شعائر ديننا، وجواب الملائكة قولهم: "ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها "، وهجرتهم تكون إلى أرض يشيع فيها الإسلام، تلك هي دار إسلام. والمصطلحات الاسمية تتبدل حسب اللغة لكن المعنى تابت ومستقر في كتاب الله سبحانه وتعالى.

ـ وما يقابل دار الإسلام يسمى دار كفر وهي تنقسم إلى قسمين وهما: دار حرب ودار آمان، حيث إذا أعلنت الدولة الحرب على دار من ديار الكفر سميت عندئذ دار حرب، أما إذا أعلنت صلحا وسلما بينها وبين دار من دور الكفر سميت عندئذ دار أمان أو دار صلح .

أحكام دار إسلام: أول دولة إسلامية بعد بعثة رسول الله هي المدينة المنورة وأحكامها هي:

على الذين يعيشون في دار كفر وقد وجدت هذه الدار أن ينتقلوا منها إلى دار إسلام، فالهجرة واجبة بنص كتاب الله سبحانه وتعالى، وقد قال العلماء :" أنه لا يجوز لمسلم أن يستوطن في دار كفر، له أن يقيم فيها إقامة مؤقتة لدراسة مثلا أو لتطبب، لتجارة لدعوة أو أي مصلحة أخرى، أما أن يستوطن ويتجنس فهذا غير جائز، وفقا لنص القرءاني المذكور.

ـ سؤال هل يمكن لدار إسلام أن ترجع فتصبح دار كفر؟ المالكية والشافعية والحنابلة قالوا :" دار دخلها الإسلام واستقر فيها إلى يوم القيامة تبقى حكما دار إسلام " قيمة هذا الكلام مثلا الأندلس دخلها الكفر فأصبحت مثل الديار الأخرى، ومنه على المسلمون أن يعيدوها إلى حظيرة الإسلام ،وأن يتحملوا في أعناقهم مسؤولية تطهيرها.

ـ السادة الأحناف لهم رأي انفردوا به قالوا :" هذه الدار إذا شاع فيها الكفر، بحيث لم يعد المسلمون يستطيعون أن يأمنوا في تلك الدار، ولا يستطيعون أن يعلنوا شعائر الإسلام، ولم تكن هنالك دار إسلام متاخمة لها، ممكن أن تعود دار كفر " اشترطوا شروطا ثلاثة تنطبق على الأندلس، لكن فلسطين متاخمة لدور الإسلام من كل الجوانب لهذا هي بالإجماع لا تزال دار إسلام، ومن تما لا يجوز أن يتخلى عنها المسلمون لا الذين في الداخل، ولا المسلمون الذين في الخارج .

ثانيا: معنى الأمة: الأمة في مصطلح الشريعة الإسلامية ومصطلح كتاب الله عز وجل كل فئة أو جماعة من الناس التقت على مبدأ واحد، فإذا قلنا أمة محمد ﷺ أي الطائفة التي التقت على الإيمان برسالة محمد ﷺ .

ـ وهنالك مصطلح ثان لكلمة الأمة وهو كل من بعث إليها رسول الله، وتسمى هذه أمة الدعوة وهي كل من يعيش على هذه الأرض اليوم، أما أمة الاستجابة فنحن المسلمون الذين اجتمعوا على الإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ

ـ وتما ميلاد الأمة على هذا المعنى بعد هجرة المصطفى ﷺ ووجدت الجماعة التي أحدقت برسول الله ﷺ، من أنصار ومهاجرين وقد استمسكوا بالدين الذي بعث به رسول الله ﷺ، وهذه الكلمة بهذا المعنى هي التي جاءت في قول الله تعالى :" **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**" وكلمة أمة هنا تعني أمة الاستجابة. وكلمة الأمة ولدت ولادة دستورية عندما أعلن رسول الله ﷺ بعد استقراره في المدينة الدستور الذي بنا على أساسه الدولة الدستورية الجديدة، ووجد دستور مؤلف من تسع وأربعون بندا صيغت كأحدث ما تصاغ الدساتير اليوم عليها، وفي أول بند في هذا الدستور يعلن ولادة الأمة، وقبل ذلك ما كانت العرب إلا قبائل متفككة العرى متدبرة متقاتلة.

ويقول البند :" **المسلمون من يترب ومن تبعهم فلحقهم أمة واحدة من دون سائر الناس** " ويقصد بكلمة من دون سائر الناس تعني أن غير المسلمين لا يدخل في كلمة الأمة، وإن كان داخلا في كلمة المجتمع الإسلامي.

وهنالك بند ينص عن اليهود الذين كانوا بالمدينة يقول :" **يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم إلا من ظلم وأثم فإنه يوثب أي لا يهلك إلا نفسه** " قوله أمة مع المسلمين أي أمة مستقلة عن الأمة الإسلامية ويجمع الأمتين اسم المجتمع الإسلامي .ومن البنود أيضا وهو من البنود التي ذكرت لما رحت مسألة السلم مع إسرائيل :" **سلم المسلمين واحدة لا يسالم المسلمون عدوا لهم إلا على سواء بينهم** " ومعنى سلم المسلمين واحدة أي لا يجوز لفئة من المسلمين من أن تنفرد بمسالمة عدو، لهم أن يتفقوا جميعا على السلم فلهم ذلك أو على عدم السلم. وآخر بند يقول فيه :" **كل حدث أو إشتجار يجري بين أصحاب هذه الصحيفة مرده إلى الله ورسوله**" وهذا أسمى دستور في صياغته عرفته البشرية جمعاء .

هنالك كلمة أمة إسلامية وكلمة جماعة إسلامية وكلمة مجتمع إسلامي، أما كلمة أمة وكلمة جماعة فبمعنى واحد كما جاء في البند الأول، أما المجتمع الإسلامي وهي كلمة تجمع المسلمين وغير المسلمين أيا كانوا طالما كان هؤلاء جميعا خاضعين لنظام الإسلامي الذي لا يشترط أن يكون جميع من يعيش تحت مظلم المجتمع الإسلامي لهم نفس العقيدة، مع اشتراط خضوعهم لنظام الإسلامي.

ومن جملة هذا النظام أن الناس أحرار في معتقداتهم وأن نسق النظام الاجتماعي يحمي الجميع، تحت قاعدة شرعة لهم ما لنا وعليهم ما علينا. لذلك صح أن نقول هنالك إسلام سياسي وإسلام اعتقادي .

- **(الدرس8)** متابعة موضوع دار الإسلام والمجتمع الإسلامي ومصدر انبثاق الجهاد القتالي- ج 2

الإجابة عن سؤال: من الملاحظ في دروس الجهاد، وقبل ذلك أفهم من كلامك وشرحك لدروس أن الدين مجرد صفح وعفو وتحمل للأذى من الآخرين، وتحمل الأذى من أجل الله، حتى إذا عند بعض الناس أن هؤلاء المتدينين جماعة بسطاء دراويش مساكين بالمعنى الذي تعرفه، أين قوة المؤمن وعزته إذا كان الأمر دائما تسامحا، أين عمر أين خالد أين بقية الأبطال رضي الله عنهم، نرجو التوضيح و جزاكم الله خيرا .

شرح السؤال: هذا الأخ فهم من دروسنا أن الإسلام عبارة عن دروشة وعبارة عن ضعف ومسكنة، وأن المسلمون ليسوا مكلفون بأن يحافظوا على حقوق لهم وعلى مكتسبات، وإنما هم عبارة عن جماعة دائما يرفعون اللواء الأبيض والمسالمة والاستسلام .

الجواب من حيث الشكل:نقول للأخ أنت تحضر دروس علم تماما مثل الدروس الأكاديمية التي تلقى في الجامعات وغيرها، في هذه الحالة ينبغي أن تعلم أننا لا زلنا في الدهاليز، وأننا بدأنا نقول أن السلم في هذه الحياة هو الأصل، وأن الحرب عارض يأتي لسبب، وقلنا أن المسلمين لما كانوا مع رسول الله محمد ﷺ في مكة لم يكن هنالك جهاد، لأنه لم تكن هنالك حقوق تقتضي الدفاع عنها ولذلك لم يكن هنالك جهاد قتالي، ولما استقر المقام برسول الله ﷺ بالمدينة المنورة مع أصحابه رضوان الله عليهم، وجدت مكتسبات للمسلمين وهي دار الإسلام والأمة والنظام السلطوي. ولذلك لا تستعجل ونحن ندرس الجهاد في مراحل، والآن نتحدث عن الجهاد كيف شرع ومتى ولماذا شرع، وبعد حديثنا عن هذه المكتسبات نتحدث عن الجهاد الحصن الأول للمجتمع الإسلامي ودار الإسلام، عندها ستجد أن المسلمين ليسوا دراويش وليسوا مساكين، بل المسلمون ينبغي أن تكون عيونهم مفتحة لحماية كل شبر من دار الإسلام، ولحماية الأمة من أن يتربص بها متربص، وحماية نظامها.

والطالب عليه أن يتحين وقت السؤال.

الإجابة من حيث المضمون: فالجهاد لا يعني القسوة والعنف أبدا، وعمر وخالد والقعقاع ابن عمر وكل هؤلاء لم يكونوا أقوياء بمعنى العنف الذي نراه أو نسمعه الآن أبدا، ولم يكونوا أعزة بالمعنى المزيف للعزة، بمعنى أن يكون الإنسان حقودا وينطلق إلى مقارعة الآخرين بدافع من الحقد أبدا ما كان الصحابة كذلك إطلاقا، لكنهم كانوا أعزة فعلا وأقوياء ومجاهدين فعلا ضمن حدود الشريعة التي رسمها الله عز وجل، وهذا ما سنجده الآن. وكانت تعني عزتهم أنهم كانوا حراسا على كل شبر من أرض الله التي وهبها الله للمسلمين أي دار الإسلام، فإذا شموا رائحة بغي تخططه دولة أجنبية كالرومان والفرس وغيرهما، إنقدفوا كالشواظ إليهم. مثلا غزوة تبوك ما وقعت لما طرق الرومان باب المسلمين، وإنما بلغ رسول الله ﷺ أنهم يخططون فوجه إليهم أعزة المسلمين. أي كان المسلمين في أيامهم ولياليهم يرقبون الأعداء لا يغفلون و يتركونهم يخططون بل يبدؤون بهم قبل أن يبدؤوا. وهكذا يجب أن يكون المسلمون في كل عصر. ولكن هل هذه العزة هي ما نراه اليوم (الدروس كانت في سنة 1996) حيث المسلمون يتقاتلون بينهم بالجزائر وأفغانستان وغيرها. وهذه ليست عزة وإنما هي نيران ينفخ فيها أعداء الإسلام. ونحن ندرس الآن أحكام الجهاد في الشريعة الإسلامية لنرقى إلى مستوى القوة والعزة اللتين كان يتصف بهما فعلا كما تقول عمر وخالد والقعقاع وكل الصحابة منهم أبو بكر وخاصة أيام حروب الردة.

- تقرير صدر من مجلس الأمن القومي الأمريكي في أواخر عام 1991، يتحدث التقرير عن خطورة الإسلام على المجتمعات الغربية، ويوصي بالوقوف في وجه هذا الخطر، ويرسم لذلك عدة بنود كوسائل علاجية منها: إثارة المسلمين بعضهم على بعض، وإثارة التناقضات بين المسلمين وتأليب بعضهم على بعض، كما يجري اليوم تماما، وتحويل الإسلام إلى إسلامات متناقضة يحارب بعضها بعضا. علينا أن نكون على علم وإطلاع لأمثال هذه التقارير، وما يجري إلا تنفيذ لهذه الخطط، ونحن ننشد القوة والعزة لكن بشرط أن تكون منضبطة بالشريعة التي سندرسها الآن .

ثالثا: النظام السلطوي: تكون من رئيس دولة وهو سيدنا محمد ﷺ، كان لرسول في مكة شخصية واحدة وهي شخصية الرسول المبلغ، ولما هاجر إلى المدينة ووجدت الأرض ووجد الدستور ووجد النظام أصبحت له شخصية ثانية هي شخصية رئيس الدولة، وانبثق النظام السلطوي من وجود رئيس الدولة، ووجدت سلطة حاكمة بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة وأصبحت لها سيادتها ومن تما تنزلت الآيات الكثيرة التي تنبه الناس إلى أن هنالك إسلام وهنالك حكم بالإسلام، ومنها آيات

في سورة المائدة وسورة النساء مثل قوله تعالى :" فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا "

ـ أثرت التعبير بالنظام السلطوي من القول السلطة الحاكمة، حيث تجعل كثير من الناس يعلق في دهنهم أن هنالك فعلا سلطة حاكمة في ظل المجتمع الإسلامي، بينما لو دققنا النظر لوجدنا أن الدولة الإسلامية ليس فيها سلطة بشرية حاكمة، فالسلطة الحاكمة إنما هي لله سبحانه وتعالى. إذن هذا التعبير بالسلطة الحاكمة تعبير غير دقيق، وابتعادا عن هذا الوهم فالأفضل أن نقول" النظام السلطوي "الذي يضبط الأمة بمنهج معين، وهو نظام يرعاه الله سبحانه وتعالى. وفي ظل الدولة الإسلامية لا نقول السيادة لشعب، وإنما نقول السيادة لله سبحانه وتعالى والشعب هو المنفذ لحكم الله، والقادة الذين يسوسون المجتمع الإسلامي هم المنفذون لحكم الله سبحانه وتعالى كما أمر، والتعبير القرءاني هم الخلفاء عن الله سبحانه وتعالى في تطبيق نظامه الذي أرساه فوق هذه الأرض، وهذا معنى قول الله عز وجل :" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ " أي أعهد إليه بالنظام الذي ينبغي أن يطبق في حياته، وأجعله المسئول على رعاية هذا النظام .

في المجتمعات الغربية نظم الديمقراطية تقول السيادة لشعب لأن الشعب هو الحاكم، وهذا غلط، وقد يجول في أدهان بعض الناس أن السيادة إذا لم تكن لشعب يعني أن الناس عبيدا في المجتمعات الإسلامية. وهو كلام فيه مغالطة كبيرة جدا جدًا. لأننا عندما نقول أن السيادة لله سبحانه وتعالى والناس كلهم تحت سلطان هذه السيادة عبيد لله سبحانه وتعالى. وهل هنالك سيادة أغنى وأعمق وأرسخ وأعظم من تلك التي تنبثق من عبودية الإنسان لله ؟!

عند تشبعك بهذا الشعور تجد أنك تحررت من عبودية الخلائق كلهم. لكن لما لا تصطبغ بالعبودية لله وتوافق ما يقوله الديمقراطيين أن السيادة لشعب عندها تجد نفسك فجأة عبدا لجهة من الجهات، لدولة ما أو لأناس من أمثالك .أنظر إلى واقع العالم وكيف أن المطبقين لكلمة الديمقراطية والحكم لشعب يجدون أنفسهم تحت سيطرة ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي ترعاه أمريكا. والبارئ يأمرنا أن نمارس حريتنا وأن نرفض أي ذل أو مهانة مهما سوقت بألفاظ منها ديمقراطية وحرية وغيرها من الكلمات .

والنظام السلطوي ثمرة لوجود جماعة من الناس تكونت منه أمة، وهي تمتد على أرض لهم لها سيادة لا ينازعهم فيها أحد يأتي دور النظام، والذي دوره إيجاد شبكة من العلاقات التعاونية بين أفراد هذه الجماعة .

ـ هل هذا النظام السلطوي هو الذي نعنيه بالشريعة الإسلامية ؟ لا فالنظام السلطوي أوسع ولها دلالة شمولية أكثر اتساعا من قولنا أحكام الشريعة الإسلامية والتي تنبثق من اليقين الإعتقادي ولالتزام الديني، أما النظام السلطوي فمن شأنه أن يغطي بضوابطه المسلمين وغير المسلمين.

ـ ومنه نقول أن الإسلام له وجودان اثنان وهما :

1 ـ وجود ديني اعتقادي: ينبثق من اليقين الإعتقادي الذي ينبغي أن يعتقد به كل مسلم، وهذا الوجود ينبثق من العقل والقلب .

2ـ وجود سياسي: وهو هذا النظام وينبثق من الأرض الإسلامية التي تحتضن مسلمين وغيرهم .

وعن العلاقة بين الوجودين فإن كل وجود للإسلام خاضع للوجود السياسي حتما، ولكن ليس كل وجود سياسي للإسلام خاضع للوجود الديني الذي هو خاضع لنظام السلطوي العام، والخاضع قد يكون مسلم وقد يكون غير مسلم، وغير المسلم ليس ملزم بالخضوع الإعتقادي. لكن الوجود الديني للإسلام يعني الإنسان الذي انبثق الإيمان بالله في عقله وفي قلبه هو خاضع لعقائد الإسلام وخاضع أيضا لنظام الإسلام .

ـ هناك من يقول أن الإسلام عبارة عن دين وليست له أي معالم سياسية وليس له أي دولة، إنما هو علاقة بين العبد وربه كما يقول اليوم دعاة العلمانية! فما الدليل على أن الوجود الإسلامي فوق أرض ما يستلزم نظاماً سلطوياً ؟ أمامنا دليلان اثنان من أوضح الأدلة والبراهين:

الدليل الأول: بيعة العقبة الثانية: والتي تمت بين رسول الله ﷺ والذين جاءوا من المدينة المنورة الأوس والخزرج قبيل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بأشهر، وتقول البيعة: يروي" عبادة ابن الصامت" رضي الله عنه أن رسول الله قال :" بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في المنشط والمكره وعلى أثرة علينا وفي أثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله فمن وفى ذلك فأجره على الله، ومن ارتكب من ذلك شيئا فستره الله فهو إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه ..." هذه البيعة تعني أنها عمل سياسي بعد البيعة الأولى والتي هي إعلانهم الدخول في الإسلام وتشهد الشهادتين، وبايعوه هنا بوصف رسول الله أنه سيصبح رئيس دولة عند الهجرة إليهم، إذا هي بيعة الشعب للقائد. إذا هذا دليل أن الإسلام دين ودولة أيضا .

الدليل الثاني: الوثيقة التي تحدثنا عنها أي الدستور بما هو معروف الآن، وهي وثيقة رسمت الخطوط العريضة لنظام الاقتصادي والاجتماعي، وللعلاقة ما بين المسلمين بعضهم مع بعض،

وعلاقة المسلمين مع اليهود، في حالة السلم وفي حالة الحرب، والشرعة التي ينبغي أن يلجئوا إليها عند الخلاف وعند المحاكمة وما إلى ذلك، وما تعالج الدساتير في حياة الأمم إلا هذه الأمور.

قال الدكتور: أنه كان قد بسط هذه الأمور في كتاب له اسمه "على طريق العودة إلى الإسلام رسم للمنهاج وحل لمشكلات" ومن هذا الكلام نقرأ منه ما يلي :" الشريعة الإسلامية تنبثق ضرورة تطبيقها من جانبين اثنين، أما أحدهما فهو الجانب الإعتقادي وإنما يؤخذ به المسلمون وهم الذين آمنوا بوحدانية الله وبنبوة رسول الله محمد ﷺ وبعثته إلى الناس جميعا وبأن القرءان كلام الله عز وجل، وأما ثانيهما فهو الجانب السياسي والقضائي الذي من شأنه أن يشيع بين الحاكم وأفراد المجتمع إقرارا للعدالة وتثبيتا لنظام وإشادة لدولة، وإنما يؤخذ بهذا الجانب كل من دانا لسلطان الدولة، وتقدم بالولاء والبيعة لها أيًا كان معتقده الديني مسلما أو كتابيا، فأما المسلم فهو ملزم بالخضوع لأحكام الشريعة الإسلامية بموجب بيعتين اثنتين، البيعة الأولى مع الله، والبيعة الثانية مع الخليفة أو رئيس الدولة عندما أعلن ولاءه لهذا النظام، وأما الكتابي الداخل في نظام السلم الإسلامي والمستظل بذمة الدولة الإسلامية فهو ملزم بالخضوع لنظام الإسلامي المنبثق من أحكام الشريعة الإسلامية، بموجب البيعة الثانية وحده، وهي البيعة السياسية التي تسري ما بينه وبين أعلى سلطة في الدولة الإسلامية" وهذا الكلام ينبغي أن يكون راسخا بأذهاننا وهو معنى قولنا الدولة الإسلامية تحتضن الإسلام الإعتقادي وهو ما نتبناه نحن جميعا، والإسلام السياسي وهو ذاك الذي يقتضي من المواطن الخضوع لنظام الدولة، لكنه غير خاضع للمعتقد الإسلامي، وهو حر في المجتمع الإسلامي، بل له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

من خلال هذه المكتسبات الثلاثة انبثق الجهاد القتالي . ينصح الدكتور لمن أراد أن يتوسع أن يرجع إلى أي كتاب في السيرة ويقرأ الوثيقة التي اعتمدها رسول الله صلى الله عليه وسلم كدستور ينظم حياة المجتمع الإسلامي في المدينة، أي ينظم حياة كل من يعيش فوق هذه الأرض من مسلمين وغير مسلمين .

ـ الجهاد هو الحصن الأول لحماية المجتمع الإسلامي ودار الإسلام :

هنا نعني الجهاد القتالي الذي شرع بعد الهجرة، وكل الآيات التي وردت فيها كلمة جهاد وهي مكية يقصد بها الجهاد الدعوي وهي القاعدة الأساسية، ثم يتطور الأمر إلى أن يحين ويأتي ظرف يحتاج المسلمون فيه إلى جهاد قتالي أيضا، ذلك لأن لهم حقوقا موجودة يجب عليهم أن يكونوا حراسا لها، وهذا يوضح لنا بجلاء أن الجهاد القتالي الذي شرعه الله تعالى في المدينة هل كان من

أجل القضاء على الكفر، أم كان من أجل القضاء على الحرابة؟ بناء على ما قلناه فإن الجهاد الذي شرعه الله عز وجل إنما كان لدرأ الحرابة، لا للقضاء على الكفر، وهذا ما اتفق عليه جمهور الفقهاء، وهذا في مذهب المالكية والحنابلة والحنفية، وهو أحد قولين للإمام الشافعي في "الأم". ورأي الجمهور أن الجهاد شرعه الله عز وجل للوقوف في وجه من يريدون كيدا بالإسلام والمسلمين، أي يريدون أن يقتنصوا من المسلمين واحدا م المكتسبات الثلاثة. ودرأ الحرابة ينبغي أن يكون منذ اللحظة الأولى، والقاعدة الفقهية تقول :" الروم إذا لم تُغزى غزت" وسيدنا رسول الله اتجه إلى خيبر لما بلغه عن طريق إستخباراته ﷺ أنهم قد نسقوا مع قبيلة غطفان خطة لحرب المسلمين، وتأكد من هذا، فقطع الرسول الطريق بين غطفان وخيبر واتجه بعد ذلك إلى خيبر.

- **(الدرس9) درس خاص عن محاربة الإسلام في عصرنا باسم الإسلام**

يحارب الإسلام اليوم بسلاح الإسلام، وقد انتهى ذلك العهد الذي كان يعلن فيه الأعداء حربا للإسلام جهرا، ويتهمون الإسلام بالرجعية .أكرم الله عز وجل هذه الأمة في هذا العصر بالصحوة الإسلامية (الدرس كان عام 1996) فجاء من حاول ولا يزال يحاول أن يجهضها، ولعلكم تلاحظون مظاهر إفساد الصحوة الإسلامية، في كثير من بلادنا العربية والإسلامية .

دائما إذا دعي الناس إلى العلم فالإسلام هو الذي يتفوق، وإذا دعي الناس إلى الحوار فالإسلام هو الذي ينتصر، لكن جاء من يفسد الحوار أيضا .

هنالك قناة تلفزيونية مشبوهة ظهرت قبل أشهر لفتت أنظار الناس لزخمها الإخباري والسياسي وما إلى ذلك، وفي هذا الغضون طرحت موضوع الحوار وظن الناس أنه حوار حقيقي ظاهره كباطنه واستبشر الناس خيرا، ذلك كما قلنا الآن أنه لا يمكن للحوار الحقيقي أن تقام سوقه إلا ويكون الرواد فيه لدين الله سبحانه وتعالى، ونظرنا وإذا به حوار مزيف يستبطن الكيد لدين الله عز وجل .

ـ نتحدث أولا عن ناحية علمية منطقية تتعلق بالحوار قبل التحدث عن تلك القناة، وقال الدكتور أنه إذا كان يقدس الدعوة إلى الله فهذا يقتضي منه أن يقدس الحوار، لأن الدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى لا تتمر ثمراتها الحقيقية إلا بتربة الحوار، وللحوار آداب ومنهج وله قواعد، وعلينا أن نتحدث عن هذه الآداب حتى لا يخدعكم خادع باسم الحوار .

آداب الحوار:

أولا: أن يكون بين المتحاورين جامع مشترك في مبدأ كلي ما من المبادئ المتعلقة بالمسألة التي يجول فيها هذا الحوار. مثلا: جمعنا اثنان ليتحاورا أحدهما ملحد مجاهر بإلحاده، والأخر مؤمن بالله عز وجل إيمانا حقيقيا، وجمعناهما ليتحاورا في مسألة أن محمد برسول أم ليس برسول، أو جمعناهما ليتحاورا في أن الشريعة الإسلامية صالحة لتطبيق أم ليست صالحة. هل هذا الحوار يمكن أن يُوصل إلى نتيجة؟ أبدا فالملحد ملحد لما أناقشه في نبوة رسول الله ﷺ، لو ناقشته عاما كاملا هو منطقي مع نفسه عندما يقول محمد ليس بنبي، لأن نبوة محمد متفرعة عن ألوهية الله، وهو غير مؤمن بألوهية الله، عندها أكون أعبث عندما أدعوه وأدعو مسلما في أن يتناقشا من أن القرءان كلام الله أو ليس كلامه، أو أن محمد نبي أو ليس بنبي،أو أن الشريعة الإسلامية صالحة أو ليست صالحة.

ونقول ندعو هذين الشخصين لكن لا للحوار في هذه المسائل الفرعية، وإنما للحوار في الأصل، نحاوره في إلحاده، ونبحث معه في أمر وجود الله تعالى.

ثانيا: أن يكون المتحاورين متكافئين في الثقافة وفي الاختصاص وفي الدراية، مثلا أنا إذا عقدت مجلس حوار أمامكم، فدعوت أحد المتحاورين وهو مختص بالفلسفة وعلم الاجتماع، ونظرت فإذا به ذو ثقافة واسعة، وجئت بأخر ليتكلم باسم الإسلام فقيه، معلوماته محدودة درايته الثقافية العصرية محدودة وضعيفة جدا، ولا يملك منهجا فيما يتعلق بالحوار. فاعلموا أنني أخادعكم و أستهين بعقول الجمهرة النظارة، لأن هذا الحوار مقضي عليه بالفشل، أي أنني سلفا أريد أن أنتصر لأحد الطرفين، وأن يبوء الأخر بالفشل. وهذا ليس شأن الحوار.

ـ هنالك من رأى أن المسلمين البعيدين عن العنف والتطرف. والآن التطرف يصنع في أمريكا ويورد إلينا ليمثله أناس مسلمين بحسب الظاهر وهؤلاء مهمتهم إجهاض الصحوة الإسلامية. وهنالك كما قلت أنه من رأى أن المسلمين اليقظين والواعين من الدعاة إلى الله يرفعون لواء الحوار، ونرى فنجد أن الحوار دائما نتيجته في طرف المسلمين، فسابقونا إلى الحوار وأقاموا طنينا ودعاية ضخمة لحوارات يقدمونها، ولفتوا فعلا أنظار الناس لهذا، ونظرنا وإذا بهذا الحوار حوارٌ مزيف، وإذا به كالقنبلة الموقوتة، ترى من وراء ذلك إجهاض ما يسمى بالحوار وإرباك المجتمع الإسلامي وإدخال الشبهات والشكوك في أذهان المؤمنين المستقيمين والواثقين من حقيقة دين الله سبحانه وتعالى .

ـ هذه القناة الخليجية مند أشهر أقامت حوارا بين اثنين واحد يدعو إلى العلمانية والأخر يدعو إلى الإسلام وهو رجل فقيه وداعية، لو سألناه في مسألة فقهية لأجاب ولأتقن، ويستطيع أن يناقش وربما أعده مجتهدا أيضا في كثير من الأمور الفقهية، والشخص الأخر لا علاقة له بالفقه، لكنه يحمل

اختصاصا في الفلسفة، وحديثة الذي ينطلق منه إلى شروده الإيماني وتوجهه الإلحادي، إنما ينطلق من قاعدة فلسفية. وجيء بهذين الاثنين ليتناقشا .

هل هذا حوار سليم ؟ لا بل عليك أن تأتي بإنسان ينطلق إلى العلمانية أو الإلحاد من قاعدة فلسفية، وتأتي بإنسان مسلم ينطلق أيضا إلى الإسلام من القاعدة الفلسفية، حتى يكون هنالك مجال للأخذ والرد في نقاط واحدة. لكن كان الهدف من وراء ذلك مقصودا. حيث انتهى ذلك الحوار وترك الأصداء التي كان يطمح إليها المخططون لذلك الحوار في تلك القناة. وقبل أيام أعيد هذا الحوار على نسق أخر، وهنالك من اتصل من أجل أن يدير أمر هذا الحوار، ويخطط له، ونبه إلى أن هذه الطريقة في الحوار طريقة زائفة وخداعة وسئل لماذا لا تستقدمون من يكون كفئًا لهذا الإنسان في اختصاصه، فارتبك الذي سئل ولم يحر جوابا، ثم عادت الكرة لكن بطريقة أشنع، حيث جيء بإنسان ملحد يعلن إلحاده على ملأ، ويتباهى بإنكاره للقرءان وبسخريته منه، وجيء بشيخ من الأردن ذي معلومات محدودة ودراية ضيقة، عن أنه لا يعلم شيئا من منهج الحوار، وعقد بينهما مجلس حوار لنتأمل كيف كان هذا الحوار. كان الملحد وهو سوري عربي مقيم بأوروبا، كان في معظم فترة الحوار يقف موقف الساخر من الدين ومن القرءان، حيث أنه لما سئل عن القرءان وصلاحيته قال القرءان غير صالح نهائيا، وفي نظره هو كتاب أوهام وما إلى ذلك. والحوار حول " هل مشكلة فلسطين إسلامية ينبغي أن تعالج بالجهاد الإسلامي أم مشكلة سياسية ينبغي أن تعالج معالجة قومية لأنها عبارة عن احتلال " في حين أن هذا الذي جيء به لا يؤمن بالإسلام أبدا. هل هذا حوار؟؟؟ سلفا معروف ما سيقوله، لكن لو كان هذا الشيخ منهجي ذا دراية لاستوقف هذا الإنسان وهذا الذي يدير الحوار وقال: لا تبدأ بمسألة فرعية وهذا الإنسان ينكر الأصل، تريدني أن أناقشه في ساقية وهو لا يؤمن بالينبوع ؟؟ تريدني أن أتكلم كلام عابث. تعالى بنا نعد إلى الإسلام، وأناقشك في مسألة وجود الله، وأناقشك في مسألة الكون هل له صانع أم لا ؟ ثم بعد ذلك أناقشك في النبوات، وأناقشك في القرءان هل هو كلام بشر أم هو كلام غير بشر. وبعد ذلك نصل إلى النقطة التي طرحت لديك فالمسألة مخططة. اطرحوا لأنفسكم هذا السؤال بالنسبة للماضي القريب، هل هنالك إذاعة من الإذاعات العربية أو الأجنبية الناطقة باللغة العربية، جاءت في يوم من الأيام بإنسان يقول وراء المذياع وأمام الكاميرا: القرءان تافه ولا أصل له ولا قيمة له وليس صالحا في هذا العصر ؟؟؟ هل هنالك إذاعة استنطقت إنسانا ملحدا بهذا الكلام ؟؟ إطلاقا، وقال الدكتور أنه على يقين أنه لو وقف باحثا في حديث تلفزيوني حواري أو أيا كان، في أي قناة كانت ولو أوروبية،

إذا أراد أن يقول كلاما عن أصل الدين مسيئا إلى القرءان ساخرا به، فإنه سيمنتج هذا الكلام، إن لم يكن احتراما لهؤلاء القائمين على هذه القناة فالدين، فرعاية لمشاعر الناس الذين يحترمون هذا الدين. ولكن لأول مرة في هذا العصر الحديث يستقدم إلى "الجزيرة" هذا الذي رحب به ليقول هذا الكلام :" أن القرءان غير صالح، وأنه عبارة عن أوهام، وأنه كلام يتنافى مع العلم " ويسأله من يدير الندوة مرة ومرتين ليؤكد هذا الكلام. وهذا ليس حوارا، وإنما هو عبارة عن محاورة يدس فيها الكلمات المناقضة للإسلام باسم الإسلام وباسم الحوار، ولأول مرة في التاريخ حتى يوجد هذا الطرح ويعمل عمله في أدهان الناس. وهذه خطة.

لو أن هذا الإنسان الذي جيء به ليحاور في الأصل لا في مسألة فرعية لقلنا هذا حوار، لكن بشرط أن يكون الذي يحاوره رجلا مشبعا بالدراية العلمية والفلسفية والمنطقية، وذا قدرة فكرية على الانضباط بالمنهج وعلى ضبط صاحبه أيضا بالمنهج. ولكن أين هذا الحوار ؟ وكان الرد لمن اتصل لمن يدير القناة، عندما قيل تريدون أن تحاوروا ينبغي أن تأتوا بأكفاء، وينبغي أن لا تتصيدوا أناسا من مستوى فكري وثقافي وعلمي معين ليفوزوا، وتتصيدوا أشخاص من مستوى أخر معين ليغلب على أمرهم. وكانت النتيجة أن انتقلوا من مشكلة إلى مشكلة أشد ـ علينا أن نكون على بينة أن إسلامنا ينتشر بالحوار، وينتشر بالدعوة الحوارية العلمية كما انتشر بالأمس، لا كما يقول أعداء الدين أن الدين انتشر بالسيف والقهر والإجبار، بل انتشر الدين بالحوار العلمي. وهناك اليوم دعاة ومفكرين على مستوى جيد يدعون إلى الحوار، والذين جندوا لمحاربة الإسلام والكيد له يحاولون أن يدسوا أنفسهم في كل طريقة من الطرق التي يتم بها الانتصار لدين الله لإجهاضها، حيث وجدت الصحوة ووجد من أفسدها ،وباسم الحوار هناك من أفسد الحوار الحقيقي.

ـ وبالنسبة لما بث في تلك القناة فإن من المتصلين من حيل بينهم وبين إرادتهم في التدخل، ونتساءل أي حوار هذا ؟؟ لا شك أن تلك القناة التي لفتت أنظار الناس بالأمس وظُن أنها قناة نظيفة وأن تلك الدعاية التي تألقت بها بالأمس قد خبت اليوم، ولا شك في هذا ولا ريب. وهي موجهة وتخدم جهة أجنبية وينبغي أن نكون على بينة من هذا الأمر. وديننا دين علم وتقدم ودين تحرر وثقافة، ودين حوار. ولكن لا يخدعن أحد باسم الحوار الزائف .

ـ من جملة ما قيل في الحوار في تلك القناة: أن الشيخ سأل ذاك الملحد قائلا له: آتني بآية واحدة تخالف العلم ؟ فقال الملحد: سورة الفيل وما فيها من أن طيور دمرت جيشا بأكمله، هذا ليس كلام علم .وهنا الرجل إما جاهل أو يستخف بعقول الناس. لما نزلت السورة وتلاها رسول الله على

أهل مكة، فأكثر من خمسين بالمائة منهم وهم شيوخ كبار كانوا حاضرين لما غز أبرهة مكة. من أمثال "عتبة ابن ربيعة" وغيره. فلو لم تكن هنالك طيور فعلا كان أعداء رسول الله أول من يمزق دعوته ويقضي عليها، ثم ليعد هذا الملحد إلى الشعر الجاهلي، فعدة قصائد منها وصفت تلك الطيور التي سدت الأفق، وتلك الحجرات التي كانت تلقيها وما فعلته بجيش أبرهة. ويقول هذا الرجل الجراثيم معقول أن تفتك بالجيش أما الطيور لا. ونقول له باسم العلم ما الفرق بينهما ؟؟ نقول لك أنك تعودت بشيء عودك الله عليه أن يجعل من الجراثيم والفيروسات حاملة لأسباب الهلاك والأمراض الوبيلة، لكن لم يعودنا الله على أن طيور تحمل هذا الوباء. ألهذا السبب تقول أن هذا ليس أمرا علمي ؟؟ أي تفاهة هذه !.

وختاما نقول أن الحوار القائم على العلم والمنهج والآداب وعلى الغيرة والحب هو رأس الدعوة إلى الله وتعالى .

تمهيد للدرس القادم :هل الجهاد القتالي لدرء الحرابة أم للقضاء على الكفر؟ مذهب الجمهور ويمثله الحنفية والمالكية والحنابلة يقول أنه لدرء الحرابة، أما بعض الشافعية والظاهرية قالوا أنه للقضاء على الكفر، وسيتم الإصغاء إلى حجج كل من المذهبين والإصغاء إلى النقاش بينهما في الدرس القادم.

- **(الدرس 10) الجهاد الحصن الأول لحماية المجتمع الإسلامي ودار الإسلام – ج 1**

هل الجهاد القتالي لدرء الحرابة أم للقضاء على الكفر؟

في هذا الدرس سنصغي إلى أدلة من قال أن الجهاد القتالي إنما شرع درءاً للحرابة، أي درءاً للعدوان وأسباب العدوان، وهم الجمهور (المالكية والحنفية والحنابلة)، وإلى أدلة من قال أن الجهاد القتالي إنما شرع للقضاء على الكفر وهم جماعة من الشافعية والظاهرية، ثم نصغي إلى النقاش الذي دار بين الفريقين.

أدلة كل فريق:

من أدلة الفريق الأول وهم الجمهور في القرآن الكريم:

وهم المالكية والحنفية والحنابلة الذين قالوا أن الجهاد شرع لدرء الحرابة أدلتهم من القرءان هي :

1 ـ " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (البقرة: 190)

2 ـ "أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ..." (التوبة: 13)

3 ـ "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (الممتحنة: 8 و 9)

" وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً" (التوبة: 36) وواضح أن الكاف في قوله (كما) للتعليل.

أما أدلة الفريق الأول من الأحاديث:

1 ـ حديث يرويه ابن ماجة وأبو داوود والإمام أحمد من حديث "حنظله الكاتب" قال:" غزونا مع رسول الله ﷺ فمررنا على امرأة مقتولة، قد اجتمع عليها الناس فأفرجوا له، ولما رأى المرأة قال:" ما كانت هذه تقاتل فيمن تقاتل(يعني فيما قتلت)" ثم قال لرجل:" انطلق إلى خالد ابن الوليد وقل له، إن رسول الله يأمرك بقوله، لا تقتلن ذرية ولا عسيفا (الدرية هنا بمعنى النساء، وعسيفا وهي المستأجرة لقتال)" ودلالة الحديث هنا واضحة، فلو كان القتال من أجل الكفر إذا لقوتلت المرأة الكافرة، وقد نهى رسول الله من قتل المرأة المشركة لأنه لا يتأتى لها القتال في الغالب.وهذا الحديث روى فيما معناه الإمام البخاري ومسلم من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

2ـ حديث رواه أبو داوود عن حديث "أنس ابن مالك" أن رسول الله ﷺ قال في غزوة من الغزوات وكان يوصي أصحابه فيها، وفيما قال :"انطلقوا باسم الله ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة، ولا تغلّوا، وضموا غنائمكم وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين". أيضاً دلالة هذا الحديث واضحة، فقد منع رسول الله من قتل الشيخ الفاني والمرأة والأطفال ولو كان كافراً لأنه لا يتأتى منه قتال.

3ـ ما أوصى به أبو بكر رضي الله عنه أسامة وأصحابه غداة توديعه له وتسييره لجيشه فقال: "لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلّوا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة.. وإذا مررتم بقوم قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له." هذا الحديث يرويه مالك في موطئه ويرويه أيضا الطبري في تاريخه، إلا أن مالك وهو يروي هذا الحديث نقل هذه الوصية لسيدنا أبي بكر،

وقال :"أوصى بها يزيد ابن أبي سفيان.." مكان الاستشهاد في هذه الأحاديث واضح جدا، ومكان الاستشهاد في الآيات أيضا واضح، فلو كان القتال الذي شرعه الله عز وجل للقضاء على الكفر لكان على المسلمين أن يقاتلوا النساء الكافرات ولو لم يكنّ مقاتلات، ولكن لما منع من قتالهن وقتال الشيخ الفاني والعسيف المستأجر ولو كان كافراً والرهبان في صوامعهم، دلّ على أن القتال إنما شرع ردّاً للعدوان.

من أدلة الفريق الثاني في القرآن الكريم: وهم الشافعية الذين أخذوا بأحد قولي الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، والظاهرية وعلى رأسهم "ابن حزم" ومن أدلتهم من القرءان :

1 ـ قول الله عز وجل :" فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (التوبة: 5) جعلت هذه الآية غاية القتال التوبة والإيمان. إذن دلّت هذه الآية على أن القتال سببه الكفر.

21 ـ وقوله تعالى :" قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" (التوبة: 29)

من أدلة الفريق الثاني من الأحاديث:

1 ـ حديث يرويه "عبد الله ابن عمر" أن رسول الله ﷺ قال :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله " وهذه دعامة حجة الشافعية والظاهرية بالنسبة للأحاديث. وسبق أن ذكرنا هذا الحديث وشرحه أيضا.

2 ـ استدلوا أيضا بما رواه أبو داوود والترمذي من حديث "سمرة ابن جندب" أن النبي ﷺ قال :" اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم"(شرخهم أي صغارهم أي لا تقتلوهم). وكأنما فهم الفريق الثاني أن المراد بالشيوخ هنا الشيوخ العجّز.

3ـ استدلوا بما رواه البخاري في صحيحه من حديث "أنس ابن مالك" أن رجلا جاء فقال لرسول الله ﷺ بعد أن دخل مكة يوم الفتح :" ابن خطَل متعلّق بأستار الكعبة، فقال: اقتله." وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دماء ستة رجال وأربع نسوة، من المشركين يوم الفتح ،إلا إن أسلموا انتهى الإشكال .

ـ مكان الاستشهاد في أدلة الفريق الثاني أن الآية الأولى والثانية من سورة التوبة دلتا على أن الغاية من القتال إنما هي التوبة والدخول في الإسلام، وفي الثانية التوبة أو الجزية.

المناقشة والترجيح:

ـ الشافعية استدلوا من القرءان بآيتين، واستدلوا بالأحاديث التي ذكرناها.

وقد قال الجمهور عن أدلة الشافعية ما يلي: عن الآية الخامسة من سورة التوبة وهي :" فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" قالوا تعالو لنتابع الآيات التي جاءت بعد هذه وهي الآيات السادسة والسابعة والثامنة، لأن هذه الآية وحدها فعلا تدعم رأي الشافعية، وتتمة الآيات في قوله تعالى :" وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ * كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ" [التوبة: 6~8] قال الجمهور كل آية من هذه الآيات تبين أن سبب القتال في الآية الخامسة ليس الكفر، وإنما هو العدوان، ففي الآية السادسة تقول أنه إذا طلب أن يدخلك بلدتك مستجيرا فأجره ولا تؤديه حتى يسمع كلام الله،ومحل الشاهد في قوله:" ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ" أي إذا لم يعجبه هذا الكلام وأراد الرجوع كافرا عليك أن تبلغه إلى المكان الذي يأمن فيه .والآية التي بعدها أيضا تؤكد أن القتل لا من أجل الكفر، حيث تبين أن المشركون ليسوا أهلا لأن تعقدوا معهم معاهدة، لأنكم جربتم عهودهم معكم كانت عاقبتها الخيانة، كما فعل يهود بني قريظة وبني النظير وبني قينقاع، ومحل الشاهد قوله تعالى:" إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" هؤلاء بينكم وبينهم عهد طالما كانوا مستقيمين في معاملتهم لكم، فاستقيموا في معاملتكم لهم. الشافعية قالت أن الآية الخامسة من سورة التوبة ناسخة للآيات التي تأمر بقتال المعتدين فقط، إذن من الآن فصاعدا يجب قتال كل المشركين، إذن لماذا يقول الله تعالى هنا :" إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ " وهؤلاء مشركين وهذه دلالة ثانية لصالح الجمهور، والدلالة الثالثة في الآية الثامنة في قوله تعالى:"كَيْفَ " وقوله كيف أي كيف لا تقاتلونهم والحال:"وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ" أي يتغلبوا عليكم " لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ" أي أنهم خونة إذا كانوا ضعافا يظهرون لكم الوداد، ولكن إذا وجدوا أنهم أصبحوا أقوياء قادرين على أن ينفذوا بأي عدوان عليكم لا يرقبون فيكم إلا ولا ذمة. هذا نص على أن سبب القتال هو الخيانة التي يتصف

بها هؤلاء. أي عليكم أن لا تلقوا لهم بالا أثناء تظاهرهم المسالمة لكم، وتكونوا دائما على حذر منهم.

ـ قيل للجمهور من قبل الشافعية والظاهرية وهذا موجود في كتاب "ابن حزم" المحلى وإن كان هذا الكلام عام، لكن الآية الخامسة صريحة في قوله تعالى :" **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**" جعل الله في هذه الآية غاية ونهاية القتال التوبة، ولم يجعل نهاية القتال الإمساك عن العدوان، ماذا تقولون ؟ قالوا منطوق هذه الآية لن نجادلكم فيه، أي إذا أناس اعتدوا علينا وحاربونا وأمرنا الله بقتالهم درءً لحرابة ودرء لعدوانهم، إذا تابوا نتركهم لكن ليس معنى الآية إن لم يتوبوا إلى الله ويؤمنوا به، لكنهم تابوا عن معاداتكم يجب أن تظلوا تقاتلوهم. أي نحن نأخذ بمنطوق الآية ولا يوجد مفهوم لها هنا. وهذا أعلى مؤشر لنهاية القتال وهو التوبة إلى الله تعالى. والآيات السادسة والسابعة والثامنة شرحت وأوضحت وبينت.

ـ قول الجمهور عن الآية الثانية لشافعية والظاهرية: والآية في قوله تعالى :" **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**" قال الجمهور هذه الآية حجة لنا، قالوا أن البارئ جعل هنا غاية القتال الجزية، لقوله تعالى :" **حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**"فلو كان القتال الذي شرعه الله تعالى من أجل القضاء على الكفر لما كان إعطاء الجزية مبررا لإنهاء القتال، لأن الكفر لا يزال موجودا. وعندما يعطي أهل الكتاب الجزية، فإن الجزية حلت مشكلة الحرابة، ذلك لأن هؤلاء الكتابيين عندما يرفعون لواء المسالمة ويندمجون مع نظام المجتمع الإسلامي، ولكل دينه، ودفع هؤلاء مقابل ما يدفعه المسلمون من الزكاة لدولة، من أجل أن تنهض الدولة برعاية أهل الكتاب لشؤونهم وخدماتهم، فقد ارتفع القتال وساد السلم ولم يعد يجوز مقاتلتهم.

لماذا هذا الكلام من البارئ بقوله :" **حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**"سنطيل الشرح في معنى الآية في ميقات ذلك. إذن الجمهور ردوا على الشافعية والظاهرية في معنى الآيتين.

ـ وبالنسبة لرد الجمهور عن الأحاديث: الحديث الأول الذي رواه البخاري وغيره في حديث يرويه "عبد الله ابن عمر" أن رسول الله ﷺ قال :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله "، وقد فصّل الدكتور القول في هذا الحديث في درس سابق يُرجع إليه [الدرس الثالث والدرس الرابع]، حيث بيّن أن القتال ليس من القتل بسبيل، فهناك فرق بين القتال والقتل.

ـ كما استدل الفريق الثاني بالحديث الثاني "اقتلوا شيوخ المشركين..."، قال الجمهور أن المقصود بالشيخ لغةً هو الرجل الذي بلغ سن التبجيل وليس المقصود به الرجل الهرم الذي لا يتأتى منه قتال، ويوضح ذلك ما قاله عليه الصلاة والسلام في نفس الحديث: "واستحيوا شرخهم" أي "لا تقتلوا صغارهم" والتقابل الذي تراه بين هذين الحديثين يوضح أن المراد بالشيوخ كل ما عدا الصغار، أي حتى الشباب. أما أولئك الذين بلغوا من الكبر عتياً فلا تشملهم كلمة الشيخ هنا لأن رسول الله نهى عن قتالهم بصريح قوله: "ولا تقتلوا شيخاً فانياً"

ـ أما الحديث الثالث الذي استدل به الفريق الثاني، فهو خاص بمن أهدر رسول الله عليه الصلاة والسلام دماءهم –ما لم يسلموا–وهذا عند دخوله مكة نهى عن قتل المشركين إلا ستة ذكر أسماءهم، إلا إذا دخلوا الإسلام. لأنهم أساؤوا إساءة بالغة للإسلام، ولا يمكن تعميمه.

أما رد الفريق الثاني على الجمهور فسيكون في الدرس القادم إن شاء الله، وفيه أيضاً توضيح لمعنى الحرابة.

نصيحة من الدكتور لمن يتابع هذه الدروس، قال :هذه دروس علمية، لا تضيقوا بها ذرعاً، هذه أهم من المواعظ، ونحن ينبغي أن نصبر على الأمور العلمية حتى نستوعب مسألة من أخطر المسائل، وإلا فإن الغوغاء ستتغلب علينا، وفي هذا العصر يتصارع الغوغاء مع العلم، والغوغاء مجندون لخطط أجنبية للكيد للإسلام، علم ذلك من علم وجهله من جهل. باسم الإسلام يفسدون الإسلام.

- **(الدرس11) متابعة موضوع الجهاد الحصن الأول لحماية المجتمع الإسلامي ودار الإسلام – ج 2**

إجابة عن أسئلة :

س1:يقول السائل إنك قد شرحت المكتسبات التي أكرم الله بها المسلمين بعد هجرتهم من مكة إلى المدينة وهي دار الإسلام،والأمة الواحدة والنظام السلطوي وفصلت القول في دار الإسلام،ولم تفصل في الأمرين الآخرين، ويقول إذا كان الجهاد إنما شرع حماية لهذه المكتسبات، فإنها غير موجودة اليوم فلا وحدة الأمة موجودة ولا النظام السلطوي موجود، (ويفهم من النظام السلطوي أحكام الشريعة الإسلامية)أي لا يوجد ما نجاهد لأجله اليوم .

الجواب: أولا ما يتعلق بالنظام السلطوي وهو بديل عن السلطة الحاكمة لأن الحكم إنما هو لله عز وجل، فهو نظام لا علاقة له بأحكام الشريعة الإسلامية ولا بالقوانين، والنظام السلطوي كلمة ترادف تقريبا النظام الدستوري والإداري، أي وجود حاكم له سلطة على شعبه، ووجود بيعة بينهم،

ووجود دستور لرسم الخطوط العريضة ما بين الأمة أفرادها بعضهم مع بعض وعلاقة الأمة بالحاكم، ثم إن وظيفة هذا النظام أن يطبق الشريعة الإسلامية. .وهذا النظام موجود اليوم بغض النظر عن تطبيق الشريعة، وعلى المسلمين الدفاع عن هذا النظام السلطوي أو الدولة من أي عدوان يريد تحطيم هذا النظام، لهذا نقول دائما وما يكرره سيدنا رسول الله ﷺ من أنه لا يجوز الخروج على الحاكم المسلم ولو لم يكن مطبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، ولو كان فاسقا أو جائرا، ومن جاء يريد أن يُقوض هذا الحكم ينبغي أن نقاتله وهذا هو الجهاد. نعم لا نطيع هذا الحاكم في محرم ولو اقتضى ذلك أن نزهق أرواحنا ، لكن لا نخرج عليه أيضا. ومن حديث رسولنا من حذيفة :" سيكون من بعدي أمراء تعرفون منهم وتنكرون قلوبهم قلوب شياطين في جثمان إنس، لا يسنون بسنتي ولا يهتدون بهدايتي " قال: فما تأمرنا يا رسول الله إن أدركنا ذلك اليوم ؟ قال :" تسمع وتطيع إلا أن تروا كفرا بواحا فلكم عليهم من الله سلطان "

ـ وحدة الأمة صحيح أنها تناثرت لكن علينا مسؤولية في رقابنا أن نستعيدها ، فعندما قوضت الصهيونية العالمية متفقة مع الصليبية ومع بريطانيا على تقويض الوحدة الإسلامية والمتمثلة آنذاك في الخلافة، كان على المسلمين آنذاك أن لا تغمض لهم عين إطلاقا، وأن لا تهدأ لهم نفس إلا بأن يهبوا هبة رجل واحد ويدافعوا عن تلك الوحدة. كما أن هنالك دور إسلام خرجت عنا حسا لكنها باقية حكما، أي على المسلمين أن يقوموا باستعادتها وهو واجب جهادي معلق في أعناقهم، ويصدق هذا على الأندلس، وعلى فلسطين ...

س2: أرسل أخ يقول إن بعض الشيوخ الأجلاء في هذه البلدة انتقد تدريسنا أحكام الجهاد التي أمر الله سبحانه وتعالى بمعرفتها، وقال أن هذا الموضوع ما ينبغي أن يطرح بين العوام .

الجواب: يقول الدكتور هذا أعجب انتقاد واجهه في حياته وهذا الاعتقاد. والذي نعرفه جميعا أن باب الجهاد من أبواب الفقه الإسلامي، والرسول ﷺ يقول :" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين "ولم يستثني بابا معينا، ومهمة العلماء تعليم الناس العلم الشرعي وهو أكثر أهمية من الوعظ الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد العلم. وفي هذا العصر بالذات حيث يلعب أعداء الدين بورقة الجهاد معتمدين على جهل العوام بهذا الباب، يجب على العلماء تعليم الناس أحكام وحقيقة الجهاد.

ـ البركان الذي تعمل الدول المعادية للإسلام على تفجيره في العالم الإسلامي إنما يتم بواسطة دفع الغوغاء إلى ساحات يمارسون فيها أعمالاً باسم الجهاد، صرفاً لأعينهم عن الساحة التي ينبغي أن يلتقي الكل فيها على الجهاد وتشاغلاً للتعويض. هذه طريقة الغرب وهي طريقة

خبيثة جداً وإمامهم في ذلك بريطانيا، حيث يدفعون الأمة إلى سحق نفسها بنفسها باسم الجهاد وهم يتفرجون.

متابعة النقاش بين الجمهور والفريق الثاني: ماذا يقول الشافعية في رد أدلة الجمهور ؟ يقولون شيئين :

أولا: كل هذه الآيات التي استدللتم بها كلها نسخت بآية السيف وهي الآية الخامسة في سورة التوبة، والجمهور يقولون إن كانت هذه كلها نسخت عليكم بتحديد التواريخ، حتى نعلم أن آية السيف آخر هذه الآيات، وهنالك آيات نزلت بعد، فكيف ينسخ فكيف ينسخ السابق اللاحق !؟

ثانيا: يردون على تفسير حديث رسول الله ﷺ :" أمرت أن أقاتل الناس ...." يقولون كلامكم صحيح عن قتل وقاتل والشافعي يقول هذا، لكن أنظروا إلى الغاية وهي حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم، أي صحيح أقاتل من يقاتلني لكن يبقى مستمر حتى يشهدوا.

الجواب عن هذا ما يلي: فيما ذكره المالكية والحنفية في الموسعات في فقه المقارنة عندهم، قالوا نعم لا شك أن الذين يقاتلوننا ونقاتلهم إذا دخلوا الإسلام ينبغي أن نكف عن قتالهم، ولو أنهم نصبوا العداء لنا كما علمنا رسول الله ﷺ أن نكون كخيري ابني آدم وهو هابيل، لكن المفهوم المخالف ساقط في الاعتبار وهو فإذا لم يشهدوا أن لا إله إلا الله نلاحقهم دائما ،وهذا المفهوم المخالف يشترط للأخذ به أن لا يكون هناك نص يناقضه، والنصوص المعارضة كثيرة و تنص أن لا نقاتل إلا من يقاتلنا وكلها ذكرت في الدروس السابقة.

معنى الحرابة التي قال الجمهور أن الجهاد القتالي شرع بسببها، وسبل مقاومتها:

الحرابة هي ظهور قصد العدوان، ويتجلى بدلائل متنوعة، مثلا أن نسمع بخطط تبيت لقتالنا، وتتجلى على أن نسمع بفئات تتسرب إلينا لفتح ثغرات وبؤر ولزرع وغرس عملاء فيما بيننا من أجل قصد عدواني، يستهدف النظام السلطوي أو يستهدف حق من حقوقنا، ومنها أيضا معاملات تستهدف محاصرتنا وتضيق علينا إن اقتصاديا وإن سياسيا أو بأي شكل من الأشكال، ومن مظاهر قصد العدوان أن نفاجأ بعدو داهمنا. إذا ظهرت إحدى هذه المظاهر وجب الجهاد، والحرابة لا تعني أن نجد العدو قد وصل إلينا وطرق أبوابنا، وهذا تصور خاطئ، والذين تصوروا أن الحرابة لا تأتي إلا بالعدوان الفعلي عادوا إلى سنة رسول الله ﷺ فوجدوا مثلا أنه غز خيبر قبل أن يحارب اليهود

المسلمين بشكل فعلي، ووجدوا أن رسول الله ﷺ أرسل جيشا عظيما لغزو مؤتة، والرماة بدؤوا القتال وما وصلوا إلى الجزيرة العربية، ووجدوا أن رسول الله ﷺ توجه إلى بني المصطلق، وهم ما طرقوا أبواب المدينة مقاتلين، وقالوا إذن الجهاد لم يشرع لدرء الحرابة وإنما شرع لدرء الكفر، وهذا التصور جاء من الخطأ في فهم الحرابة، والحرابة هو ظهور قصد العدوان .

ـ إن رسول الله ﷺ ما وجه جيشا ولا توجه بجيش إلى أناس ليحاربهم إلا بعد أن ظهر قصد العدوان، بالنسبة لخيبر جاءت أخبار إلى رسول الله ﷺ أن تنسيقا يتم بين يهود خيبر وبين قبيلة غطفان من أجل مقاتلة المسلمين وهكذا ظهر العدوان ووجدت الحرابة. وفي غزوة بني المصطلق أيضا بلغ رسول الله ﷺ أن المشركين هناك عند المريتيع يجهزون جيشا لقتال رسول الله ﷺ سابقهم رسول الله واتجه إليهم ولم يقع قتال ورأسا تفرقوا. وبالنسبة لمؤتة لأول مرة في التاريخ يقُتل رسولُ رسولِ الله على يد واحد من أمراء العرب الذين كانوا عملاء للإمبراطورية الرومانية، وبلغ رسول الله ﷺ ذلك، وهذا قصد عدواني واضح.

رسول الله ﷺ يقول في حديث متفق عليه :" الحرب خدعة" أي يكسبها الأسبق وهذا من ذلك الوقت واليوم من باب أولى، ومع تطور الأسلحة فالذي يكسب الحرب الأسبق، فهؤلاء المستشرقون الذين يحاولون أن يفسروا الحرابة بوجود عدو داهم البلد وأحاط بها، هو كلام أرعن، ومن أجل هذا نحن ندرس الجهاد، حتى لا نخدع بما يقال أن المسلمين القدامى ما كانوا يقاتلون إلا من قاتلهم، أو كما تسمعون بنقيض ذلك. بل علينا أن نكون حذرين ونتعرف جيدا على حكم الله تعالى.

ـ العدوان المبيت على المسلمين لم يتوقف يوما، لكننا ابتلينا اليوم بالتفرق و بالتشرذم وبأن بعضنا قد تألب على بعض، وغفلنا أو أُغْفِلنا عن عدونا بالبديل الذي هو أن ينحط المسلمون بعضهم على بعض باسم الجهاد، من أجل تفريغ شحنة الجهاد عند من يشعر أنه لابد من جهاد، وهكذا تبعد الأنظار عن الساحة الحقيقية التي يدعون المنادي فيها إلى الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى .

ـ من الذين أشبعوا هذا العلم بحثا الإمام الغزالي في كتاب له اسمه "المنخول" ويتحدث عن الحرابة ويقول عن خلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين كانوا كل سنة يغزو والروم قاعدين، أوضح الإمام الغزالي هذا وقال لطالما قيل ":الرّوم إذا لم تُغزَ غزت" وهذا الكلام هو منطلق تصحيح النظر، عندها نغمد السيوف التي نوجهها لبعضنا وعدنا إلى وهامنا وعدنا إلى محبتنا، وبتالي وجدت الوحدة عندها يتفجر الجهاد الحق الذي ما ينبغي أن ينام إلى أن تقوم الساعة.

ـ قد يقول قائل لماذا كانت الحرب الدفاعية مثلا في أوائل عهد المسلمين بمشروعية الجهاد القتالي، وكانت الحرب الهجومية بعد ؟ لأننا وصلنا الآن أن الحرابة لها حالتين، حالة شعور أن العدو وصل إلينا فنقوم ونقاتل هذه اسمها حرب دفاعية، الحالة الثانية أننا نسمع أن عدوا قد خطط لقتالنا فنسرع ونبادر بالقتال قبل أن يبادرنا وهذه تسمى حرب هجومية.

ـ قبل صلح الحديبية كانت الحروب وكل الغزوات من النوع الدفاعية ، وبعدها قال النبي ﷺ :" الآن تغزونهم ولا يغزونكم " لماذا النبي اتخذ هذا الموقف بعد صلح الحديبية ؟ الجواب قاله الفقهاء أن هذا من أحكام الإمامة، والجهاد دائما يعلن عنه من طرف إمام المسلمين كذلك الهدنة أو الصلح.

إذن الجهاد الذي يبتغى منه درء الحرابة ينقسم في تنفيذه إلى شكلين: شكل دفاعي مثل غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الخندق، وشكل هجومي مثل غزوة خيبر وبني المصطلق ومؤتة واليرموك...

نصيحة وجهها والد الدكتور البوطي له عندما كان صغيراً، وهو بدوره يوجهها لنا تبيّن أهمية التفقه في الدين، قال له: "يا بني، لو علمت أن الطريق الموصل إلى الله إنما هو كسح القمامة لجعلت منك زبّالاً، ولكنّي نظرت فوجدت أن الطريق الموصل إلى الله إنما هو العلم، ولذلك وضعتك في طريق التفقه في دين الله والعلم"

- **(الدرس 12) متابعة موضوع الجهاد الحصن الأول لحماية المجتمع الإسلامي ودار الإسلام – ج 3**

تذكرة بالدرسين السابقين، فالجهاد القتالي شرع لدرء الحرابة وليس للقضاء على الكفر، أما الحرابة فتعني أن يشعر المسلمون بأن أعداءً يخططون لمقاتلتهم أو الكيد لهم، أي ظهور قصد العدوان ولا تعني فقط تحقق العدوان

من المسئول عن إعلان الجهاد القتالي؟ الإعلان عن الجهاد من أحكام الإمامة وليس من أحكام التبليغ الفردي. وكما نعلم أن أحكام التبليغ هي تلك الأحكام التي خاطب الله بها كل فرد فردٍ من المسلمين على حدا دون وساطة إمام المسلمين مثل الصلاة الصوم والحج ... ودور رسول الله ﷺ ليس إلا دور المبلغ عن الله عز وجل .وهي ثابتة إلى قيام الساعة. وأحكام الإمامة هي تلك الأحكام التي خاطب بها الله أئمة المسلمين بدءً بسيدنا رسول الله لأنه أول إمام لهم ثم انتقالا إلى سائر الأئمة الذين يخلفون رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة سواء سمينا هؤلاء الحكام خلفاء أو حكام أو ملوكا أو رؤساء ..

أكثر أحكام الشريعة الإسلامية من الصنف الأول أي أحكام التبليغ. أما أحكام الإمامة تمتاز بالمرونة والذي يملك التحرك فيها هو إمام المسلمين. والجهاد القتالي حكم من أبرز أحكام الإمامة وفيه إعلان بداية الحرب إعلان الهدنة أو الصلح، سياسة الأسرى وما يتعلق بالغنائم. والإمام عليه أن يطبق وجه المصلحة في هذه الأمور الموكلة إليه. مثلا رأى الحاكم أنه فعلا أن العدو يبيت مكيدة للمسلمين، لكنه نظر فوجد أن المسلمين الآن غير قادرين على هذه المجابهة، والأفضل أن يعقد صلحا موقوتا معهم فله ذلك، أو رأى أن يستدرج هؤلاء الأعداء حتى يصلوا إلينا وبعد ذلك يقاتلهم له ذلك، أو رأى من المصلحة أن يخرج بالمسلمين إلى بلاد الكفر فيقاتلهم يفعل ذلك.

أما الصائل فهذا من أحكام التبليغ، والصائل هو عدو يطرق بابك من أجل أن يعتدي على عرض أو على مال أو على حياة، وهنا صاحب الدار رأسا يقوم بدفاع عن نفسه يهدده ثم يقاتله إن لم يذهب، ويدخل في حكم الصيال العدو الذي يداهم المسلمون فيقتحم عليهم بلادهم ويتمكن في أرضهم، أو يضع يده على حق من حقوقهم هكذا عنوة، وهذا النوع يسمى صيال جماعي. مثلا الآن فلسطين التي احتلها هذا العدو الإسرائيلي هذا من نوع الصيال ومن تما حكم القتال يدخل في حكم النفير العام،وكل المسلمين مكلفون بأن يطهروا هذه الأرض من دنس هذا العدو. من صور الجهاد القتالي الكفائي:

ـ وحديثنا نحن عن الجهاد القتالي الذي يدخل في حكم الإمامة والذي يجب على الحاكم دوما أن يرعاه حسب مصلحة المسلمين وحسب قوتهم وضعفهم. ويكون هذا الجهاد من صور وأشكال شتى ذكرها الفقهاء من ذلك :

شحن الثغور: بمعنى ملأ الثغور بحراس، وإحكام الحصون وحراسة الحدود وتجيش الجيوش ووضعها في ثغرات المسلمين، وهذه كلها من الجهاد القتالي، ويكون أيضا بصد عدوان مبيت نبدؤه قبل أن يبدأنا ،ويكون أيضا بصد عدوان وصل إلينا، ويكون أيضا بصد عدوان بكلمة حق أي عند منعنا من الدعوة.

ـ ذكر الدكتور طائفة من نصوص الفقهاء التي تدل على أن أمر الجهاد القتالي موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك، ومن هؤلاء الفقهاء :

"ابن قدامة" من فقهاء الحنابلة يقول :"وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك"

ـ جاء في "الشرح الصغير على أقرب المسالك" لدردير قوله :" تعين الجهاد بتعين الإمام للأشخاص وللجيش ولنفير " ثم يقول :" وتعين أيضا فجئ العدو محلة القوم " أي عند دخول العدو محلة القوم ما على الحاكم إلا أن يخرج ليقاتل .

ـ ويقول الإمام الشربيني وهو من فقهاء الشافعية في شرحه على" المنهاج" :" ويحصل فرض الكفاية بأن يشحن الإمام الثغور بمكافئين للكفار مع إحكام الحصون والخنادق، وتقليد الأمراء (أي تعين الضباط) أو أن يدخل الإمام أو نائبه دار الكفر بالجيوش لقتالهم وأيا كان، الأمر عائد إلى إمام المسلمين "

ـ ويقول أيضا في "كشاف القناع" وهو من كتب الحنابلة :" وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده لأنه أعرف بحال الناس وبحال العدو ونكايتهم وقربهم وبعدهم "

ـ ويقول الإمام السرخسي في "المبسوط " وهو من فقهاء الحنفية :" على إمام المسلمين في كل وقت أن يبدل مجهوده في الخروج بنفسه أو ببعث الجيوش والسرايا من المسلمين ثم يثق بجميل وعد الله وبنصرته "

ـ ويقول الإمام القرافي وهو من فقهاء المالكية: "إن الإمام هو الذي فوضت إليه السياسة العامة في الخلائق وضبط معاقد الصلح ودرء المفاسد وقمع الجناة وقتل الطغاة وتوطين العباد في البلاد إلى غير ذلك مما هو من هذا الجنس "

ومنه نخلص أن أحكام الجهاد القتالي من أحكام الإمامة فلا يجوز لنا نحن من وراء رئيس الدولة أو إمام المسلمين أن نجهز جيوشا ونقاتل عدوا إلا الصائل نعم نقاتله.

ما الحكمة من أن يجعل الله حكم الجهاد القتالي من أحكام الإمامة وأن يضبط هذا الأمر ويعيده إلى بصيرة إمام المسلمين وأن لا يكون عائدا إلينا نحن؟

الجواب: أن الجهاد في سبيل الله عز وجل إنما يقوم على الانتصار فيه على دعامة لا بديل عنها، ألا وهي دعامة الشوكة والقوة والسلطة ونفاد شكيمة، إذا لم توجد هذه الدعامة فالجهاد مقضي عليه بالفشل، وهذه القوة توجد لدى الدولة ورئيسها، فمن أجل ذلك ربط الشارع جل جلاله حكم الجهاد بما يراه حاكم المسلمين لأنه هو الذي يملك السلطة النافذة والقوة المطبقة .

ـ الناس من وراء الحاكم لا توجد لهم سلطة، ولا توجد لهم شوكة ولا قوة شكيمة، ومن تما إذا جهز الناس هكذا أنفسهم بدون هذه السلطة، فإن هؤلاء الناس يتهارجون فيما بينهم، وتتسرب فيما بينهم عوامل التفرقة، وعوامل العدوان الداخلي عندئذ، تنظر فتجد هؤلاء الناس قد أصبحوا فرقا

كل فرقة تنادي برأي ويتحول الفراق فيما بعد إلى خصام، وبدل أن يقاتلوا العدو بدؤوا يتقاتلون هم فيما بينهم. ومنه تحول الجهاد إلى فتنة داخلية تدور رحاها على المسلمين أنفسهم، والواقع يؤيد ذلك .

إذن لإغلاق باب الفتنة فإن الله عز وجل جعل الضمانة لذلك أن يعهد بالجهاد إلى بصيرة إمام المسلمين، نظراً إلى أنه يملك الشوكة والقوة وهو الذي بيده السلطة كلها.

ـ ومن هنا فإن فقهاء الشريعة الإسلامية قالوا :" إذا كان إمام المسلمين الذي نعهد إليه برعاية أمورنا أحد رجلين، رجل ورع صالح تقي أمين لكنه لا يعلم بأمر السياسة شيئا، وليست له سلطة قوية، وليس له السلطان المبهر، والشخص الأخر ليس بذلك الإنسان الورع، ولا بذلك الإنسان المستقيم على صراط الله، ولكن نعلم أنه قوي ذو إرادة فعالة وذو سلطة نافذة وسياسة وخبرة ودهاء في هذا الأمر. هنا هل نختار الأول أم الثاني ؟ يقول فقهاء الشريعة الإسلامية نختار الثاني وإن لم يكن ورعا وإن لم يكن مستقيما. لماذا ؟ قالوا لأن ورع هذا الإنسان عائد لنفسه أما قوته وسياسته وحنكته فعائد ذلك إلى الأمة. وهذا ما يقوله العز ابن عبد السلام رحمه الله تعالى في كتابه " قواعد الأحكام في مصالح الأنام" وقد أطال هذا الإمام في بيان هذا المعنى الدقيق الذي هو حكم متفق عليه في سلم الأولويات في أحكام الشريعة الإسلامية، عند قيام تعارض بين هذين الإمامين.

تمهيد للدرس القادم وهو عن الذمة وأحكامها، وأحكام الذمة من أبهر الأحكام العادلة التي رسمها الله عز وجل لتنسيق العلاقة السلمية ما بين المسلمين وغير المسلمين عندما لا يكون هنالك عدوان.

• (الدرس 13) ما بعد الحرابة، الذمة وأحكامها – ج 1

كنا قد انتهينا في الدرس السابق الحديث عن علة الجهاد القتالي والذي هو صد عدوان الحرابة وهو ما ذهب إليه الجمهور، وإذا لم توجد هنالك حرابة وأتيح للمسلمين أن يصدوا العدوان بأشكاله، عندها :

كيف يكون شكل العلاقة بين الدولة الإسلامية ومن يجاورونهم أو يخالطونهم من غير المسلمين ؟ وبعبارة أخرى عقد الذمة ماذا يعني ؟ وما هو البعد الاجتماعي والديني والسياسي لعقد الذمة الذي ندرسه ونقرأه في كتب الشريعة الإسلامية ؟ هذا ما سنشرحه اليوم بإذن الله تعالى وتوفيقه .

. الكتابيون ومن في حكمهم الذين يخالطون المسلمين أو يجاورونهم لهم دائما ثلاثة أحوال وهي :

الحالة الأولى: أن يكون هؤلاء الكتابيون ومن في حكمهم يعيشون بين ظهراني المسلمين أي يعيشون داخل دار الإسلام. العلاقة عندها هي التالي: يجب أن يتفاعل هؤلاء الكتابين ويتجاوبوا مع نظام الدولة وقوانينها وأن يخلصوا في رعاية مصالحها، ودرء الأخطار عنها، ذلك لأنهم يتقاسمون مع المسلمين جامعا مشتركا ألا وهو المواطنة،أي أنهم يعيشون في أرض واحدة وتحت مظلة نظام واحد. وفي نفس الوقت لهم الحق التام في وجودهم الديني والاجتماعي الخاص بهم والاقتصادي على قدم المساواة .

نظام الإسلام يكفل لهؤلاء (أي أصحاب الحالة الأولى) أن يكونوا أحراراً في ممارسة عقائدهم وأحكامهم التي يتعبدون أنفسهم بها .فكلمة (الدولة الإسلامية) لا تعني بالضرورة أن يكون رعاياها كلهم مسلمين، كما لا تعني أن يكون غير المسلمين فيها قد فقدوا ذاتيتهم الاجتماعية أو الدينية واندمجوا من ذلك في كينونة غيرهم. ومن بنود النظام الإسلامي أن يترك هؤلاء الناس وما يتدينون، بل على الدولة أن تحمي دينهم وأن تحمي حرّية معتقداتهم، وأن ترد غائلة الأخطار والسوء عنهم.

من المعلوم أن الدولة الإسلامية تفرض عليهم إتاوة دينية هي الزكاة تبدأ ب 2.5 في المائة وترتفع لتصل إلى عشرة بالمائة، حسب نوع المال الذي تتعلق به ضريبة الزكاة، وهذه ضريبة دينية لا يخضع لها إلا المسلمون، وهذه الضريبة تؤخذ من الأغنياء لتعطى للفقراء، لنفرض أن في غير المسلمين فقراء من أين تعطيهم الأموال؟ الجواب أن الدولة تفرض على هؤلاء الناس من مواطنيها ضريبة أخرى بمقابل ضريبة الزكاة وهي أقل منها. حيث تأخذ من أغنيائهم في مقابل تكليف الدولة في أن تحقق بين مواطنيها جميعا نظام التضامن الاجتماعي والتكافل الاجتماعي، وهي في هذه الحالة كما تتبع حال الفقراء من المسلمين، كذلك يجب أن تتبع حال الفقراء من غير المسلمين.

الحالة الثانية: أن يكون هؤلاء الكتابيون ومن في حكمهم يعيشون دولة مستقلة أو جماعة مستقلة خارج الدولة الإسلامية، لها وجود مستقل على أرض خاصة بهم كجيران للمسلمين، وننظر فنجدهم أنهم لا يرغبون أن يحدثوا أي تحالف أو علاقة مما نسميه عقد الذمة مع المسلمين. هل على الدولة الإسلامية أن تفرض عليهم هذا التحالف ؟ لا، بل الدولة الإسلامية لها أن تطرق بابهم وتطلب منهم تحالف تناصر وتعاون بينهما، وإذا رفضوا لا نجبرهم على ذلك. لكن بشرط أن لا يضمروا أي كيد للمسلمين، وأن لا يكونوا سندا لأي دولة محاربة ضدنا. وإذا وثقنا بهم أنهم وافقوا على ذلك، فإن عقد الذمة معهم ليس إجباريا، بل هو عقد اختياري .

الحالة الثالثة: فئة من غير المسلمين يعيشون على أرض خاصة لهم ودولة خاصة لهم، لكنهم رغبوا في أن يكون هنالك نوع من التناصر ونوع من التحالف والتعاضد بيننا وبينهم. أي رغبوا بوجود عقد، وتكون هذه الرغبة إذا شعروا بخطر يفد إليهم من عدو مشترك لنا ولهم، وشعروا بضعفهم ووثقوا بجيرانهم المسلمين، عندئذ يتم هذا العقد بين المسلمين وبينهم. وهذا العقد هو عقد تناصر وتحالف من طرفين أن يكون بينهم تعاون إنساني ضمن الجامع المشترك الذي بينهما، بعيدا عن الفروق الدينية التي يتميز بها كل من المسلمون وجيرانهم الآخرون. ويتم عقد الذمة بأن:

أولا: يتوافق الطرفان المسلمون وأولئك الكتابيون بأن لا يسئ أي من الطرفين حق الجوار بالنسبة للأخر .

ثانيا: إذا أصابنا عدوان من أي جهة فإن على جيراننا هؤلاء أن لا يمدوا يد العون إلى هؤلاء الأعداء، بل إذا أتيح لهم أن يكونوا سندا لنا، وأن نلتزم نحن أيضا بالمقابل بأن أي عدوان أو خطر إذا طاف بهم، علينا أن نرد لهم طائلة هذا العدوان ما أمكن .

من نماذج الحالة الثالثة: العقد الذي أبرمه رسول الله ﷺ مع نصارى البحرين، كذلك أبرم على الطريقة ذاتها عقد ذمة مع نصارى نجران من جهة اليمن.

وهذان العقدان لم يلحقا أي نقيصة لأي طرف، ذلك لأن من مقتضيات عقد الذمة هذا المبدأ القائل: لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وما ينبغي أن ننتقص من حقوقهم الدينية شروى نقير، وما ينبغي أن نضيق عليهم في حريتهم الدينية أي شيء، ولا نلزمهم بأن يتحاكموا إلينا حتى في الأمور التي لا يوجد لديهم قانون يتحاكمون إليه.

ـ ما هي الظروف التي تدعوا كل من المسلمين وجيرانهم الكتابيين إلى مثل هذا التحالف ؟ هنا الحديث عن الحالة الثالثة.

الجواب: أولا ما يحفزنا نحن المسلمون إلى أن نتعاون معهم: من شأن الدولة الإسلامية إذا ترسخ جذورها وامتد سلطانها، أن تبعث في نفوس قادة الدول الكبرى الأخرى تخوفا، ممزوجا بقدر كبير من الطمع لهذه الدولة الإسلامية، عندها دول البغي تتخذ من إثارة النوازع الطائفية واختلاق العداوات الدينية بين المسلمين وغير المسلمين في تلك الدولة الإسلامية نقطة ضعف، وتتخذ منها بؤرة لتتسرب إليها، والنتيجة التي لابد أن تظهر من وراء هذا التدبير، أن هؤلاء الكتابيين لدولة المجاورة لدولة الإسلامية سيكونون ضحية ووقود في هذا الضرام، ذلك لأن العدو الذي يضرب فئة بأخرى لابد أن يعقب ذلك القضاء على كلا الفئتين. هذه حقيقة التاريخ أكدها وجسدها. إذن كيف

نتخلص نحن وجيراننا من ذلك البغي الذي يترصدن ؟ المنطق يقتضي بأن تحمي هذه الدولة نفسها وجيرانها من هذا السوء الوافد إليهما معا. من هنا كانت الحاجة إلى عقد الذمة في الشريعة الإسلامية .

الاستشهاد من الواقع التاريخي: من الأمثلة التاريخية ما يلي :

أولا: الدولة البيزنطية في عهودها الغابرة كانت دولة وثنية، ولكنها تبنت المسيحية من أجل أن تخترقها فتفوز بالهيمنة على العالم المسيحي المعمور آنذاك، واختارت من المسيحية مذهبا واحدا وغيرت منه وبدلت حتى ينسجم مع وثنيتها القديمة، وبهذا أصبحت الدولة البيزنطية بعيدة عن المذاهب المسيحية الأخرى، وكان من المفروض أن تكون هذه الدولة في أقل المراتب بالنسبة للمذاهب الأخرى التي لم تعتنقها أي لا تعاديهم ولا تعتنقهم، لكن الدولة البيزنطية رفعت لواء الحرب والعدوان على تلك المذاهب كلها ،ووضعت نصب عينيها أن تبيدها جميعا، ووجدت أن وحدتها السياسية تقتضي أن لا يوجد إلى جانب المذهب الذي تعتنقه أي مذهب أخر. وفي مجزرة بيزنطية واحدة قتلت الدولة فيها مائتي ألف قبطي. وعندما فتح العرب في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه مصر، كان الإتيروس القبطي مختبئ بكل تشكيلاته برمته في الصحارى هربا من التصفية الجسدية التي كانت تلاحقهم، وجاء الفتح الإسلامي منقذا لهم .

ثانيا:عندما تما الفتح الإسلامي بالنسبة لبلاد الشام، كان هناك كثير من النصارى والمسلمين أيضا، ولم يجبر أحد أن يتحول من دين إلى دين أخر، وظل الأمر على هذه الشاكلة إلى أن جاءت الحروب الصليبية، حيث أرسل قادة الحملات الصليبية كتبا إلى زعماء النصارى في هذه البلاد يخيرونهم بين أن يقفوا في هذه الحرب إلى جانب بني دينهم، أو بأن يقفوا إلى جانب بني قومهم أي المسلمين. فكانت المفاجأة التي أذهلت أولئك الصليبين الجواب الذي جاءهم يقول: بل نقف إلى جانب بني قومنا. وشهد التاريخ كيف أن النصارى آنذاك كانوا مع المسلمين في خندق واحد. والسبب أن هذا التمازج الذي استمر مند أجيال عدة مند الفتح الإسلامي إلى الحروب الصليبية، انه لم يشعر المسيحيون خلال هذه الفترة إلا بالحماية التامة والرعاية التامة، ووجدوا أن حقوقهم كاملة غير منقوصة، وأورثتهم هذه العدالة حبا واستئناسا بالمسلمين وركونا إلى النظام الإسلامي. وبعد الحروب الصليبية كانت الجموع الكبيرة تدخل إلى الإسلام.الكلام لدكتور "فيكتور سحاب " من كتاب"من يحمي المسيحيين العرب"

ثالثا :مثال يتعلق بموقف الغرب من عالمنا الإسلامي هذا في حياتنا المعاصرة اليوم، والغرب يخطط ويلعب بهذه الورقة، حيث أنه في الماضي القريب والبعيد أثار النوازع الطائفية ليخلق الاختراقات في حصن الوجود الإسلامي الذي يحمي الإسلام والمسيحية معا، ويقول فيكتور سحاب :" إذا حاولنا أن نرتب تسلسل الأمور زمنيا فإننا نلحظ أن التقاتل الغربي لسيطرة على المشرق العربي جاء قبل بداية المذابح الطائفية بجبل لبنان بأكثر من نصف قرن، وإذا فلا يمكن أن ننسب إلى الوجود الغربي أنه جاء لحماية المسيحيين العرب من الاضطهاد، بل لعل الوجود الغربي وترسيخه في المنطقة وتمكينه منها اقتضى إشعال فتيل التقاتل الطائفي الذي ارتبطت أحداثه بالامتيازات الأوروبية حتى أمكن لأوروبا أن تدق في جدار هذا البيت العربي مسمار جحا، حين أوحت أنما جاءت إلى المنطقة وفككت السلطنة العثمانية وجزأت المنطقة الموروثة، كل ذلك من أجل حماية المسيحيين العرب، وفي الواقع من يحمي من؟ ومن يدفع الثمن؟ ومن يقطف الثمار؟ المسيحيين العرب أم ساسة الغرب ؟ الذين جاءوا ليأخذوا الغنائم"كلام لمسيحي حيادي يرى الواقع ويرسمه ويتحدث عنه بهذا الشكل.

أمام هذه الوقائع التاريخية الواضحة والمقروءة لكل إنسان مثقف، يجب على كل من يتعايش فوق أرض إسلامية ولهم جوار من غير المسلمين ولهم أرض مطموع بها أن يستمسكوا بحبل عقد الذمة، وهو العقد الذي يجعل كل من المسيحيين والمسلمين في مأمن، وجعل الجميع ينعمون بأرضهم وبوطنهم وحقوقهم تحت مظلة دين يعدل ولا يتحيز، يرعى الحقوق بمقدار ما يحمل الواجبات .

في الدرس القادم تتمة مهمة عن المشكلات والاجتهادات التي ترسخت صوراً خاطئة في أذهان بعض الناس عن موضوع عقد الذمة والجزية ومعاملة الكتابيين.

- (الدرس14) متابعة موضوع ما بعد الحرابة، الذمة وأحكامها – ج 2

مشكلات واجتهادات تخضع لحاجة التصحيح والبيان في مسألة عقد الذمة:

. تحدثنا عن عقد الذمة وموجب وجوده في الشريعة الإسلامية والحكمة منه، وعرفنا أن هذا العقد إنما شرعه الله تعالى لمصلحة الطرفين أي المسلمين والكتابيين، سواء يعيشون معا أو متجاورين، عندما يتهدد الفريقين عدو ثالث لهذا كان سبب وجود عقد الذمة. أي عقد الذمة لرد غائلة عدو ثالث .

. إن الذين يدرسون ملف تاريخ الاستعمار الذي تسرب إلينا سيجد أن المستعمر كان يتخذ من إثارة النعرات الطائفية وتأليب النصارى على المسلمين والعكس أيضا، كان يتخذ من ذلك مقدمة لتسرب إلى هذه البلاد باسم الحماية والرعاية ....

ـ والجديد الذي نريد أن نضيفه اليوم، هو أننا نتحدث عن مشكلات تخضع لحاجة لتصحيح والبيان في مسألة عقد الذمة، حيث أن هنالك مشكلات توهم أن الشريعة الإسلامية قد استهانت فعلا بأهل الكتاب وبأهل الذمة، وأغرت المسلمين بأن تسيء إليهم، وكم استغل هذه الأوهام وهذه المشكلات بعض المستشرقين ليثيروا أحقادا وضغائن الكتابيين، من نصارى ويهود في التاريخ الغابر.

ما هي هذه المشكلات وهل فعلا الإسلام فعل شيئا من ذلك ؟ وهذه المشكلات هي :

الإشكال الأولى: نقف في كلمة في قول الله سبحانه وتعالى :"قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" [التوبة: 29] في الفقرة الأخيرة كلمة وهم صاغرون أي وهم أدلاء، هنالك كثير من المجتهدين ومن المتفقهين فهمها على غير وجهه، ومن تما اتهم الإسلام بأنه علم المسلمين بأن يدلوا الكتابيين وأن يسيئوا إليهم، ودليلهم الآية المذكورة .

الجواب عن الإشكال: البارئ سبحانه وتعالى عندما أمرنا بمقاتلة هؤلاء الذين لا يدينون دين الحق، اتفق الجمهور أن البارئ أمرنا بمقاتلتهم بسبب حرابتهم، وعندما نقرأ الآيات التي قبل هذه والتي بعدها يتبين لنا هذا السبب بجلاء، ولا أدل من هذا من قوله عز وجل :" وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" [الأنفال: 61] وكذلك:"لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" [الممتحنة: 8] وغيرها من الآيات...وهذه آيات مدنية من أواخر ما نزل من كتاب الله سبحانه وتعالى، إذن عندما يأمرنا الله أن نقاتل هؤلاء الذين لا يدينون دين الحق لأجل رد العدوان ولرد الحرابة. وقوله تعالى :" حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" أي حتى تلجئهم إلجاء إلى أن يغمدوا أسلحة عدوانهم في وجهكم أدلاء صاغرين، يتوبون ولا يعودون إلى هذا العمل، وسبب هذا الصغار الذي يلحقهم فعلا هو الحرابة وليس الدين أي ليس لأنهم غير مسلمين .

ـ والدليل على الإشكال الأول: أن هؤلاء الذين يقاتلون المسلمين ورفعوا لواء الحرابة ضد المسلمين من نصارى مثلا أو يهود وغيرهم، إذا رجعوا إلى السلم وإذا أغمدوا أسلحة تحديهم وعدوانهم، عندها لا نلجئهم إلى الصغار بل يرتفع الأمر الذي كان عقابا لهم، وبعدها نعاملهم الند لند ونرعى حقوقهم كاملة وأن نحافظ عليهم، وكما نرى فلا صَغار هنا، لأنهم لم يعودوا محاربين، ويسود مبدأ: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

الإشكال الثاني :تزايدات مبتدعة في طريقة استحصال الرسم الذي يسمى الجزية، في معاملة الكتابيين عموما هنالك بعض المتفقهين أيضا عندما نعود إلى كتاب أهل الذمة، نجدهم يقولون كلاما، وهو عندما يأتي كتابي ليعطي الحاكم الجزية ينبغي أن يلجئه إلى أن يطأطئ رأسه، وتكون يده يدا دنيا ويد الأخذ هي اليد العليا .. من أين لهم بهذا ؟؟؟ من أي آية في القرءان أو حديث لكلام سيدنا رسول الله أو صحابي فعل هذا أو خليفة من الخلفاء فعل هذا ؟؟ كذلك هنالك بعض المتفقهين يعلمون المسلمين بعض المعاملات السيئة للكتابيين في معايشتهم في لقائهم في التحية لهم إلى أخر ذلك. هذه الأمور هي المشكلة الثانية التي التقطها بعض أعداء هذا الدين، من مستشرقين وحاولوا أن يلطخوا بها وجه الإسلام .

الجواب عن الإشكال: نقول نتحقق إذا كان هذا من الدين لعل في ذلك حكمة نحن نجهلها، لكن رجعنا فحققنا وبحثنا في كتب الفقه والتفسير والحديث فلم نجد والله مستندا لشيء من هذا بل وجدنا أن الفقهاء المتأصلين في الفقه الذين شهدت لهم الأمة بالعلم والإخلاص والتوسع في مدارك الشريعة الإسلامية يردون على هذا اللغو ويحذرون منه، من هؤلاء الإمام النووي وهو المشهور في المذهب الشافعي باتساع علمه تفسيرا وحديثا ولغة وفقها، ثم هو إلى جانب ذلك من أخلص الناس لدين الله سبحانه وتعالى ويُظن أنه من أولياء الله سبحانه وتعالى. يتحدث عن بعض الهيئات التي حدثكم عنها كيف نأخذ منهم الجزية، كيف نعنفهم ماذا نقول لهم، يذكر بعض هذه الأمور في كتابه "الروضة" و يقول :" قلت هذه الهيئة المذكورة أولا لا نعلم لها على هذا الوجه أصلا معتمدا، وإنما ذكرها طائفة من أصحابنا الخراسانيين، وقال جمهور الأصحاب تؤخذ الجزية برفق كأخذ الديون، فالصواب الجزم بأن هذه الهيئة باطلة مردودة على من اخترعها. ولم ينقل أن النبي ﷺ ولا أحد من الخلفاء الراشدين فعل شيئا منها مع أخذهم الجزية " ثم يكرر الإمام النووي هذا التحذير من الإساءة إلى أهل الكتاب في كتابه "المنهاج ".

ـ "ابن قدامة" من أجل فقهاء الحنابلة وله كتاب اسمه "المغني" ينقل بعض هذه المخترعات الباطلة، وأوضح أن عمل رسول الله ﷺ وأصحابه والخلفاء الراشدين كان على نقيض ذلك، ورسول الله قال :" وإنهم كانوا يتواصون باستحصال هذا الحق بالرفق وإتباع اللطف في ذلك "

ـ كتاب "الأموال " "لأبي عبيد" وهو من كبار علماء الحديث يقول في باب "اجتباء الجزية والخراج وما يؤمر به من الرفق بأهلها، وينهى عنه من العنف عليهم فيها " وهذا بعد عصر التابعين بقليل، وذكر حشد أبو عبيد أحاديث كثيرة مروية في الصحاح عن النبي ﷺ تأمر بالرفق واللين،

وتأمر أن نعاملهم معاملة الند لند. ثم ذكر أبو عبيد بعد ذلك كتابا أرسله "عمر ابن عبد العزيز" إلى "عدي ابن أرطاء"في هذا الصدد بذات يقول :" أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى إنما أمر أن تؤخذ الجزية من مَنْ رغب عن الإسلام واختار الكفر، فضع الجزية على من أطاق حملها، وخلي بينهم وبين عمارة الأرض، فإن في ذلك صلاحا لمعاش المسلمين وقوة على أعدائهم، وانظر من قبلك من أهل الذمة من مَنْ قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجري عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه، وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر، مرَّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال :" ما أنصفناك إن كن قد أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك " قال ثم أجرى عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه"

ـ الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى كان له جار كتابي من مَن يدفعون الذمة، وكان معاقرا للخمرة، وكان من دأبه إذا سكر أن يرفع صوته فيغني، وكثيرا ما كان يردد هذا البيت :" أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغري . ما كان أبا حنيفة يسئ إليه أبدا، ومحل الشاهد أن أبا حنيفة مرت أيام ولم يعد يسمع صوت جاره هذا، وشعر أن هدوءً غريبا قد طرأ على بيت جاره، في اليوم الثاني تحسس الخبر فعلم أنه قد ارتكب جنحة اقتضته أن يساق إلى القضاء وعوقب بسجن تعزيري، فذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى إلى القاضي وسأل عن السبب وعلم أن المسألة عبارة عن جنحة، فتدخل أبو حنيفة وتشفع له، فشفع له القاضي وأخرج من السجن وعاد إلى داره. لما عرف أبو حنيفة أن الرجل رجع إلى داره آمنا مطمئنا، ذهب فزاره فقال له أبو حنيفة أترانا ضيعناك. هكذا كان أصحاب رسول الله والتابعون وأئمة الفقه الإسلامي يعاملون أهل الذمة.

الإشكال الثالث: كلمة الجزية كثيرون هم الذين يلحظون فيها معنى الانتقاص أو الامتهان، فهل هي مشتقة من (الجزاء) أم من (الإجزاء)؟ الجزية اسم للمال الذي يُجزئ دفعه لدولة مقابل حماية الدولة ورعايتها، أو مقابل أن يكون لهذا الإنسان حق المواطنة تماما كالذين يعيشون فوق أرض دار الإسلام هذه .

إذن كلمة الجزية مأخوذة من الإجزاء أي أجزت وكفت. والمقدار الذي يدفعه هذا المواطن غير المسلم هي خمس ما يدفعه المسلم من زكاة وهي 2.5 بالمائة .

لماذا التصق بهذه الكلمة معنى المهانة؟أغلب الظن أن هذا التصق بها من الكلمة المجاورة وهي "وهم صاغرون" لهذا مع الزمن أصبحت كلمة الجزية غير مقبولة في أدهان كثير من الناس، لكن سبق

أن قلنا أن الصغار سببه الحرابة وليس السبب انتسابهم لغير الإسلام. والكتابيون الذين لا يحاربوننا لا يمكن أن يجدوا صغارا .

ـ مع كل هذا، هل نحن متعبَّدون بكلمة (الجزية) هذه؟ الجواب: الأحكام التي نقرأها في باب أهل الذمة منوطة بمعنى الجزية، وليست مرتبطة بكلمة الجزية، يعني أن الدولة يمكن أن تسميها ضريبة أو رسم، بل يمكن أن تسميها صدقة.ومنه فإذا كان هناك من يتحسس من هذه الكلمة يمكن تغير الكلمة بأخرى،ودليل على ذلك ما يلي :

1ـ نصارى تغلب تضايقوا من كلمة الجزية فعلا، وعرضوا على عمر ابن الخطاب في عهد خلافته قائلين له :" خذ منا هذه الجزية وأكثر ولكن باسم الصدقة كما تأخذونها من المسلمين " فاستشار عمر مجلس شورى وكان فيهم سيدنا علي رضي الله تعالى عنه، كان رأيهم أن يقبلها منهم باسم الصدقة، وليس هنالك ما يلزم أن يكون لهذه الضريبة اسم ديني الجزية

2 ـ دليل أخر أخرج البيهقي أن نصارى بني تغلب قالوا لعمر :" نحن عرب لا نؤدي ما يؤدي العجم، لكن خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض (يقصدون الزكاة) فقال لهم عمر :" هذه فريضة فرضت على المسلمين، ولم تفرض عليكم. قالوا :" فزد ما شئت، لكن ليس باسم الجزية ".

بناء على هذا ذهب الفقهاء من الشافعية والحنفية والحنابلة إلى أنه يجوز أن تؤخذ الجزية من أهل الذمة باسم الزكاة. ومن القواعد الفقهية :" أن العبرة بالمقاصد والمعاني وليست العبرة بالألفاظ والمباني "

الإشكال الرابع :ذكر بعض الفقهاء أن أهل الكتاب الذميين الذين يعيشون بين المسلمين ينبغي أن تكون لهم شارة يعرفون بها. أليس في هذا شيء من المهانة ؟، فما الموجب أن تكون لهم شارة تميزهم عن غيرهم من المواطنين؟الجواب أن هذا الأمر لم يكن موجوداً في عصر رسول الله عليه الصلاة والسلام، لكن طرأت حاجة سياسية لفترة من الفترات في عصر بعض الخلفاء فيما بعد، حيث أن بعض الحربيين أصبحوا يتسللون داخل المجتمع الإسلامي ويتظاهرون بأنهم ذميون، وقصدهم أن يوقعوا فتنة بين المسلمين وبين أهل الكتاب، وحدث هذا مراراً وتكراراً فعولجت المسألة معالجة سياسية لا معالجة دينية بأن اتُّخذت شارة لأهل الكتاب المواطنين الذين هم رعايا الدولة الإسلامية لكي يتجلى المتسربون الذين دخلوا من أجل إثارة الفتن .

في الدرس القادم نتابع إن شاء الله.

• (الدرس 15) متابعة موضوع ما بعد الحرابة، الذمة وأحكامها – ج 3

تذكير بالإشكال الرابع في الدرس السابق القائل أنه ينبغي لأهل الذمة شارة يعرفون بها، قلنا أن هذه المسألة لا أصل لها كحكم شرعي، لكن هذه المسألة تدخل في اجتهادات أئمة المسلمين لمصلحة أهل الكتاب، أي المسألة من أحكام الإمامة .

الإشكال الخامس: عمارة الكنائس ما حكم الشريعة الإسلامية في بناء معابد وكنائس إضافية ولماذا يُمنعون من بنائها؟ الجواب من المتفق عند علماء وفقهاء الشريعة الإسلامية أن الكنائس والمعابد القائمة لأهل الكتاب ينبغي أن تبقى قائمة ولا يجوز أن تمس، ثم إن الفقهاء ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقال علماء الشريعة الإسلامية :" لو أن حربيين اعتدوا على بلد إسلامي فيه منطقة لأهل الذمة، واعتدا هؤلاء الحربيين فيما اعتدوا على أهل الذمة وهدموا لهم بعض الكنائس أو المعابد. ثم إن الحرب وضعت أوزارها، هنا يجب على ولي أمر المسلمين إذا انتصر المسلمون وانتهت الحرب، ويجب على ولي أمر المسلمين أن يعيد كل ما تهدم من معابدهم وكنائسهم. وقد صرح بذلك كثير من الفقهاء ومنهم "الإمام الشربيني" في كتابه "مغني المحتاج على شرح المنهاج للإمام النووي" فليحفظ المسلمون هذه الأحكام وليعلموا كم يزيف الحاقدون على المسلمون لإثارة الفتنة .

إذا سئلنا ما حكم بناء أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي وهم أهل ذمة لمعابد وكنائس جديدة لم تكن من قبل ؟

ننظر هنا إلى المكان الذي يريدون أن يبنوا فيه هذه الكنائس، إذا كان المكان خاص بالمسلمين لا يجوز بناءها، لأن عدم وجود كنائس في هذا المكان من قبل دليل على أنه لم تكن لهم حاجة إلى تلك الكنائس، والشيء الثاني أن المكان للمسلمين فقط .أما إذا أرادوا أن يبنوا كنائس جديدة في أماكن لهم ،فلهم أن يحدثوا كنائس جديدة .

ومن نتائج هذا أيضا الحرية التي يجب أن يتمتعوا بها في معاملاتهم التجارية طبق ما يتدينون. يقول الإمام "الكساني" في كتابه "بدائع الصنائع" يقول :" ولا يمنعون من إظهار شيء مما ذكرنا كبيع الخمر والخنزير والصليب، وضرب الناقوس في قرية أو موضع ليس من أمصار المسلمين، ولو كان فيه عدد كبير من أهل الإسلام" إذا مقياسنا الرجوع إلى أحكام الشريعة الإسلامية، والتفقه في الدين، وبهذا نحمي أنفسنا ومجتمعنا .

أخيراً فإن هذه الأحكام التي ذكرها الفقهاء عن معاملة المسلمين لأهل الذمة وعن الندية التي ينبغي أن تشيع فيما بينهم، هذه الأحكام تطبق في مجتمع إسلامي لا علماني، وتحت مظلة الحكم الإسلامي يجد الكتابيون هذه العدالة .فلا يطمعن إنسان يسمع هذا الكلام بما وراء ذلك ويقول: إن هذا المجتمع إسلامي ويشعر الكتابيون أنهم أقلة وأن المجتمع ليس مجتمعهم !! لأنه لو انحسر سلطان الإسلام عن المجتمع لم يعد للكتابيين أن يتمتعوا بهذه الامتيازات لأنها نبعت من تطبيق الشريعة الإسلامية .

مدى اهتمام الشارع بأهل الذمة وصية بهم ورعاية لهم:

نصغي هنا إلى كلام رسول الله ﷺ وإلى كلام أصحاب رسول الله ﷺ طبقا لقول المصطفى ﷺ :" عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين .

- يروي مسلم في صحيحه و البيهقي في سننه من حديث "أبي ذر" رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :" إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط. فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمّة ورحماً"، والمقصود أرض مصر وأهلها أقباط .

- ويروي أيضا البيهقي في سننه من حديث جويرية ابن قدامة التميمي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى قبيل موته. فكان من وصيته:"...وأوصيكم بذمة الله فإنها ذمة نبيكم صلى الله عليه وسلم".والمراد أهل الكتاب .

روى البخاري من حديث أبي بكر بن عياش، أن عمر بن الخطاب قال: "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتَل من وراءَهم، وأن لا يكلفوا (أي من المال) فوق طاقتهم ."

- ويروي أبو عبيد في كتابه المشهور "الأموال" عن "وسق الرومي"(هو غلام نصراني يشتغل عند عمر ابن الخطاب) قال :" كنت مملوكا لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه وكان يقول لي :" أسلم فإنك إن أسلمت استعنا بك على أمانة المسلمين، فإنه لا ينبغي أن أستعين على أمانتهم بمن ليس منهم " قال: فأبيت " فقال :" لا إكراه في الدين" قال :" فلما حضرته الوفاة أعتقني وقال :" اذهب حيث شئت"

كلها أحاديث تدل و تصب في دلالة واحدة هي أن أهل الكتاب ينبغي أن يعاملوا معاملة حسنة ، وينبغي أن يكونوا مكان احترام ورعاية المجتمع الإسلامي بقادته والمسلمين من أهله.

هل تدخل هذه الأحكام فيما يسميه بعض الناس (التسامح) ؟

ينعت بعض الناس وكثير من الكاتبين اليوم نظام التعامل مع أهل الذمة في الإسلام بالتسامح، ولو اتبعنا الدقة في فهم معاني الكلمات واستعمالاتها، لعلمنا أن كلمة (التسامح) هذه لا تنصف المسلمين ولا تكرم الكتابيين ذلك لأن هذه الكلمة تعني التجاوز عن الحق على سبيل التفضل والمسامحة .

هل أحكام الشريعة الإسلامية والتي هي مقاطع الحقوق والأحكام فيها شيء من التسامح ؟ لا ،

ـ إن أحكام الشريعة الإسلامية التي تتعلق بالعبادات وحقوق الله مليئة بالتسامح، مثلاً سافرت والوقت شهر رمضان وفي هذا الشهر ينبغي أن تصوم، يسامحك الله ويقول أفطر ولا حرج فعدة من أيام أخر..ومثله الصلاة في السفر أو التيمم وقت البرد الشديد،أو أكل الميتة عند الجوع الشديد إذا لم يوجد طعام سائغ وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي تدل على التسامح فيما يتعلق بحقوق الله. فالتجاوز من الله للعبد في حقوق الله وارد وبابه واسع .

أما عند التحدث عن حقوق العباد بعضهم مع بعض، سواء بين المسلمين أنفسهم، أو بينهم وبين أهل الذمة، فإن الله شرع العدالة في هذه الحقوق ولا تسمى تسامحاً، لأننا لو قلنا أن الله شرع التسامح فهذا يعني أنه يقول للمسلمين أنه من حقهم أن يسيئوا إلى أهل الكتاب لكن يطلب منهم أن يكونوا أفضل منهم وأن يتجاوزوا عن حقوقهم تفضلاً ومنّة. إذن فقد شرع الله تعالى الأحكام على أساس العدل لا التسامح .

إن الأحكام قائمة على حراسة الحقوق ورعايتها طبق ميزان دقيق من العدالة .فإذا وجد التسامح (أي التجاوز) في أحد الجانبين فلا بدّ أن يوجد من جراء ذلك الإجحاف والظلم في الجانب الآخر .أي إن ألزمت أحد الطرفين أن يكون متسامحاً (أي متنازلاً عن حقه) فهذا يعني أني أظلمه .

من تكريم الله للإنسان أن يربأ هذا الإنسان بنفسه عن الوقوع تحت منن وإحسان ومشاعر الرحمة الأتية من الآخرين، والإنسان يطلب حقه ولا يقبل تفضل أحد عليه.

يجب أن لا نخلط الكلام السابق المتعلق بمقاطع الحقوق والأحكام الشرعية مع التسامح الذي يحض عليه الشارع في تعامل الناس بعضهم مع بعض، وهذا ما يدخل في ساحة الأخلاق وهو الذي يمارَس بشكل طوعي .أي التسامح أن تتنازل عن بعض حقوقك التي أعطاك إياها الشارع بشكل طوعي دون أن تكون ملزماً بذلك. إذن التسامح في الأحكام التي ترسي حقوق العباد فيما بينهم، وارد ومعقول بمعنى واحد، وهو أن يوصي الشارع جل جلاله الناس أن يتساهلوا ويتسامحوا، كلٌّ في

حق نفسه تجاه الآخر، دون أن يشرع في ذلك أحكاماً ملزمة. وفي هذا المعنى فإن الكل مدعو أن يسابق صاحبه في الإحسان .

إذن فمن الخطأ بمكان أن توصف الأحكام التي تنظم علاقة المسلمين بالكتابيين في أي حال من الأحوال بالتسامح. ذلك لأنها لو كانت كذلك لكانت قائمة على الظلم في الوقت ذاته، لأن التسامح القسري في حقوق بعض العباد لن يكون إلا عن طريق إهدار حقوقٍ لآخرين .

في الدرس إجابة عن بعض الأسئلة فيما يتعلق بعلاقة المسلم بالكتابي، كالمشاركة في العمل أو التعزية في وفاة أو التهنئة بفرح، وكل هذا جائز وهو ما يتعلق بالأمور الاجتماعية والأخلاقية. لكن الأمور الدينية التي يستقلّون هم بها ولنا موقف منها فلا يجوز [أقول: أي إن كان في ذلك موافقتهم على شيء يخالف العقيدة الإسلامية كالتثليث مثلاً أو الصليب وغيرها.

خلاصة الموضوع: أن الكتابيين عندما يكونون مجاورين للمسلمين أو على صلة بهم لهم حالتان:

ـ الحالة الأولى: أن يكون بينهم وبين المسلمين تعايش سلمي قائم على الأمن والطمأنينة بين الطرفين، في هذه الحالة عقد الذمة لا يكون إلا بالتراضي .

الحالة الثانية: أن يكون هؤلاء الكتابيون ومن في حكمهم في حالة حرب مع المسلمين، في هذه الحالة يجب على المسلمين أن يصدوهم وأن يكبحوا جماح حرابتهم لنا، فإذا انتهى الأمر هنا لابد من أن الحرابة قد انتهت وهذا بإقامة هذا العقد بيننا وبينهم .

وهكذا نطمئن نرفع الرأس عاليا باعتزاز وعدالة هذا الدين الإسلامي الحنيف والحمد لله رب العالمين .

• (الدرس 16) الخروج على الحاكم، أهو بغي أم حرابة أم جهاد ؟ – ج 1

. وردت أسئلة عديدة كلها تدور على حديث صحيح تابت عن رسول الله ﷺ ،رواه مسلم والترمذي أن الرسول ﷺ قال :" لا تبدؤوا أهل الكتاب بالسلام " والحديث طويل وله سبب ومناسبة. ويسأل الإخوة كيف لهم أن يوفقوا بين ما قلت من أنه يجب علينا معاملة أهل الذمة معاملة كريمة حسنة وبين هذا الحديث ؟

ـ الجواب: الرسول ﷺ قال لا تبدؤوا أهل الكتاب ولم يقل أهل الذمة، عندما يتم عقد الذمة بيننا وبين اليهود أو النصارى تنطبق القاعدة القائلة " لهم مالنا وعليهم ما علينا" وقد قال العلماء في

قواعد تفسير النصوص :" عندما تجد نصا لا تتسرع في تفسيره حتى تعلم الجو الذي ورد فيه هذا النص " فا مناسبة هذا الحديث هي :

ـ تروي السيدة عائشة أن رجلا من اليهود دخل على رسول الله ﷺ فقال :" السام عليكم " فغضبت السيدة عائشة وانتهرته وقالت كلاما شديدا، فنهاها رسول الله ﷺ وأمرها بالرفق ونبهه أنه قال له :" وعليكم" في هذه المناسبة قال رسول الله ﷺ هذا الحديث.

ـ هؤلاء اليهود لم يكن معهم عقد ذمة وكان شأنهم مع المسلمين إساءة معاملتهم معهم، وكانت لهم كلمات ظاهرها أنها كلمات عربية جيدة لكن باطنها في العبرانية كلام سيء، لكن عندما يكون هنالك عقد ذمة فأنت تسلم عليهم بالسلام المألوف عندهم مثل صباح الخير أو مساء الخير ...

ـ في أخر درسنا الماضي قلت أن القواعد التي رسمتها الشريعة الإسلامية لعلاقة المسلمين مع أهل الذمة لا تدخل تحت اسم المسامحة كما يعبر كثير من الناس اليوم، وهذا الكلام لا ينصف الإسلام ولا يكرم أهل الذمة. وكلمة المسامحة لها مدلول في قاموس المبادئ الأخلاقية والدعوة فيها طوعا لا جبرا. وأحكام الذمة داخلة في الواجبات إذا كانت لهم حقوق أعطيها لهم شئت أم أبيت، وعليهم واجبات عليهم تنفيذها شاءوا أم أبوا. لهذا قلنا أن أحكام الذمة تتصف بالعدل لأنها مقاطع حقوق، وأحكام الأمور الأخلاقية تنبني على الإيثار .

ـ انتهينا من الحديث عن معنى الجهاد لغة ومعناه شرعا، وانتهينا عن تدرج تشريع البارئ لأحكام الجهاد، أي ماذا كان الجهاد قبل الهجرة وكيف تطور بعد الهجرة، ثم عرفنا أن الجهاد القتالي قد اختلف العلماء في سببه، منهم من قال أن سببه ردع الكفر، ولكن الجمهور من الفقهاء من المالكية والحنابلة والحنفية وأحد رأيين لشافعية قالوا :"سبب الجهاد هو صد الحرابة وصد العدوان إن الواقع أو المتوقع ". ثم عرفنا التنظيم الذي شرعه الله لعلاقة المسلمين مع غير المسلمين بعد أن تضع الحرب أوزارها أي عقد الذمة.

. بعد أن صار بذهننا تصور تام للجهاد القتالي لماذا شرع، ننتقل إلى تطبيقات هي الغرض من دراستنا لهذا الموضوع حتى نعلم كيف نسير في هذا العصر، وحتى لا يلتبس علينا الباطل بالحق ولا الحق بالباطل .

بحث: الخروج على الحاكم، أهو بغي أم حرابة أم جهاد؟

تحرير لمحل البحث :أي نحدد معنى كلمة الحاكم .

ـ المراد بالحاكم الذي سنتحدث عن حكم الخروج عليه أهو جائز أم غير جائز، والحاكم الذي لم يتلبس بكفر بواح لنا عليه من الله سلطان. (وهذا تعبير رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ـ وهنا حديثنا عن الحاكم المسلم سواء كان فاسقاً أو غير فاسق، فاجراً أو غير فاجر.

أما الحاكم الذي تلبس بكفر بواح واضح ولا مجال للتأويل فيه، فلا شك أنه يجب الخروج على الحاكم، ويجب الخروج من عهدة البيعة له إذا أعلن كفره البواح كما قال سيدنا رسول الله ﷺ، وإذا اتخذ هذا الحاكم مبدأ المقاومة للأمة التي تريد أن تخلعه، وأن تنزع نفسها من عهدة البيعة له، فقد أصبح بالإضافة إلى كونه كافرا محاربا، ووقوع الجهاد واجب من أجل درأ الحرابة .

من المراد بالحاكم هنا؟ وما طرق الوصول إلى الحكم؟

ـ وحديثنا الآن عن حاكم استقر له الحكم بواحدة من طرق ثلاثة، وهو مسلم لم يتلبس بأي كفر صريح:

الطريقة الأولى: البيعة المباشرة وهي أفضل الطرق، بأن يبايع من قبل كل أفراد الأمة، أو من قبل ممثلي الأمة، وهم الذين يسمون بأهل الحل والعقد .

الطريقة الثانية :أن يعهد إليه الحاكم الذي قبله، وقد سأله الناس من تختار لنا؟ مثلا مرض الحاكم أو كبرت سنه ورأى أن الناس يطلبون منه أن يقترح لهم حاكما يراه رجلا صالحا فاضلا مخلصا لهم، فيقول أنا أقترح لكم فلان، فيتفق الجميع عليه، هذا الثاني يعد أنه وصل إلى الحكم بواسطة العهد، وهذا أيضا بعد موافقة الناس. ومثال ذلك سيدنا أبو بكر عندما طلب منه الصحابة أن يقترح لهم أميرا أو خليفة من بعده، فاقترح لهم سيدنا عمر، وخطب لهم قائلا :"فإن استقام فذلك ظني فيه وإلا فأنا لم آل جهدا بما قد فعلت والذنب ذنبه" .

الطريقة الثالثة: الاستيلاء بالقوة والغلبة، لكن شريطة أن يكون بعد موت الحاكم الذي قبله أو بعد عزله بسبب شرعي صحيح، أو أن تكون إمامة من قبله هو الأخر بالقوة. فإذا استولى هذا الثاني على الحكم بالغلبة والقوة واستقر له الأمر، وكان الحاكم الذي قبله تحققت فيه إحدى الشروط السابقة، فإن استيلاء هذا الثاني على الحكم واستقرار الحكم له يجعله ذا صبغة شرعية في حكمه، وعلى الأمة أن تطيع وتسمع له ولو لم يبايعوه، والحكمة من هذا الأمر أن الشارع يتشوف دائما إلى إغلاق أبواب الفتنة. لكن لو أن هذا الإنسان استولى بالقوة والغلبة وكان الحاكم الذي قبله موجودا، ولم يعزل بسبب شرعي فالأولوية للحاكم الأول، وهذا يسمى عندئذ باغيا، وللحاكم الأول أن

يقاتله ،وللأمة أن تقف في وجهه. ودليل على هذا قول رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم في باب الإمارة :"إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الثاني منهما " .

ـ قد يتساءل أحدكم عن هذا الذي استولى على الحكم بالغلبة، حيث اخترق نظام البيعة واخترق حرية الناس ووصل إلى الحكم قهرا، ولو الحاكم الذي قبله مات أو معزول، هل له أن يفعل ذلك ؟ لا يجوز له أن يفعل ذلك، وإذا فعل ذلك يأثم ولكن نحن إذا وجدناه وصل إلى الحكم واستقر له، فواجبنا أن نطيع ونسمع في غير معصية طالما أن الحكم قد استقر له، والحكمة من ذلك إغلاق باب الفتنة .

عقد الإمامة لازم، لا يفسخ إلا بموجب شرعي: وهنالك عقود لازمة وعقود جائزة، مثل عقد الشركة عقد جائز، ومن العقود اللازمة عقد البيع، وعقد الرهن، فعقد الإمامة عقد لازم، ولا يعزل إلا بموجب شرعي. فإذا ما استقر له الحكم بطريقة من هذه الطرق الثلاثة فقد استقر له الحكم ولا يعزل إلا بموجب شرعي، منها العضوية. ومنها كفره.

ـ أما إذا طرأ الفسق على هذا الإمام الذي بايعناه فالحكم هنا أن جماهير الفقهاء ذهبوا أنه لا يجوز عزل الإمام بسبب فسقه، مهما اشتد فسقه، مادام أنه لم يخرج من الإسلام ولم يكفر كفرا بواحا لنا عليه سلطان ودليل نستطيع أن نبرزه أمام الله يوم القيامة. بل إن الإمام النووي نقل إجماع المسلمين إلى أنه لا يجوز أن يعزل الحاكم بعد أن استقر له الحكم بسبب أنه أصبح فاسقا .

أقوال العلماء:

ويقول الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم :" أما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقه ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل، وحكي عن المعتزلة أيضا فغلط من قائله مخالف للإجماع) أي جاء هذا الكلام متأخرا بعد أن كان الإجماع) قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من فتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه " هذا كلام الإمام النووي .

ـ ويقول الإمام النسفي في عقائده: "ولا ينعزل الإمام بالفسق، أي الخروج على طاعة الله تعالى، والجور، أي الظلم على عباده تعالى، لأن الفاسق من أهل الولاية "

ـ ويقول واحد من الحنفية اسمه ابن النجيم في كتابه الأشباه والنظائر :" ولا يجوز تعدد الإمام في عصر واحد، وجاز تعدد القاضي ولو في مصر واحد، ولا ينعزل الإمام بالفسق"

ـ قال الإمام التفتازاني في المقاصد: "ولا ينعزل الإمام بالفسق والإغماء، وينعزل بالجنون وبالعمى والصمم والخرس، وبالمرض الذي ينسيه العلوم"

ـ قال الباجوري: "... فتجب طاعة الإمام ولو جائراً. وفي شرح مسلم يحرم الخروج على الإمام الجائر إجماعاً"

ـ ونقل ابن حزم هذا الاتفاق عن الصحابة وجميع الفقهاء والتابعين وجمهور أصحاب الحديث وعن أحمد والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم.

وأساس هذا الاتفاق ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة ثابتة نذكر منها:

1ـ ما رواه الشيخان البخاري ومسلم من حديث " عبد الله ابن عمر" رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :" إنه ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها " قالوا يا رسول الله: كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال :" تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم". أي تؤدون حقوق الحاكم من طاعة في غير معصية وغيرها، أما حقوقكم التي أخذها منكم فتسألون الله يوم القيامة أن يأخذها لكم .يعني لا يجوز الخروج عليه.

ـ ماروواه الشيخان من حديث عبد الله بن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال: "من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج على السلطان شبراً فمات، مات ميتة جاهلية". وواضح أنه يتكلم عن السلطان الفاسق الظالم.

3ـ ما رواه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان أنه صلى الله عليه وسلم قال: "يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس." قال قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال:" تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع "وفي حديث آخر لمسلم من رواية عوف بن مالك: "...قيل يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة."

هذه الأحاديث هي سبب الإجماع الذي نقله الإمام النووي .

شدد رسول الله ﷺ على وجود خليفة واحد، والآن تبين لنا سبب أمره ذاك حيث نجد أن حال المسلمين في نزول مستمر حتى وصل إلى هذا الدون من المهانة والذل، حتى أصبحوا مثل جماعة فقراء مدقعين مساكين أحيط بهم من كل الجهات مثل الفريسة تماما، والسبب أن هذه الأمة التي جعل الله قوتها في وحدتها، وجعل وحدتها في إيمانها ودينها وإتباع شرع ربها سبحانه وتعالى، ما

استطاعت دولة من دول البغي أن تنال منالا منها على طول تاريخ هذه الأمة، حتى في أحلك الظروف التي كانت فيها الأمة تحت مظلة الدولة الواحدة والخلافة لما كانت تسمى بالرجل المريض. أي أواخر عصر الخلافة العثمانية. إلى أن تم تحطيم طوق الخلافة على يد بريطانيا بعد أن خدعت العرب وحرّضتهم على الخلافة العثمانية. وهذه الحقائق سجلها لورانس العرب في مذكراته التي أسماها"أعمدة الحكمة السبعة"، ومنذ ذلك اليوم تنتقل الأمة من تجزؤ إلى تجزؤ، وفي ظل هذا التجزؤ قضي على كرامتها واستُلبت حقوقها واحتُلت أراضيها .

- **(الدرس 17) متابعة موضوع الخروج على الحاكم، أهو بغي أم حرابة أم جهاد ؟ – ج 2**

توضيح لسؤال قد أجاب عنه تعقيبا لتعاملنا مع أهل الذمة وأنه لا ينبغي الإساءة إليهم ولا إيذاؤهم بأي تصرف قولي أو فعلي. وكان قد ذكرني أحدهم بحديث لرسول الله ذكره مسلم وغيره وهو :" لا تبدؤوا أهل الكتاب بالسلام " ويقول السائل كيف يتفق هذا مع ما قد قلت، وكنت قد أوضحت أن رسول الله كان قد قال هذا عن أهل الكتاب ولم يقله عن أهل الذمة، وقد ذكرنا أيضا مناسبة الحديث. وأرسل إلي بعض الإخوة أن حديث عائشة الذي تقول فيه :" أن اليهود كانوا إذا دخلوا إلى رسول الله قالوا السام عليكم، غير حديث أبي هريرة الذي يقول فيه رسول الله :" لا تبدؤوا أهل الكتاب بالسلام "، ويؤكد أن هذا الذي يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعني أهل الذمة، لأن اليهود الذين كانوا في المدينة، وكان رسول الله قد كتب كتاب تعايش سلمي بين المسلمين وبينهم، كانوا داخلين في عقد الذمة، إذا فحديث رسول الله الذي ينهانا فيه عن بداءة أهل الكتاب بالسلام إنما يعني أهل الذمة .

الإجابة عن سؤال الأخ: أولا :اليهود من بني قريظة أو من بني النضير أومن بني قينقاع الذين كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وبين المسلمين كتاب تعايش وآمان لم يكونوا أهل ذمة، لأن مشروعية عقد الذمة وما يتبعها من جزية وأحكام إنما تمت في السنة الثامنة أو التاسعة من الهجرة، أي قبل وفاة رسول الله بعام تقريبا، أما الكتاب الذي كتبه رسول الله وأخضع فيه المسلمين واليهود لنظام تعايش، فهؤلاء لم يكونوا أهل ذمة لأن مشروعية أهل الذمة لم تكن موجودة آنذاك. إذا كلام رسول الله كان لأهل الكتاب من غير أهل الذمة.

ثانيا: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" لا تبدؤوا أهل الكتاب أو اليهود والنصارى بالسلام " للمناسبة التي ذكرت والتي روتها السيدة عائشة لسوء أخلاق اليهود آنذاك، وحديث أبا هريرة

مستقل عن حديث السيدة عائشة، لكن السبب في نهي رسول الله هو هذا الذي ذل عليه حديث السيدة عائشة. وفي المدينة آنذاك لم يكن إلاَّ اليهود، والنصارى يأتون وافدين، جاء يوم وفد من نجران فاستقبلهم رسول الله في مسجده، فدخلوا المسجد وأكرمهم أيما إكرام، وتبت أنهم صلوا صلواتهم في المسجد.

ـ هنالك كثير من الفقهاء قالوا كما قلنا أن أهل الذمة حكمهم يختلف عن عموم حكم أهل الكتاب، فإن أصبح الكتابي ذمي فلا مانع أن نبدأه بالسلام، ذلك أن أهل الذمة نحن ملزمون أن لا نؤديهم وأن لا نسيء إليهم، حتى أن القرطبي قال في تفسيره لحديث رسول الله :" واضطروهم إلى أضيق الطريق " قال ليس معنى ذلك أنك إذا رأيت كتابي يمشي في طريق واسع أن تلجئه الجئا كي يمشي على حافة الطريق، لا هذا فيه إيذاء ولا يجوز الإيذاء حتى للكتابي فضلا عن الذمي، ولكن معنى هذا الكلام أنك إذا كنت تمشي في طريق ضيق لا يكاد يتسع إلا لشخص، وجاء كتابي من الطرف الأخر فأنت لست ملزما بأن تؤخر له احتراما وتكريما له، وأن ترجع حتى تترك الطريق لأجله.

ـ ونقول أن بداءة أهل الذمة بالسلام جائز بل هو من الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المسلم، من ذلك ما رواه "ابن أبي شيبة" عن عون ابن عبد الله " عن "محمد ابن أبي كعب" أن "عون ابن عبد الله " سأل "محمد ابن أبي كعب" رضي الله عنهما :" هل نسلم على أهل الذمة ونبدؤهم بالسلام" فقال :" لا بأس بذلك" قال :" ولما ما الدليل" فاستدل "محمد ابن كعب" بقول الله سبحانه وتعالى :" فاصفح عنهم وقل سلام"

ويروي البيهقي أيضا في سننه أن أبا أمامة وهو من الصحابة كان يسلم على كل من يراه ويسلم أيضا على أهل الذمة، فسئل عن ذلك فقال :" إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأمان لأهل ذمتنا "

ـ وقد كان "عبد الله ابن عمر" يخرج إلى السوق ولا يرى واحدا إلا سلم عليه .

نصيحة للأخ ولنا جميعا: :إن أردت أن تماحك وتتمحل في الأسئلة، تمحل وماحك في مسألة إن حققت فيها مصلحة، ولا تماحك في مسألة إن حققت فيها وأردت أن تنفذها فتحت باب فتنة. ولأن نأخذ بالرأي الضعيف نغلقُ به باب فتنة ونسد به ثغرات السوء خير من أن نأخذ برأي قوي نفتح من ورائه باب فتنة .

حكم إمامة الفاسق:

عرفنا أن طروء الفسق على الحاكم الذي استقر الحكم له لا يستوجب عزله .

أما عن الحاكم الذي كان فاسقا قبل أن ينصب فالحكم في هذه الحالة: لقد قلنا من أن الحاكم يتبوأ الحكم شرعا بطريقة من طرق ثلاثة: البيعة المباشرة، أو العهد لمن بعده بشرط البيعة، أو التغلب بالقهر والتسلط .

1ـ فإذا كان هذا الحاكم الفاسق قد وصل إلى الحكم بالبيعة أو العهد، فقد ذهب معظم الفقهاء وعلماء العقيدة إلى اشتراط العدالة الظاهرة في الإمامة. ولكن يرى الحنفية وجمع أخر من الفقهاء صحة انعقاد إمامة الإمام ولو كان فاسقا، بشرط أن يكون بصيرا بأمور المسلمين، وخبيرا بسياسة الأمور، وبارعا في رد الأذى عن الأمة، أو هو من أهل الولاية، ففي هذه الحالة يغض النظر عن فسقه، وهذا ما يقرره واحد من أكبر علماء مذهب الإمام الشافعي وهو "العز ابن عبد السلام" رحمه الله تعالى، فهو يرى أن الإمام الفاسق إذا لاحظنا أنه خبير بأمور السياسة، بصير برعاية الأمة، بارع في حمايتها من السوء، قادر على أن يحمي هذه الأمة، وهذا الذي ينبغي أن يولى الحكم، ونغظ النظر عن فسقه. ويقول في كتابه :" قواعد الأحكام في مصالح الأنام " :" صلاح الحاكم لشخصه ، وفسقه أيضا لشخصه، أما خُبرته وذكاؤه وحنكته وسياسته وإخلاصه في رعاية الأمة ففائدة ذلك كله للأمة " ويقول :" تصحيح ولاية الفاسق فيه مفسدة لما يغلب عليه من الخيانة في الولاية، لكن صححناها في حق الإمام الفاسق والحاكم الفاسق لما في إبطال ولايتهما من تفويت المصالح العامة، ونحن لا ننفذ من تصرفاته إلا ما ينفذ من تصرف الأئمة المقسطين والحكام من عادلين " أي أننا لا نطيعه في تصرفاته المحرمة في حق الرعية، ولكنا لا نخرج عليه أيضاً بسبب هذه التصرفات.

2. أما الذي وصل إلى الحكم عن طريق الغلبة والقهر واستقرت له الأمور وخضعت له القوة الأخرى، فجمهور الفقهاء كلهم على اختلاف مذاهبهم ذهبوا إلى صحة إمامته ووجوب الطاعة له وإن كان فاسق، ذلك لأننا لو اعتبرنا الفسق سبب لعدم الرضا بحكمه وهو قد وصل إلى الحكم بالغلبة والقهر نكون بذلك قد فتحنا بابا عريضا للفتنة، والتي يحذر الإسلام دائما منها. ويقول في هذا الإمام النووي في كتاب له اسمه :" روضة الطالبين " نص كلامه ما يلي :" أما الطريق الثالث فهو القهر الاستيلاء، فإذا مات الإمام فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلاف ولا بيعة وقهر الناس بشوكته وجنوده انعقدت خلافته لينتظم شمل المسلمين، فإن لم يكن جامعا لشرائط وإن كان فاسقا أو جاهلا فوجهان، أصحهما انعقاد إمامته لما ذكرنا، وإن كان عاصيا بفعله "

لا تلازم بين انعقاد إمامة من استولى عليها بالقوة، وبين إباحة ذلك له .بل الإقدام على ذلك محرم إن كان الإمام الذي قبله أهلاً للإمامة، لم يتلبس بكفر صريح. ولكن إمامته صحيحة ويجب على الناس طاعته، جمعاً للكلمة ودرءاً للفتنة .

والنتيجة التي نخلص إليها هي التالي :" لا يجوز في ميزان الشريعة الإسلامية الخروج على إمام المسلمين ورئيسهم مهما ظهر منه الجور والفسق "

والعلاج أنه ليس للمسلمين وعلمائهم ودعاتهم في هذه الحالة إلا سبيل واحد هو التصدي بالإنكار والصدع بكلمة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا ما يجب على الناس فعله.

هذا السبيل هو العلاج، وليس الدواء بالنزيف الذي يسبب الفتنة ثم يسبب موت الأمة .تريد أن تعالج، مر بالمعروف وانه عن المنكر لكن بالحكمة وتذكر قول الله تعالى لموسى وأخيه: "اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" (طه: 43-44)

إن تجاوز الحاكم حدود الفسق وأعلن كفراً بواحاً يجب الخروج عليه [قلت إن توفرت الاستطاعة دون أن يترتب على ذلك فتن]، أما الكفر البواح فسيأتي ذكره بعد قليل.

والعجب أننا نجد في هذا العصر أناسا إذا قيل لهم تعالوا فانصحوا حكامكم إن وجدتم فيهم انحرافا عن الجادة، اصدعوا أمامهم بكلمة الحق، ذكروهم بالله عز وجل، فهذا ما قد أمركم به الإسلام، يقولون :"لا نستطيع، إن فعلنا ذلك عوقبنا، وكممت أفواهنا :" !! ثم تنظر إليهم وإذا بهم يخططون للخروج عليه وللقتال باسم الجهاد، ونصب أسباب القتال. انظروا إلى هذا التناقض، أُمِرتَ بأن تفعل ما أرشدك إليه الباري عز وجل وأمرك به رسوله فاعتذرت بالضعف والعجز والخوف من أن يمنعك الحاكم،ثم اتجهت وقفزت إلى ما حذرك منه الله عز وجل، ومنعك منه، ونسيت اعتذارك بالضعف والعجز، ويا عجبا لمن يجبن أمام النطق بكلمة حق، ثم ينسى جبنه ويظهر قوته ليقاتل وليزم من أنه يجاهد في سبيل الله سبحانه وتعالى، إنها مفارقة عجيبة. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " وهذه الكلمة تكون مضمخة بالحب والنصح، فإذا أردت أن تجاهد وتبحث عن الشهادة فهاهنا الجهاد المبرور.

والأمر هو النبش في أسباب الفتن التي ينبش فيها أناس من خارج بلادنا ومن غير أبناء جلدتنا .

الأدلة التي يعتمد عليها الخارجون:

لا يوجد لديهم إلا دليل واحد هو ما يزعمونه بكل بساطة وبكل طمأنينة من أن حكامهم كافرون خارجون عن الملة !! وبالتالي يجوز لهم الخروج.

متى يثبت الكفر، وما هي موجباته:لنعد إلى كتب الشريعة الإسلامية وكتب العقيدة التي تبحث في هذا الموضوع، ولنبحث عن موجبات الكفر ونطبقها على أئمتنا ونتساءل هل هم كفروا؟فإن كانوا كذلك نحاربهم، وإن لم نجد ذلك فالحذر من هذا الإفتئات، ومن فتن تتسرب إلى مجتمعاتنا .

موجبات الكفر لا تخرج عن ثلاثة أقسام وهي:

ـ قول يستوجب ردة وكفر، فعل جاد، السخرية والتحقير .

1 ـ القول الذي يستوجب الكفر: قال العلماء هو :" كل قول كان تعبيرا صريحا عن إنكار ركن من أركان الإسلام أو الإيمان أو كان تعبيرا عن إنكار حكم من الأحكام الإسلامية المعروفة بالبداهة لكل المسلمين من علماء و جهال والعوام وغيرهم "..

2ـ الفعل الذي يستوجب الكفر: هو كل فعل يحمل في داخله دلالة قاطعة على شيء يتناقض مع ركن من أركان الإيمان أو الإسلام " مثل رجل مرَّ بصنم فسجد له، أو وضعه لصليب .

3ـ السخرية والتحقير: فأمثلتها كثيرة، وهي تدخل إما في نوع الكلام أو نوع الفعل يأخذ طابع السخرية، مثلا رمى القرءان في الأرض، أو حدثه محدث عن القرءان فسخر منه، أو يسخر من الصلاة أو الحج، أو سخر من الأذان، أو من الجنة والنار وغيرها بوسيلة قاطعة في الدلالة على السخرية. أو يزدري الفقه الإسلامي عموماً.

تلك هي ضوابط التكفير في الشريعة الإسلامية، فهل يراعي هؤلاء الخارجون هذه الضوابط؟ بل هل يعرفونها؟ أبداً.الحكم بالتكفير بشكل مزاجي لا يجوز إطلاقاً.

قرار التجريم بالكفر الجماعي للحكام (كل حكام العرب) يستند عند الخارجين عليهم إلى عدم الحكم بما أنزل الله، مستدلين بقول الله تعالى: "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" [المائدة: 44 .]لكن ما معنى الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل؟ هذا ما سيتم شرحه في الدرس القادم إن شاء الله.

• (الدرس 18) متابعة موضوع الخروج على الحاكم، أهو بغي أم حرابة أم جهاد ؟ – ج 3

إجابة عن سؤال:

س ـ قلتم إن الأعداء إذا اقتحموا دار إسلام واقتطعوا شيئا منها، وجب على المسلمين جميعا لتطهير هذه الأرض وإسترداد الحقوق، الأقرب فالأقرب، ويقول الأخ هل يجب إذن نحن أن نقوم

فنجاهد في سبيل الله عز وجل لاستعادة فلسطين مثلا باعتبار أنها مغتصبة وهي قطعة من دار الإسلام .

ج . نعم هذا الذي ذكرنا، ومع هذا نقول أن هذا الواجب لا يتعلق بعنق واحد دون واحد بل نحن وأنتم وجميع المسلمين حتى النساء اللائي يتمكن من القيام بواجب ما في هذا الصدد، فكلنا مكلفون وكلنا مخطئون ومقصرون بالنسبة لهذا الواجب، أما أن يسألني قائلا هل أنظم إلى المنظمة الفلانية أو كدا، أقول له هذا شأنك أنت. المهم أن على كل فرد إن وجد السبيل مفتحة أمامه إلى عمل يجدي ويترك نكاية في العدو وجب عليه، وإن لم يجد سبيلا يجدي بحيث يترك نكاية في العدو فا بالعكس فإنه هو الذي يذهب ضحية وأمثاله، وهذا ما يسر به العدو، إذن تطبيق هذا الحكم الشرعي لا يكون بشكل فوضوي كيفي، وإنما ينبغي أن يكون بشكل مدروس بحيث يقدر هذا الإنسان أنه إذا دخل في هذا الواجب فلسوف يترك أثرا إيجابيا لمصلحة المسلمين .

إذن فالواجب كفائي إذا لم يقم به القدر الكافي فالكل أثمون والمسألة تضامنية.

متابعة موضوع: متى يثبت الكفر، وما هي موجباته:

خلاصة لما تما ذكره في الدرسين الماضيين :

بعد أن أوضحنا معنى الجهاد ومشروعيته وذكرنا قول الفقهاء جوابا عن سؤال القائل: هل الجهاد شرع لصد الحرابة أم لإجبار الناس على الإسلام ؟ وسمعنا رأي جمهور الفقهاء ورأي الآخرين أيضا ، وتبلورت المسألة في أذهاننا تماما. وتساءلنا هذا الخروج الذي نراه اليوم داخل البلاد الإسلامية هنا وهناك بالسلاح وبالقتال على المسلمين حكاما أو غير حكام، هل هو داخل في الجهاد بعد أن عرفنا معنى الجهاد وحقيقته ؟؟ تبين لنا كما ذكرنا في الدرس الماضي والذي قبله، أن هذا ليس جهادا بل هو إعراضٌ و تشاغل عن الجهاد الواجب، ولا يدخل أبدا في باب الجهاد وأحكامه بشكل من الأشكال. وتحدثنا عن الإمامة، وكيف يمكن أن ينصب إماما وقلنا أن هنالك ثلاثة وسائل وهي: البيعة والعهد والغلبة والقهر، وذكرنا أحكام ذلك كله، ثم تحدثنا عن الإمام الفاسق أي إذا طرأ الفسق على إمام بعد أن نصب، وعن الإمام الذي فرض نفسه إماما فاسقا ما الموقف الذي ينبغي أن نتخذه ،وأصغينا إلى كلام الفقهاء في هذا فرأينا أنه يجب الإغضاء عن فسق الإمام إذا كانت موصفات الإمام متوافرة لديه من الذكاء والحنكة والسياسة والإخلاص للأمة وما إلى ذلك من القوة التي يجب أن تتوفر فيه، وأصغينا إلى كلام "العز ابن عبد السلام" رحمه الله في هذا الصدد

عندما قال :" إن حنكة هذا الإمام وقوته وإخلاصه للأمة، أما فسقه فيعود إلى شخصه هو، وهذا بينه وبين الله سبحانه وتعالى"

وإذا كان الأمر كذلك فهل يجوز أن نقاتل هؤلاء الحكام إذا كانوا فسقتا بعد هذا الذي عرفناه ؟ قلنا في الجواب إن الذين يخرجون عليهم في بعض البلاد القريبة أم البعيدة عنا، لا يخرجون عليهم بوصف كونهم فسقه، وإنما يخرجون عليهم بسبب أنهم يرون أنهم كافرون. وسألناهم لماذا هم كافرون ؟ قالوا لأنهم لا يحكمون بما قد أنزل الله سبحانه وتعالى. وهذا دعانا إلى أن نفتح ملف الأشياء التي تسبب للإنسان الكفر، أي كيف يخرج الإنسان من دائرة الإيمان فيقع في الكفر بأقوال وأفعال أو سخرية وهو ما تحدثنا عنه، حيث إذا وجد شيء من ذلك فقد وجد الكفر البواح، والذي يأمرنا رسول الله عند ظهوره بالخروج على الحاكم، لكن إذا ما وجد شيء من هذا فلم يوجد الكفر البواح، والفسق ليس كفرا.

انتهينا إلى أن الخروج على الحاكم الفاسق غير جائز شرعاً، إلا أن البعض الذين يخرجون على الحكام يخرجون عليهم بسبب أنهم يرون أنهم كافرون، فكيف يبرر هؤلاء كفر الحكام؟ يقولون أنهم لا يحكمون بما قد أنزل الله سبحانه وتعالى. فهل ينطبق هذا على ما تم بيانه من موجبات الكفر البواح في الدرس السابق؟

يستدل هؤلاء بالآية القرآنية: "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" [المائدة: 44] وحكام المسلمين اليوم لا يحكمون بما أنزل الله، فهم جميعاً كافرون !! والخروج عليهم واجب.

ـ والغلط يكمن في نقطتين اثنتين :

الأولى التعميم بقولهم كل الحكام والمسئولين كافرون .

ـ النقطة الثانية هي الإطلاق أن من لم يحكم بما أنزل الله مطلقا دون دراسة للخلفيات فأولئك هم الكافرون. فهاتان النقطتان تحتاجان إلى نقاش :

النقطة الأولى التعميم: إذا رجعنا إلى كتب العقيدة الإسلامية والتي من خلالها وعينا إسلامنا، وعرفنا أركان ديننا، ماذا نجد ؟ نجد أن كتب العقيدة كلها توضح أنه لا يجوز أن نكفر الناس جماعيا، ولا أن نحكم بإسلامهم أيضا جماعيا، وإنما تحكم على كل فرد فردٍ على حدا حسبما يترأى لك من موجبات إسلامه أو من موجبات كفره. يعني لا يجوز لنا أن نقول عن بلاد رأينا بها أذان ومساجد في كل مكان و أن أهلها كلهم مسلمون، بحيث قد يوجد فيهم ملاحدة أو مرتدون وغيرهم. كذلك العكس لا يجوز، أي أن تحكم جماعيا على أهل بلدة أو أهل حي أو على جماعة أو قوم من الأقوام

بأنهم كفار. فلابد لك أن تتفحص كل واحد منهم على حدا ، بقطع النظر عن الأسماء، أو الانتماءات الجماعية ، وإن كانت تحمل في أذهان كثير من الناس دلالة دينية. فلكي نحكم على أناس بالإسلام أو بالكفر فلا بد أن نتفحص عقيدة كل فرد على حده.

الخطأ الثاني يكمن في هذا الإطلاق :هو أن كل من لا يحكم بشريعة الله فهو كافر، نتساءل هل هذا الإطلاق إطلاق علمي سليم ؟ لا، لنناقش هذا الكلام أيضا ؟ لو أننا جارينا هؤلاء الإخوة الذين يقولون هذا الكلام بإطلاقه، إذن لاقتضى الأمر أن نكفر ثمانين بالمائة من الناس لا أكثر، بحجة أن من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. لسرى حكم التكفير هذا على كثير من الآباء والأمهات، وعلى كثير من ذوي السلطة والقيادة الجزئية في مؤسسات أو مصانع أو معاهد أو أحياء، إذ ما أكثر الذين يتنكبون من هؤلاء جميعاً عن الحكم بشرع الله، ويحملون رعاياهم إن في البيوت أو المؤسسات أو المعاهد أو الأسواق والأحياء، على إتباع أحكام أخرى غير أحكام الله عز وجل. فمثلاً ما أكثر الرجال الذين يتبوءون الحكم في بيوتهم، فيأمر أحدهم ابنته بأن تخرج سافرة، أو يبعث ابنه ليكون موظفاً في بنك ربوي، أو يأمر زوجته وأولاده أن يأكلوا من مال حرام جاء به... أليس هذا كله حكم بغير ما أنزل الله؟ إذاً إطلاق القول بكفر كل من لم يحكم بما أنزل الله يستوجب تكفير هؤلاء أيضاً. كما أن كل فرد هو حاكم على نفسه، فإن قرر شرب الخمر فقد حكم بما لم ينزل الله، فهل نحكم بكفره، وكفر كل مرتكب معصية!؟

وعن معنى الآية الصريحة ؟ فقبل الإجابة نقول أن مصيبتنا ذات شعب متعددة، فأخطرها أن كل واحد منا يجعل من نفسه المفتي الذي لا يرد كلامه، وكل واحد من هؤلاء الناس الذين نتكلم عنهم إذا قضى شعوره المزاجي بأن الأمر كذلك، لا يلجأ إلى إمام ولا إلى عالم أو مجتهد ولا إلى أحد إطلاقا، ويصبح هو الحاكم وهو الناطق باسم الله سبحانه وتعالى، فهذه مصيبة كبيرة. ويقول الدكتور :" لا يجوز لي أنا على الرغم من أنني تخصصت وتعلمت ووصلت إلى هذا السن، أنني إذا قرأت آية في القرءان الكريم أن أعود في تفسيرها إلى مزاجي وإلى اجتهادي الشخصي أبدًا، بل يجب أن أعود إلى ما يمكن أن أعثر عليه من كلام رسول الله، وإن لم أعثر فمن كلام أصحاب رسول الله، وإن لم أعثر فمما قاله الأئمة"وقال الشيخ: مند أيام كنت في مجلس فطرح أحد الجالسين علي سؤال يتعلق بأية في سورة من كتاب الله عز وجل، عندها لم أتذكر ما قاله العلماء في ذلك ، ودرأ في خلدي معنا من المعاني وكان معنا من عندي، عندها لم أجرأ أن أذكر له ما جرى عليه فكري، بل قلت له :" والله لا أذكر الآن ما قاله أئمة التفسير جوابا عن سؤالك هذا، ولا أجرأ أن أقول ما يدور في

فكري الآن، فدعني أراجع الأئمة الذين اختصوا بهذا التفسير، وما يمكن أن يكون مستندا في ذلك، وبعد أن رجعت إلى المراجع وأقوال الأئمة أرسلت إليه جوابا حسب ما رأيت. وهذه ليست مزية أقولها لكم وإنما هي أبسط ما يجب أن يتصف به مسلم آمنا على إسلامه"

ـ وعن قوله تعالى :" "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" نعود إلى أقوال علماء التفسير، ومنهم قول "عبد الله إبن عباس" والذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يلهمه التفسير والتأويل بالنسبة لكتاب الله سبحانه وتعالى، يقول :"كفرٌ دون كفر هو كفر النعمة، أي من لم يحكم بما أنزل الله فقد كفر بنعمة الله سبحانه وتعالى وهو دون الكفر الذي يستوجب الردة والقتل"مثلا الله تعالى يقول :"وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ " وغيرها من الآيات، فهذه لا تعني الخروج من الإسلام. وكفر النعمة هو سترها وعدم الاعتراف بها .

إن عدم حكم المسلم بشريعة الإسلام، قد يكون بدافع تكاسل، وقد يكون بدافع ركون منه إلى شهوة من شهواته أو مصلحة من مصالحه الدنيوية، وقد يكون بدافع إنكار منه لشرع الله عز وجل (والإنكار هو كفر بواح أما الدافعان السابقان فليسا كذلك). ولا يستبين أحد هذه الدوافع إلا بالبينة والبرهان، فإن لم يوجد دليل على واحدة منها، فالاحتمالات الثلاثة قائمة. وإذا وقع الاحتمال، كان افتراض دافع معين منها دون غيره تحكماً، ومن ثم يسقط الاستدلال به. ويبقى الأصل معمولاً به، وهو الإسلام، وذلك بموجب قاعدة: الأصل بقاء ما كان على ما كان.

ـ سئل الإمام أحمد ومن هو الإمام أحمد المتشدد في هذا الصدد، وكثير من المكفرين اليوم يعتبرون أنفسهم تبعا له، وليتهم كانوا كذلك. ويقول :" من قال أن الخمر حلال فهو كافر يستتاب" وهذه من المكفرات اللفظية، كونه أنكر شيء معروف من الدين بضرورة، حتى يتوب وإلا ضربت عنقه، ثم عقب " وهذا محمول على من لا يخفى على مثله تحريمه " أي لا يخفى عليه أن الخمر حرام، ومن كان حديث عهد بالإسلام وأنكر تحريم الخمر لا يكفر، ويقول الإمام أحمد :" فأما إن أكل لحم خنزير أو ميتة أو شرب خمرا لم يحكم بردته بمجرد ذلك سواء فعل ذلك في دار حرب أو دار الإسلام لأنه يجوز أن يكون فعل ذلك معتقدا تحريمه كما يفعل غير ذلك من المحرمات " أي شهوة وضعف إرادة . ومنه نكون قد فهمنا من هذا الكلام أن ارتكاب الإنسان للمحرمات بنفسه، أو أمره لأولاده أو أتباعه بشيء من هذه المحرمات وحدها لا يكون دليلا قاطعا على الكفر، لأنه ربما فعل ذلك أو أمر بذلك وهو يعلم أن هذا حرام، وارتكب لتهاونه أو لضعف إرادته أو لاعتقاده بأن الله غفور رحيم، ومن أجل هذا فإن كل علماء الشريعة الإسلامية (ما عدى الخوارج الأزارقة الحرورين

الذين انقرضوا) قالوا :" مجرد ارتكاب المحرمات أو الأمر بها لا يخرج الإنسان من الإسلام إلى الكفر، سواء حاكما على شعبه أو كان رب أسرة في داره، أو كان حاكما على معهده أو جامعته أو مؤسسته أو مصنعه ... فهو يفسق لكنه لا يكفر .

وهذه الفتوى التي يستخرجها الناس من أدمغتهم مزاجيا باطلة لسببين:

أولا: أنه لا يجوز تكفير الناس جماعيا، ولا يجوز بالحكم بإسلام الناس أيضا جماعيا .

ثانيا: أنه لم يقل أحدا من علماء الشافعية ولا الحنابلة ولا الملكية ولا الحنفية ولا الظاهرية ولا الصحابة ولا التابعين، أن مجرد ارتكاب المعصية في حق الذات، أو الأمر بالمعصية مجرد ذلك يكون كفرا، لم يقل أحدا هذا الكلام. أما الخوارج فحسبك أنهم قتلوا عليا رضي الله عنه لأنهم اعتبروه كافرا بسبب أنه قبل بالتحكيم ، وهم خرجوا عن صراط الله بإجماع الأمة كلها .

قتل من يسمونهم أعوان الظلمة:

ـ قد يقول قائل لهؤلاء الذين تركوا جهاد العدو المتربص في دار الإسلام وأعطوه ظهورهم، وأوغلوا قتلا في المسلمين أنفسهم باسم الجهاد. نقول لهم :" ها أنتم تكفرون الحكام ولا ترضون بما قاله المسلمون جميعاً ولا تريدون أن تعترفوا بالخطأ الذي ذكرناه الآن، فلماذا تلاحقون الموظفين والذين يدورون في فلك هؤلاء المسلمين ممن يسمون أعواناً لهم؟ هم يكفّرون حتى هؤلاء ممن يسمونهم بأعوان الظلمة كالشرطي والوزير والموظف وغيرهم ...يعطون أنفسهم الفتوى بالقتل بحجة أنهم أعوان للظلمة !! فلنضع هذه المسألة في الميزان.

من هم أعوان الظلمة؟ يعني إنسان رأى ظالماً أياً كان فمد إليه يد العون، استخدمه الظالم فخدمه، هذا يسمى من أعوان الظلمة.

لن تجد واحدا من أعوان الظلمة أوضح في خدمته لظالم من ذلك الرجل من " حاطب ابن أبي بلتعة " الذي كان من خبره يوم فتح مكة، حيث لو وضعنا حالة هذا الإنسان في ميزان الرؤيا في عصرنا اليوم، ربما ظنا أكثرنا أن هذا الإنسان قد كفر.

وقصته التالي :" عندما أراد رسول الله التوجه إلى مكة فاتحا كتم الخبر بشكل مبالغ فيه ربما، حتى يفاجئ أهل مكة ويكون الفتح فتح سلم جهد الاستطاعة، سمع رجل من المسلمين اسمه "حاطب ابن أبي بلتعة"، وفعل شيئا في السر وفي الظلام الدامس حتى حرص على أن ظله لا يعلم بالخبر. أطلع الله رسول الله على هذا، فأرسل عليه الصلاة والسلام "المقداد ابن الأسود" و"علي ابن أبي طالب" قبيل توجهه إلى مكة، قال لهما :"ستجدون امرأة معها كتاب، خذوا هذا الكتاب منها".

انطلقوا وذهبوا بسرعة فرأوا امرأة تستريح في مكان اسمه "روضة خاخ" كما وصف رسول الله، فأقبلوا إليها وقالوا: أخرجي الكتاب، فأنكرت، قالوا لها :"لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب" خافت فأخرجت الكتاب من عقيصة في شعرها ،عادوا بالكتاب إلى رسول الله، فضه وأمر بقراءته وإذا هو كتاب من"حاطب بن أبي بلتعة" إلى زعماء المشركين في مكة يخبرهم بأن رسول الله قادم إليهم فخذوا حذركم.

أليس هذا من أعوان الظلمة، وهل هنالك تعاون مع الظلمة أوضح من هذا ؟؟ إن مقتضى ما يقوله المسلمون المزاجيون اليوم: نغمض العين ونقول رأساً كفر وارتد وهدر دمه !

لنرى ما فعله رسول الله، حيث استدعاه، فقال له :" ما حملك يا حاطب على ما فعلت ؟ فقال :" والله يا رسول الله ما كفرت بعد الإيمان، لكني كنت ملصقا بقريش ولست بقرشي، ولي بينهم رحم فأحببت أن أتخذ عندهم يدا، حتى يحموا قرابتي "، فسامحه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قد يقال أن هذا اجتهاد من النبي، لكن لنرى إلى الآية التي نزلت في هذه المناسبة، وخوطب فيها " حاطب ابن أبي بلتعة" وسائر الناس، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ..." [الممتحنة: 1]،هنا خاطب حاطب بصفة الإيمان، إذن هل كفر حاطب بهذا الذي فعله ؟ لم يكفر، هذا لا يعني أن الحاكم لا يملك أن يعاقبه، كان ممكن لرسول الله أن يعاقبه لكن عقاب تعزيري، ويرى ما تقتضيه المصلحة إن شاء سامح أو سجن أو جلد أو ربى وأدب .. له أن يفعل ما يشاء.

إذا كان حاطب ابن بلتعة لم يكفر بهذا العمل، فهل يكفر الوزراء والمسئولون تحت يد رئيس دولة أو نحو ذلك عندما يؤدون معه وظائف معينة، مع العلم أنهم يؤدون وظائف مشروعة. ألانهم يعملون مع مسئول كفرتموه، وكفرتم أيضا كل من يعمل معه، وينبغي أن يذبحوا ويقتلوا كالنعاج ؟؟ لا هذا أيضا باطل .

- قد اتضح بشكل جلي أن حكام المسلمين مهما قصروا، لا يجوز لنا أن نكفرهم لتقصيرهم، إلا إن نطق واحد منهم بكفر بواح، أما مجرد عدم الحكم بما أنزل الله فهذا ليس بكفر.

أيضاً قال في آخر الدرس: مرة أخرى أقول لكم: هذا الموضوع [أي الجهاد] إدراكه علمياً من الأهمية بمكان، لأنه يشكّل الكوابح التي ينبغي أن يتمسك بها المسلمون اليوم. هل تتصوّرون واقع المسلمين اليوم كيف هو؟ إذا تصوّرتم مجموعات من الناس يسيرون في منزلق، وأناس آخرون من ورائهم يدفعونهم دفعاً في هذا المنزلق، تصوروا الخطورة، ما السبيل الذي ينبغي أن يحمي به هؤلاء

الناس أنفسهم لكي لا يهووا على رؤوسهم في أسفل الوادي؟ أن يمسكوا بكوابح، حتى يثبتوا أقدامهم طبق الإرادة، فلا يستطيعون الذين يدفعونهم من الوراء أن يقتّلوهم ويهلكوهم بهذا الشكل. الآن هنالك من يدفعنا من الوراء، وأنا أعلم هذا، من أجل أن يهتاج المسلمون بعضهم ببعض، ومن أجل أن تقوم قائمة المسلمين بعضهم على بعض، ومن أجل أن يتحوّل الإسلام إلى مزق وأشلاء. هذه الخطة مرسومة ومعروفة. العاصم من ذلك العلم والابتعاد عن الإسلام المزاجي.

• (الدرس 19) متابعة موضوع الخروج على الحاكم، أهو بغي أم حرابة أم جهاد؟ – ج 4

إجابة عن بعض الأسئلة التي تما توضيحها خلال الدروس السابقة، منها سؤال عن أهل الذمة وبذاءتهم بالسلام، وسؤال آخر عن موقفنا من حكام ابتدءا من رب الأسرة إلى حكام دولة إن أصدروا قرارات فيها تعطيل لتطبيق شرع الله .

البُرَآءْ الذين يُقَّاتَلُون في هذا الضرام، واللغو الذي يرددونه عن مسألة التترس:

قدم ملخص عن عدم جواز الخروج عن الحاكم وأعوانهم، يبرر هؤلاء الإسلاميون اعتداءهم بالقتل على الشرطة والدرك والجنود ونحوهم، بأنهم أعوان الظلمة، فينبغي أن يُلحقوا بهم. وقد اتضح بطلان هذا الكلام وخطورة الجرم الكبير الكامن في تضاعيفهن وأكبر شاهد على ذلك قصة "حاطب ابن بلتعة" حيث رغم شناعة الفعل الذي قام به، ومع ذلك فإن رسول الله لم ينسبه إلى الكفر ولم يحكم عليه بالردة، وخاطبه القرءان بسمة الإسلام والإيمان. وماذا عن البرآء الذين يقتلون دون حساب ودون أن يلتفت إليهم أحد، يُقتلون برصاصات طائشة، أو بشظايا متناثرة، أو ينالهم القتل عمداً، لأن الرجل المستهدف غائب ضمن زحمة من الناس فلن يُنال إلا ضمن حاشية من القتلى يجب الإيقاع بهم !؟ أين هو المبرر الشرعي لقتل هؤلاء الآخرين؟

يقول هؤلاء الذين يسمون أنفسهم مجاهدون جوابا عن السؤال ! إن هنالك قاعدة فقهية تقول :" إذا وجدنا أنفسنا في الجهاد أمام صف من الكفار يقاتلوننا ورأيناهم قد تترسوا بترس من المسلمين جاز لنا اقتحام هذا الترس بقتل أفراده والقضاء عليهم، في سبيل إيقاف هجوم الأعداء وإبطال خطتهم.وقالوا: إذا كان هذا جائزا فكذلك البرآء الآمنون عندما يكونون موجودين في الشوارع ولا نستطيع أن نصل إلى الشخص الذي ينبغي أن نقتله إلا إذا قتلنا قبله هؤلاء الناس فنقتلهم، قياسا على الصف الإسلامي الذي يتترس به الكافرون .هذه هي معذرتهم .

يقول الشيخ إن أقصر السبل لمحاربة الفتن معرفة أحكام الشريعة، وهي الحصن الواقي ضد الفتن، ولو كانت البلاد التي تقع فيها هذه الفتن محصنة بمعرفة أحكام الشريعة وأحكام الفقه الإسلامي، إذن والله لما استطعت هذه الفتن أن تتوضع فيما بينها، كانت تمر وتنقضي .لكنها توضعت لأنها صادفت أناس عواطفهم الإسلامية حارة ومعلوماتهم الإسلامية صفر، ومن أجل هذا إننا نتداعى إلى هذه المجالس لا لأجل أن تاهتاج عواطفنا الإسلامية لأنها مهتاجة ولله الحمد، لكن من أجل ضبط تلك العواطف بضوابط العلم والمعرفة .

لنفرض أن أحدنا غير عارف بأحكام الشريعة الإسلامية وجاءه واحد من تجار الفتنة يقول له هذا الكلام الذي نقلته منهم الآن:"أن الكافرين إذا زحفوا إلينا وأخذوا صفا من الأسرى المسلمين لديهم وجعلوا منهم ترسا أمامهم ويزحفون من ورائهم إلينا، فالفقهاء يقولون يجوز قتل هذا الصف الأول من المسلمين حتى نصل إليهم، ولذلك نحن أيضا نفعل هذا الفعل وإن قتل برآء، نضطر أن نقتلهم لكي نصل إلى من ينبغي أن يقتل "يمكن كثير منكم يصدق هذا الكلام. لهذا علينا أن نشرح هذا الأمر كي نعلم التدجيل كيف يكون، وحتى نتوقى ممن يتلاعب بدين الله سبحانه وتعالى .

ما الجواب عن هذا الكلام ؟ ما مسألة الترس هذه ؟ : هذه المسألة ذكرها علماء الشريعة الإسلامية في باب اسمه "باب التعارض والترجيح" حيث عندما يتعارض حكمان، واحد منهما يأمر والآخر ينهى في مناط واحد، إن نفدت الأمر استلزم ذلك ارتكاب منيعا، فماذا تصنع ؟ولعل الإمام حجة الإسلام الغزالي هو أول من ضرب المثل بمسألة تترس الكفار بالمسلمين، وأوضح ذلك مثالا لتعارض حكمين إذا وقعا ما العمل ؟ وكيف السبيل. لنقرأ كلام الإمام الغزالي ثم نستنبط منه الحكم ونشرح، وكأننا الآن طلاب علم ندرس ونتذوق الشريعة الإسلامية . يقول الإمام الغزالي :" إن الواقع في رتبة الضروريات لابد أن يؤدي إليه اجتهاد مجتهد وإن لم يشهد له أصل معين، فالضرورة هي الشاهد، ومثاله أن الكفار إذا تترسوا بجماعة من أسرى المسلمين لو كففنا عنهم لصدمونا وغلبونا على دار الإسلام وقتلوا كافة المسلمين بهذه الصورة، المسلمين (أي نعلم هذا يقيناً). ولو رمينا الترس لقتلنا مسلمين معصومينً لم يذنبوا ذنباً. وهذا لا عهد به في الشرع. ولو كففنا لسلّطنا الكفار على جميع المسلمين فيقتلونهم ثم يقتلون الأسرى أيضاً. فيجوز أن يقول قائل (أي من علماء الشريعة): هذا الأسير مقتول بكل حال. فحِفظ جميع المسلمين أقرب إلى مقصود الشرع. لأننا نعلم قطعاً أن مقصود الشرع تقليل القتل، كما يقصد حسم سبيله عند الإمكان. فإن لم نقدر على الحسم (أي أن لا يقتل أحد نهائياً) قدرنا على التقليل. وكان هذا التفاتاً إلى مصلحة عُلم بالضرورة كونها مقصود

الشرع لا بدليل واحد وأصل معين، بل بأدلة كثيرة خارجة عن الحصر" ثم يقول الإمام الغزالي :"فهذا مثال مصلحة غير مأخودة بطريق القياس على أصل معين. وانقدح اعتبارهذه المصلحة باعتبار ثلاثة أوصاف (أي شروط): أنها ضرورية، قطعية، كلية .وليس في معناها ما لو تترس الكفار في قلعة بمسلمين، إذ لا يحلّ رمي الترس عندئذ إذ لا ضرورة، فبنا غُنْية عن القلعة، فنعدل عنها: إذا لم نقطع بظفرنا بها" [المستصفى للغزالي] ثم أطال الإمام الغزالي في بيان الشروط التي لا بد من توفره عند جميع علماء المسلمين لجواز اقتحام الترس وقتل أفراده المسلمين في هذا المثال، وهي الضرورة، والقطعية والكلية ، ومعناها التالي :

أولا: الضرورة: أن نعلم أننا إن لم نغامر ونقتل هذا الصف الأول من المسلمين، ونعلم قطعا أن الأعداء الذين من ورائهم سيجتاحون المسلمين جميعا ويقتلونهم جميعا، بما فيهم هؤلاء الأسرى. في هذه الحال لسنا نحن الذين نهاجمهم، لكن في هذه الحالة هم الذين يهاجموننا ويتقدمون بهذا الترس من الصف الإسلامي .

ثانيا: القطعية :هو أن نجزم بعد دراسة وتدقيق بأننا لو اقتحمنا هؤلاء المسلمين وقتلناهم لتغلبنا عليهم يقينا، ولقضينا على كيدهم .

ثالثا: الكلية : أن نعلم أننا إن لم نفعل هذا الفعل، فإن الكافرين لن يقتلوا فئة من المسلمين ولا جماعة، ولا أهل قرية أو مدينة معينة وإنما سيجتاحون المسلمين كلَّهم .

عندما توجد هذه الشروط الثلاثة عندئذ يجوز لنا التضحية بهؤلاء الأسرى أو ما يسمى الترس.

بالله أيها الإخوة اروني ما العلاقة بين هذه المسألة وبين تبرير قتل البرآء في سبيل أن نخرج نحن على الحكام وليس الحكام هم الذين يقاتلوننا، وما علاقة مثال تترس الكفار بالمسلمين بهذا الأمر؟ أليس هذا تدجيلا في مجال التلاعب بالشريعة الإسلامية ؟ أليس هذا شأن من يعلم أنه يتلاعب بأحكام الشريعة .

مثال خروج هؤلاء الناس بحكامهم بحجة أنهم كفرة ولا يستطيعوا الوصول إلى الحكام إلى بعد أن يقتلوا مئات وربما ألاف البرآء كما حصل في الجزائر، ويقولون هذا مثل الترس. ففي مثال تترس الكفار هم الذين يهاجموننا ولسنا نحن، ونحن نعلم بضرورة أننا إن أعرضنا عنهم في سبيل أن لا يقتل هؤلاء البرآء، فإنهم لن يعرضوا عنا ولسوف يقتحموننا، ولسوف يجتثون شأفة المسلمين ويقتلونهم جميعا، هذا هو مثال كلام الفقهاء. هل أنتم إذا لم تقاتلوا الحكام يقاتلونكم؟إنكم إن جلستم في بيوتكم ومارستم الدعوة إلى الله كما أمر هل يلاحقونكم؟ إطلاقا فا الشرط الأول غير موجود، وعن

الشرط الثاني بأننا أن نجزم أننا إن قتلنا هؤلاء الأسرى سنقتل الأعداء كلهم أو سوف يفرون ويتركون أرضنا وديارنا لنا، أين هذا الشرط في مثلنا هذا؟. فالحكام جالسون وأصلا لا يقاتلونك، وهم يرعون حقوقك، ومنه لا الشرط الأول ولا الثاني موجودان، وعن شرط الكلية وهو أن هؤلاء الأعداء إن تركناهم ربما قتلوا المسلمين جميعا، هل هؤلاء الإخوة إن جلسوا في بيوتهم، الحكام الذين يكفرونهم سوف يقتحمون بلاد الإسلام ويقتلون المسلمين جميعا ؟؟

ـ إذن المسألة التي يتحدث عنها علماء الشريعة الإسلامية عندما يفترضون حالة نادرة جدا جدًا في الشرق، وهذا الذي ربط الناس به أنسهم في الغرب. هذا ما كتبه بعضهم وهو يبرر قتل البرآء الآمنين في بيوتهم نساء رجالا أطفالا، والتبرير هو أنهم لا يستطيعون الوصول إلى الحكام الذين هم كفرة بنظرهم إلا إذا قتلنا حاشية كبيرة جدا البرآء الآمنين، ونظرا إلى أن هؤلاء مثل الترس الذي تترس به الكفار فنحن أيضا نقتلهم .

هذا الكلام قد يسري بدهن إنسان جاهل بدين بسيط ساذج في فهم أحكام الشريعة الإسلامية، لكن لا يمكن أن يسري على إنسان شم رائحة الفقه الإسلامي، وعلم أن أحكام الشريعة أحكام منطقية وعقلية .

ـ لهذا أقول لكم أن دواؤنا أمام هذه الفتن معرفة الدين، والتبصر بأحكام الشريعة الإسلامية ولو أن البلاد التي تدور فيها هذه الفتن كانت محصّنة بمعرفة الشريعة الإسلامية وأحكام الفقه الإسلامي، إذن والله لما استطاعت هذه الفتن أن تتوضّع فيما بينها، كانت تمرّ وتنقضي. لكن لماذا توضّعت؟ لأنها صادفت أناساً عواطفهم الإسلامية حارّة ومعلوماتهم الإسلامية بسيطة جداً جداً. فنحن من أجل هذا نتداعى إلى هذه المجالس، لا من أجل أن نهيّج عواطفنا الإسلامية، فعواطفنا الإسلامية مهتاجة ولله الحمد، لكن من أجل أن نضبط عواطفنا الإسلامية بضوابط العلم والمعرفة.

ـ تطرق في أخر الدرس إلى موضوع الردة قائلا: لعلكم تعلمون شخصا ما اتهم بالردة هنا لا إشكال، حوكم محاكمة غيابية بالردة، وقرر التفريق بينه وبين زوجته غيابيا. وهذا الكلام سرى على من يتمسكون بدين عاطفة وهم فقراء إلى الدين علما وتبصرا بشريعة الإسلامية، أما طالب علم في معهد شرعي ثانوي قرأ باب الردة وأحكام المرتد، لا يمكن إلا أن يسخر من هذه المحكمة التي حكمت بهذا الأمر، لماذا ؟ لأننا عرفنا أسباب الردة من أقوال وأفعال وسخريات، والمرتكب لإحداها نأتي به ونناقشه وان ما قام به ردة، ونسأله ماذا يعني بما يقول ؟ وإذا أجاب أنه لم يكن يعني ما فهمناه منه، وأنه كان يعني شيء أخر كدا وكدا. وحتى إن كان ما قاله لا يتفق مع النص الذي قاله،

فيجب على الحاكم أن يصدقه، ولو لم نصدقه فإنه بهذا الكلام قد رجع إلى حظيرة الإسلام، ثم يجب تنبيهه إلى خطورة الكلام الذي قاله لأنه يُفهم منه الكفر.. لكن عندما يحاكم غيابيا فهذه الفرصة غير موجودة. ومنه فإن الحكم على شخص بالردة غيابيا غير وارد نهائيا في الشريعة الإسلامية، وبتالي التفريق بينه وبين زوجته أيضا غير وارد .

ـ مصيبة المسلمين التي تحرق الفؤاد أن المسلمين أنفسهم جعلوا من الإسلام منديلا لمصالحهم، هذا يجعل من الإسلام أداة لزعامة، وذاك يجعل من الإسلام وسيلة لإشفاء غليله، وأخر يجعله وسيلة لجمع المال، والقلة القليلة الذين يضحون بمصالحهم في سبيل الإسلام. هذا هو الواقع الذي نعاني منه. فدين الله أغلى وأغلى من أن نجنده لمصالحنا ولأهوائنا وشهواتنا هذا شيء، وشيء أخر أنه لا تزال ندوات تعقد ويؤتى بأناس متناقضين متخالفين من أجل أن يتحدثوا عن الردة ولا واحد منهم قلبه فيه درة حرقة على الإسلام، لكن قلوبهم محروقة على الفن وهم يبحثون عن أمور ساخنة لممارسة الحوار حولها وتجعل المتحاورين يتشاجران وهو أمر يشد الجمهور إليها، ولا يهم ما يحدث لهما نتيجة ذلك، وهو أمر كثير من الأقنية تتسابق إليها.

• (الدرس 20) متابعة موضوع الخروج على الحاكم، أهو بغي أم حرابة أم جهاد ؟ – ج 5

ملخص عن الدرس الماضي حول الترس ومعناه في الشريعة الإسلامية .

إجابة عن سؤال: نصه التالي: إن كان في الشريعة الإسلامية باب اسمه "التعارض والترجيح" فهذا يعني أن هنالك أحكام متناقضة في الإسلام، أي أن الإسلام يقول عن شيء افعل ويقول عنه في نفس الوقت لا تفعل ؟

الجواب: لعل هذا السائل لم يفقه ما ذكرناه في الدرس الماضي، ونقول له لا يمكن أن تجد في الشريعة الإسلامية حكمين متناقضين تناقضا حادا لا يمكن الجمع بينهما غير موجود نهائيا. والموجود حكم محرم مثل حرمة أكل لحم الخنزير، ويوجد حكم عكسه يجب عليك أكل لحم الخنزير. لكن متى يحرم ومتى لا يحرم ؟ يحرم عندما يكون لديك طعام طيب. لكن إن وقعت والعياذ بالله في مخمصة أي مجاعة شديدة تهدد بالهلاك ، ونظرت فلم تجد أمامك أي طعام غير هذا اللحم، في هذه الحالة يجوز لك أكله. وهذه اسمها مرونة حيث أمور تحرم في الحالات العادية وتجوز في حالات استثنائية. فالشارع حرم قتل البرآء فعلا، لكن عندما تجد نفسك في ظرف خاص كما شرحنا في مثال الترس الذي يتترس به الكفار ...

إن الذي ينشر أسباب الرعب وعوامل القتل بين المسلمين البرآء، باسم الجهاد في سبيل الله أو الانتصار لدين الله، لا بدّ إذن أن يعلن عن موقفه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: ".. من خرج من أمتي على أمتي يضرب برّها وفاجرها، لا يتحاشى مؤمنها ولا يفي بذي عهدها فليس مني". وعجبا لإنسان يقول أنه مسلم ومؤمن بالله بل ويدعي بأنه مجاهد، ثم يمزق كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا شر ممزق. إذن هؤلاء لا يعد عملهم جهادا. وقد يقول فينا قائل: لعلهم بغاة فلندخلهم تحت اسم بغاة.

فهل هم بغاة إذن؟

بعد أن علمنا أن الخروج على الحكام أمر محرّم مهما كانوا فسقة، وتعلمنا موجبات الكفر والردة، وحكم قتل من يسمونهم أعوان الظلمة، ثم استمعنا إلى اللغو الذي يرددونه في مسألة التترس وتبيّنا بطلانه، وبالتالي فإن ما يفعلونه لا يمتّ إلى الجهاد بصلة، فالجهاد عمل مبرور ومأجور، بينما ما يقومون به عمل إجرامي نهى عنه الله عز وجل، بعد هذا نتساءل: هل هم بغاة إذن؟

الآن نحن بحاجة أن نعلم ما هو معنى البغي في الشريعة الإسلامية، وهذا الموضوع ينبغي أن نعرفه جيداً لأن كثيراً من الناس يلبّسون على بعض العوام وأنصاف العلماء هذا الموضوع.

البغاة جمع باغ وقد أجمع الفقهاء على تعريفهم بما يلي :" البغاة هم فئة من المسلمين خرجت على إمام المسلمين بمقاتلته معتمدين في ذلك على رأي اجتهادي في تبرير عملهم، وقد توفرت لهم شوكة ومنعة وفيهم زعيم يطاع " إذن لكي يسمى هذا العمل بغيا ويسمى القائمين به بغاة لابد من ثلاثة شروط :

أولا: أن يكون هؤلاء القائمون بهذا الأمر مجتهدين ولهم اجتهاد مبرور في عملهم هذا، من منطلق كونهم أهلا للاجتهاد. نعم إمام المسلمين يخالفهم وهم يخالفونه، ولكنهم مجتهدون وأداهم اجتهادهم إلى أن لهم الحق إلى أن يخرجوا على هذا الإمام ، فخرجوا عليه .

ثانيا: أن تكون لهم منعة وشوكة يعني أن يكون لهم جيش وسلطة قوية .

ثالثا: أن يكون لهم زعيم مطاع فيهم جميعا .

في هذه الحالة يسمى هؤلاء بغاة، إذا خرجوا على الدولة بسبب أنهم مجتهدون قد لا يحاسبهم الله عز وجل، ولكن الحاكم أيضا مجتهد له أن يكافحهم ويقاتلهم، باعتبار أنه يرى أن هؤلاء البغاة مخطئون، ولذلك فقرار الشريعة الإسلامية أن هذا القتال الدائر مآله يوم القيامة إلى أن كل من الطرفين معذور باجتهاده، ويترتب على ذلك أحكام وهي التالي :

1 . لا يجوز لدولة وهي تقاتل هؤلاء البغاة أن تعقب المنهزمين لتقضي عليهم، أي لا تقاتلهم إلا مقبلين مهاجمين، فإذا ولى واحد منهم الأدبار تتركه، إلا إذا ولّى ظهره وهرب تكتيكاً أي ليلجأ إلى مكان آخر ويجدد الهجوم فلهم أن يتعقبوه.

2 ـ جرح واحد من هؤلاء البغاة، لا يجوز الإجهاد عليه بل نأخذه ونطببه .

3ـ لا يجوز للدولة أن تقتل أسراهم، بل تبقيهم عندها وتستثيبهم ثم تتركهم.

ـ إذا قتلت الدولة من هؤلاء البغاة أناسا، لا يُكلف هؤلاء أو هؤلاء بالدية ولا بالقصاص، لأنها فتنة لو أردنا

أن نتتبعها لاستمرت الفتنة وازدادت، وهذا الحكم ينطبق على ما جرى بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما.

هذا هو معنى البغي وهذه هي شروطه.

وإذا عرفنا الأمر بهذا الشكل نتساءل: هل هؤلاء الناس الذين يخرجون اليوم على حكامهم في أي البلاد الإسلامية، هل هؤلاء علماء مجتهدون وصلوا إلى درجة الاجتهاد ففعلوا هذا؟ أبدا فا الذين يفعلون هذه الأفعال في الجزائر(وقت إلقاء هذا الدرس) ليس فيهم ولا واحد عالم من علماء الشريعة الإسلامية إطلاقا، أفضل وأحسن واحد منهم طالب علم بسيط جدا، فضلا عن أن يكونوا علماء وفقهاء، فضلا عن أن يكونوا مجتهدين، وفي قادتهم من لا يتقن تلاوة القرءان فكيف يمكن أن نقول أن هؤلاء حكمهم حكم البغاة لأنهم مجتهدون في أحكام الشريعة الإسلامية ؟

ـ شيء آخر أن هؤلاء الذين خرجوا على حكامهم مع العلم أنهم لا يقاتلون حكامهم، بل يقاتلون الناس البرآء وأعوانهم الذين تصل أيديهم إليهم، وهذا لا ينطبق على البغاة، وما يتعلق بأحكام البغي أيضا لا علاقة به بما يبرره أناس اليوم لأنفسهم بشكل من الأشكال .

إجابة على أسئلة قد تخطر على بال البعض :

ـ قد يقول منكم قائل ها هو ذا الحسين رضي الله عنه قد خرج على يزيد، عبد الله ابن زبير خرج عليه، وعبد الله ابن العباس خرج عليه، إذن إذا كان قد جاز الإمام الحسين ابن سيدنا علي رضي الله عنهما أن يخرج على يزيد وقد تمت البيعة له، وعبد الله ابن زبير وعبد الله ابن عباس كلهم خرجوا على يزيد، معنى ذلك كلامك غير صحيح، وهو أنه لا يجوز الخروج على الحاكم إن لم يكن كافرا .

ـ ويقول الدكتور أنه قد أرسل إليه أحدهم سؤال يقول فيه :" كيف خرج الحسين ويزيد وابن الزبير ابن العباس على يزيد، أفكان يزيد يحكم بالقانون الفرنسي، أفكان لا يقطع يد السارق " بمعنى أن يزيد كان مطبقا لشريعة والحدود، ومع ذلك قد خرج كثير من المسلمين العلماء عليه ؟

ـ الجواب: قبل أن يموت معاوية رحمه الله تعالى أوصى الناس بأن يبايعوا ابنه يزيد، ولما مات معاوية لم يبايع أحد من أهل الحجاز، ولم يبايعه أحد من أهل العراق ولم تبايعه جمهرة كبرى من أهل الشام، إذن لم تتحقق له البيعة التي تجعل منه أميرا للمؤمنين أو رئيس دولة أو خليفة إطلاقا. فخروج الحسين ومن خرجوا معه على يزيد ليس خروجا على إمام استقر له الحكم، ولكنه خروج على واحد يطرق باب الوصول إلى الحكم .كما يقول علماء العقيدة الإسلامية مثل صاحب الإمام النسفي في كتابه "العقائد" أو صاحب المواقف و"العضد الإيجي" قالوا :"أن هؤلاء خرجوا على يزيد لأنه لم تكن قد تحققت البيعة له من قبل إطلاقا ". أي هو أشبه بخروج سيدنا علي على معاوية، حيث لم يكن الأمر قد استتب لسيدنا معاوية بشكل من الأشكال.

ـ "عبد الرحمان ابن الأشعث" كان قد خرج على "عبد الملك ابن مروان" في عهد الحجاج وهذا ابن الأشعث كان باغيا حيث كان له دليله الاجتهادي وأعلن عنها، والله أعلم إن كان اجتهاده هو الصائب أم اجتهاد عبد الملك والحجاج الذي كان في عهد ه هو الصائب، وهذا هو البغي الذي يذكره علماء الشريعة الإسلامية في كتاب باب البغاة، وذكرت أحكامه التي ذكرنا بعضها .

ـ إذا كان عمل هؤلاء ليس باجتهاد ولا يمكن أن يدخل في عمل البغي فما هو إذن ؟في باب الشريعة الإسلامية باب اسمه باب الصيال ، والصائل هو الإنسان الذي يعتدي على إنسان أو جماعة، يعتدي عليها في أرواحها أو في أموالها أو في أعراضها بدون حق، هذا النوع من الاعتداء يسمى صيالا، والذين يعتدون يسمون صائلين، والبرآء الذين تقتحم دورهم أو بلدانهم يسمى الواحد منهم مصولا عليه. وباب الصيال يقول :"إذا داهمك إنسان في جنح الليل، حيث تصور دارك يريد أن يقتحمها ليقتلك أو ليقتل أهلك أو ليستلب مالك أو ليعتدي على عرض، فلك الحق أن تدافع عن نفسك، بأن تبدأ بالأخف فالأشد فا لأشد، أي تهدد وتنذر، إذا لم يفر ويرجع تضرب، فإن ضربته وقتلته فدمه هدر" هذا هو حكم باب الصيال .

ـ فينا ربما من يقول: كأنك تنسب هذه الأعمال التي تجري اليوم إلى مسلمين وإلى إسلاميين، ويقول من الذي أكد لك هذا، لا سيما أن هنالك من يؤكد أن هنالك أناس آخرين لا شأن لهم بالإسلام يفعلون هذا ؟ نقول له صحيح وهذا الواقع الذي ضاعت فيه الحقائق في هذه الأيام هو

سبب من أهم الأسباب التي اقتضى فيها تحريم الشريعة الإسلامية لفتح هذا الباب، فهذه النتائج التي وصلنا إليها هي سبب من أهم الأسباب لحرمة هذا العمل الذي بدأه فعلا أناس باسم الإسلام .

ـ كنا قبل خمس سنوات نقول [يقصد في بداية فتنة الجزائر في التسعينات وهذه الدروس كانت عام 1996]: يا أيها الإخوة [يقصد الإخوة في الجزائر]،" لا تفعلوا هذا فإن هذا فتحٌ لباب فتنة، وإذا فتح الباب باختياركم فهيهات أن تستطيعوا إغلاقه باختياركم، أبداً لن تستطيعوا .وقلنا لهم أيضاً :أيها الإخوة، أنتم اليوم مسلمون، باسم الإسلام تتحركون عن جهل، ولكن هنالك من يختبئ في الظلام، حتى إذا دخلتم وساد الهرج والمرج سيلحقون بكم، وسيتسللون من ورائكم وسيندسون في نفس صفوفكم ويفعلون ما تفعلونه باسمكم أنتم ولكل منهم هدفه وغايته ومبتغاه وبلدكم مطموع فيها من قبل كل الجهات. هذا سبب آخر من الأسباب وهو درء الفتنة، سد الذرائع ."الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، هذه حقيقة وإن قلنا أن الحديث ضعيف لكنها حقيقة.

في بلدنا أيام الخمسينات والستينات، كانت تخرج بعض المظاهرات، تبدأ نظيفة، ولها أهداف سليمة، لكن ما تكاد تسير 50 متراً إلا وقد اندس فيها من هنا وهنا و هنا أناس لهم أهداف أخرى، وتجد هتافات أخرى ظهرت، وإذا بهذه المظاهرة وجّهت توجيهاً آخر وسخّرت لعمل تهديمي . هذا شيء معروف وينبغي أن نعلم هذه الحقيقة تماماً.

ـ يختم الدكتور درسه فيقول: مرة أخرى نقول أيها الإخوة: إن معرفتنا لهذه الأحكام ودرايتنا لها تماماً كما يقول علماء الشريعة، هو الحصن الذي يقي هذه البلدة من الجراثيم التي تحاول أن تتوضع، وأنا أعلم أن هذه الجراثيم تساق سوقاً وهنالك من يحاول أن ينشرها هنا وهنا لإثارة الفتنة وإبعاد عوامل الاستقرار عن بلاد المسلمين.

• (الدرس21) سياسة التفكيك التي تتبعها الدول الكبرى في المنطقة – ج 1

الإجابة عن الأسئلة :

س: أحد الإخوة يسأل عن الذين يحكمون اليوم في تركيا (الدرس ألقي عام 1996) ينادون بالعلمانية ويعارضون الأحكام الإسلامية، يقول أليس أولئك الحكام قد تلبسوا بالكفر البواح ؟ ومن تما أليس من واجب المسلمين الخروج عليهم ؟

الجواب: نحن نقول أيها الإخوة إذا تلبس الحاكم أيا كان بكفر بواح أي الصريح لا مجال لتأويل فيه، فقد تحللت الأمة من رقة البيعة له، وحق لهم الخروج عليه. ولكن بشرط أن يغلب على ظن

هؤلاء المسلمين أنهم إذا خرجوا عليه ينجحون في ذلك، وأنهم بذلك ينتصرون للإسلام، وأقل المراتب لا يتأذى الإسلام ولا يتضرر. أما لو غلب على ظننا أنهم إن تحركوا سعيا لهذا الأمر فلن يصلوا إلى نتيجة إيجابية لمصلحة المسلمين، بل العكس هو الذي سيقع، إذا مبدأ سد الذرائع الذي تكلمنا عنه يقضي أن لا نتحرك وأن لا نخرج سدا لذريعة نتيجة أسوأ للإسلام والمسلمين .فالأمور بمقاصدها ونهايتها .

ـ ومنه إذا غلب على الظن أن الخروج على هؤلاء الذين يدعون إلى العلمانية في تركيا، أنهم سينتهزوا الفرصة بهذا الخروج، فيزيدون من إساءتهم إلى الإسلام وربما يجتثونه من الجذور في حين أن الفرص سانحة، لا شك ولا ريب أنه يحرم الخروج في هذه الحالة، لاسيما عندما تكون الظروف هناك خاضعة لما يسمونه بديمقراطية، يعني بعد حين تأتي انتخابات، وهي التي ستيسر السبيل للمسلمين أن يزيحوا هؤلاء الذين ينادون بالعلمانية من الطريق ، فما عليهم إلا أن يدعموا موقفهم وأن ينشروا الإسلام بين صفوف الناس على اختلاف الفئات ليتهيئوا للفرصة الآتية. ومثال ذلك عندما يكون الباب مفتوحا ويمكن الولوج فيه بعد أشهر أو سنة أو سنتين، إذا ما ينبغي أن نغامر مغامرة يغلب على الظن أن الإسلام هو الخاسر فيها.

ـ لتوضيح أكثر فإنه مند أن كان القائمون بالأمر في تركيا مسلمين ومتجهون الاتجاه الإسلامي السليم، عندها كانت هنالك قوى خفية تستفز المسلمين لعمل ما،واستمرت سلسلة هذه الاستفزازات منها إقالات، معاهد أغلقت .. والمقصود منها أن يهتاج المسلمون فيقوموا بعمل ما سلبي من هذه الأعمال التي تجري الآن في الجزائر أو هنا أو هناك، وهم ينتظرون حصول هذا الأمر لتدخل الجيش وأغلق الحركات الديمقراطية وجثث بجذور الإسلام التي ضربت هناك مند سنوات طويلة، لكن فاتته الفرصة والمسلمون هناك عرفوا الخطة وتهامسوا فيما بينهم أن لا تحركوا ساكنا، لأن تحركنا يؤدي إلى القول إلى أن المسلمون أينما وجدوا فهم متطرفون فالعنف هو منطقهم. استمر الاستفزاز وأقيل بالحاكم المسلم، وجيء بعد ذلك بالقوى التي تنادي بالعلمانية، ولم يتحرك أحد، وهنالك من اقتحم دار جريدة من الجرائد معروفة هويتها ببعض الأعمال الاستفزازية من تفجيرات ونحو ذلك ،واتهم بذلك المسلمون ثم تبين أن الذي فعل هذا لم يكن من المسلمين قط، ولكن أريد إلصاق الموضوع بالمسلمين. والآن الاستفزاز مستمر، والذين يمارسون عمالة منحطة للغرب بدون أي فائدة ينظرون وينتظرون متى يهيج المسلمون حتى نضرب الإسلام كله، ونعود بتركيا إلى ما قبل عشرات السنين ... ولم يتحرك أحد، فالمسلمون في تركيا يتمتعون إلى جانب العاطفة الإسلامية

بالوعي الإسلامي.وليس فيهم فئات متهارجة متخاصمة. والجهات الخفية التي تحاول أن تروج للعلمانية وتريد أن تخنق الإسلام ، كأنها يئست، وهم الآن يضغطون على الحكومة الديمقراطية أن يضيقوا على المسلمين في مساجدهم أو في معاهدهم أو في مظاهرهم أو نحو ذلك، هذه المرحلة التي وصل إليها الوضع في تركيا (عام 1996).

ـ لعل فينا من يسأل لماذا لا يتحرك هؤلاء الذين يختبئون وراء ستار الديمقراطية ويلوحون بأسلحتهم ويضغطون على الحكومة أن تمارس السعي إلى العلمانية بشكل فعال وقاس للإسلام، لماذا لا يخترقون ستار الديمقراطية ويخرجون ؟؟ ولماذا لا يمارسون انقلابا كالذي مارسوه من قبل؟؟ لابد لنا أن نقول هذا الكلام حتى نزداد وعيا كيف نتحرك لدين الله سبحانه وتعالى، وهي عبر ينبغي أن نأخذها.

أولا: ليس هذا اليوم كا الغد الدابر هناك. حيث عندما تحرك العسكر الخادم هناك للغرب خدمة عمالة لا أكثر، كان الشارع آنذاك إلى جانبه، فأقل المراتب لم يكن ضده، وكانت الظروف مهيأة له، أما اليوم فالشارع التركي ليس إلى جانبه .

ثانيا: الإسلام الذي انتشر وفرض هيمنته في المجتمع التركي لم يفرض هيمنته في فئة فقط، بل فرض هيمنته على المستوى المدني والعسكري أيضا، ولذلك فهم يخشون من الجنود الإسلامية التي قد لا تكون ظاهرة أو بارزة، ولذلك فهم لا يجرءون أن يظهروا على المسرح، لهذا يلعبون دور المنقب، لعل الإسلاميين يهتاجون أو يمارسون نوع من الحماقة كما يفعل غيرهم، فعندئذ يفتح المجال أمامهم لهذه الغاية بدون هذه المغامرة .

ـ المسلمون اليوم عندما يجدون أن قوتهم في الشارع ، وأن قوتهم في الإسلام الذي ينتشر بين سائر الفئات، فالعمل الذي ينبغي أن نفعله للغاية التي يسأل عنها الأخ، هو أن لا يستفزهم مستفز أبدا، وأن ينشروا الإسلام قناعة في عقول الناس وعاطفة في قلوبهم، وهكذا ينتشر الإسلام بين سائر الفئات، وعندئذ تشل فاعلية أولئك الآخرين، هكذا المسلم التركي. والتركي يعلم علم اليقين أن أوروبا يستحيل أن تجعل له مقعدا في الإتحاد الأوروبي مهما كان النظام الذي تتبعه ولو كانت العلمانية، لهذا العاقل هناك يقول لما أبقى في العراء وأتخلى عن إرث أبائي وأجدادي حضارة وثروة وعزا ومكانة ؟ هذا هو الفكر السائد في تركيا .

س2: سؤال آخر حول موضوع التترس، لا يوجد فيه جديد، إنما هو تأكيد على أنه إن لم تتحقق الشروط الثلاثة فلا يجوز قتل الترس.

نعود إلى درسنا. بعد أن تم توضيح كل ما ينبغي إيضاحه، نعود فنطرح الأسئلة التالية:

ـ هل هؤلاء الإخوة الذين مازالوا مصرين على هذه الطريقة التي نسمع بها هنا أو هناك، هل فعلا على الرغم مما أوضحنه، يتصورون أن ما يفعلونه لمصلحة الإسلام أو لفائدته، وأنهم عندما يغامرون هذه المغامرة، إنما ينطلقون من قصد إلى مرضاة الله صاف من الشوائب ؟ أم أن الذي يحركهم هو الثأر والانتصار النفسي الشخصي على إنسان أساء أو سلب حق من الحقوق ؟

ـ الغرب الذي يتظاهر من خلال وسائل إعلامه دائماً بالتأفف من العنف والخوف منه والحذر من التطرف كما نسمع في إذاعاتهم، هل صحيح أنهم يتأففون من هذا العنف وهذا التطرف في العمل الإسلامي أم إنهم سراً ينفخون في هذه النار؟

ـ كل هذا ينبغي أن نتأكد منه بدقة ووعي، وبأدلة نضعها تحت أبصارنا وبصائرنا .

ـ يقول الدكتور [و الدروس كانت عام 1996 وكأن الله قد فتح على بصيرته]: وقبل أن أواصل كأني ببعض الإخوة يقول :لماذا نوجع رأسنا بشيء نحن لم نبتلَ به ولله الحمد ؟ وهذا علاج لشيء قد يقع في بلاد أخرى غير بلادنا، ونحن قد عافانا الله ولله الحمد من هذا الأمر ؟ نقول لهؤلاء لا فالأمر ليس بهذه السهولة. صحيح أن البارئ عز وجل قد عافنا وعافى بلاد أخرى قريبة منا، لكن إلى هذه اللحظة عافنا الله، ، ولا تتصور أنه ليست هنالك خطط رامية إلى أن تنتقل تلك الأعمال الغوغائية المهتاجة وفوضى ما يسمى بالعمل الإسلامي المهتاج إلى هذه البلدة وإلى غيرها وغيرها، الخطة مرسومة للجميع. والعاقل عندما يسمع بوباء نزل بمدينة ما ،يحاول أن يحصن نفسه سلفا ضد جراثيم هذا الوباء، أليس كذلك؟ فالوباء إذا استشرى ليست له حدود، وهذا وباء. هذا شيء. وشيء ثانٍ، من قال لك إنه لا توجد بذور في داخل هذه البلدة وغيرها، بذور بُذرت تُدفع شيئاً فشيئاً إلى إيجاد هذا المناخ ذاته، وهذا شيء ينبغي لمن لا يعلمه أن يفترض احتياطاً أنه موجود. ومن يعلم، يعلم أنه موجود. أصدرت هذا الكتاب مند أربع سنوات وإلى الآن تأتيني رسائل من جهات خفية غير معلنة تضيق درعا بهذا العمل لماذا؟لأن دور هذا الكتاب دور العلاج الذي يطهر الجو من جرثومة معينة تحاول أن تنتشر. ودوره دور الكابح الذي يكبح الجماح، وهذا شيء يسيء إلى الخطة المرسومة

سياسة التفكيك التي تتبعها الدول الكبرى في المنطقة:

[من الكتاب] نشرت مجلة الشؤون الخارجية، لسان حال وزارة الخارجية الأمريكية مقالاً ضافياً في عدد تشرين الثاني لعام 1992 عن خطر الإسلام، وأفضل الطرق لتفاديه والقضاء عليه، وأفضل

الطرق لذلك فيما انتهى إليه المقال، هو تقطيع جسور التواصل والتضامن بين الدول العربية التي هي المصدر الأول للخطر الإسلامي، ثم العمل على إيجاد أكبر قدر من التشاكس والتناقض بين شعوب المنطقة وحكامها، بحيث يسودها القلق والاضطراب، وتنأى عن الهدوء والاستقرار.

ـ و يقول برنارد لويس في كتابه (الشرق الأوسط والغرب): "إن التغريب في المنطقة العربية أدى إلى تفكيكها وتجزئتها. وإن هذا التفكيك السياسي واكبه تفكيك اجتماعي وثقافي. والواقع أن إلحاق المنطقة بالغرب لم يكن ممكنا إلا بطريق تفكيكها وتجزئتها، ولو أعطيت لأي سياسي في العالم مسألة يسألونه فيها أن يسعى إلى إلحاق المنطقة العربية بالغرب، لما اختار غير الأسلوب الذي اختاره الغرب فعلاً، وهو تفكيك المنطقة بالفتن الطائفية، والتفتيت الاجتماعي والثقافي وافتعال الخصومات والفروقات، وتوسيع مواطن الاختلاف والمبالغة في إبرازها، وليس من شك في أن من يسعى إلى هذا يحزنه مشهد السلام بين الطوائف. ويسعده اندلاع التقاتل بين فئاتها. ولعل من يستبعد دور الغرب في إشعال فتيل هذا التقاتل، هو واحد من اثنين: خادع أو مخدوع."

ـ ومنه ندرك من هاتين الوثيقتين: أن الغرب الذي يتظاهر من أنه يخشى من هذا الهياج ومن هذا العنف ومن هذا التطرف، هو في الواقع يصنعه ويصدّره، وهذا شيء واضح ينبغي أن يكون ماثلاً في أذهاننا جميعاً.

ـ هل نحن نشاهد نتائج هذه الخطة أم لا ؟؟ التفكيك نراه والتجزئة نلاحظها، مثل التفكيك بين الدولتين الجارتين وقع أم لا، إلى درجة أن إحدى الجارتين سلّطت على الأخرى ثم جاء العدو ليتسرّب ما بينهما؟ والتفكيك على مستوى إثارة الفتنة بين المسلمين وبين الفئات واختلاق أسباب الخلاف والخصومات وُجد أم لم يوجد؟ .الإسلام دين لجمع الشمل، ألا تلاحظون كيف أنه تحوّل إلى دين للتفريق؟ كل مسألة اجتهادية في هذا الدين تحوّلت إلى دين !! فأنا أصبحت عندما أقتنع باجتهاد من الاجتهادات الإسلامية يصبح هو الحق الذي لا يعارضه إلا باطل، ومن تما معاداة كل من يخالفني، وأنت أيضا تجتهد وترى أنك أنت المحق تخاصمني وتكفرني وأكفرك، تبدعني وأبدعك .انظر وتأمل في حال المسلمين الذين كان ينبغي أن يكونوا يداً واحدة، وأن تكون قواهم متضافرة، وأن يكونوا مظهراً لقول الله: "إنما المؤمنون إخوة"، انظر، قد فرّقت فيما بينهم الجماعات والفئات والمعتقدات المختلفة، ثم إن كل فئة تجد من الدعم المادي والمعنوي ما ينتصر لها .من أين يأتي هذا الدعم؟ هذا الدعم من أجل أن تهتاج الخصومات. وينبغي أن نعلم أن هذا ليس أمراً داخلياً، هذه نتيجة خطة أجنبية، وهذا الوعي يجب أن ينتشر فيما بيننا أيها الإخوة.

ـ ذكر الدكتور قصة وقعت له وهي :" كنت في إيطاليا لبضعة أيام فرأيت الشيء الذي يفعله الإسلام فعلا، وأنظر فأجد نقيض هذا الذي يفعله الإسلام، اثنين الواحد منهم كان فاشستيا والأخر شيوعيا كالنار والثلج جمعهما الإسلام، الفاشستي في حياته التي أمضاها بعيدا عن الإسلام كان قتال مجرم، وكان خصمه الشيوعي وهذا كان العكس، وعندما كان يلتقي هذان الأخوان وقلما يفترقا تجد بينهما مظهر للأخوة الإسلامية التي قد لا تجد مثيلها عند أخوين شقيقين. كم كانت العداوة معمقة بينهما، وكم حببهما الإسلام إلى ما يشبه شخص واحد. الإسلام استطاع أن يجمع بين الشرق والغرب، بين عدوين تقليديين ويجعل منهما أخوين، ولم يستطع الإسلام أن يبقي على أخوة المسلمين الذين ورثوا الإسلام كابرا عن كابر في بلاد الإسلام !! ويقول :المسألة ليست طبيعية بشكل من الأشكال، وهنالك من يغذي الخلاف، هنالك عدو يعلم أن قوة الأمة في وحدتها، وهو يعمل حارساً على هذا التمزق أن لا يزول، بل أن يزداد، ويعمل أن تتحول المسألة إلى تدابر فحرب، وسبل ذلك كثيرة جدا، والطوابر التي تمارس العمالة بأجر وربما بدون أجر كثيرة جدا.

ـ بعد هذا ينبغي أن نتساءل: الآن أفيعقل أن يكون هؤلاء الإخوة المسلمون الذين يتهارجون فيما بينهم، إن بالقيل والقال، وإن بالسلاح ضد حكامهم أو الحكام ضد شعوبهم وهكذا، هل يمكن أن يكون هؤلاء بعيدين عن معرفة هذا المناخ الذي عرفناه الآن؟ نحن ننظر فنجد أن جدلية التناقض بين الشعوب وبين الحكام موجودة، طبعاً تتفاوت من حيث القوة ومن حيث الضعف، فالشعوب أو قسم كبير منهم يتربصون سوءاً بحكامهم ويسيئون الظن فيهم، ومن ثم فالحكام أيضاً يسيئون الظن فيهم، وهنالك من يلهب هذا الخلاف لكي يفعل فعله الذي خُطط له في الوثيقتين اللتين قرأناهما.

ـ للإجابة عن هذا التساؤل: نحن نبدأ فنسأل المسلمين [أقول: ربما يقصد الإسلاميين]، أنتم تعرفون النتائج التي تحصدونها من وراء هذا العمل [الخروج على الحكام]، وترمومتر [ميزان] النتائج أمامكم، فقد كان الإسلام قبل اليوم متقدماً، وكان الناس يتحدثون عن الصحوة الإسلامية ويتأملون من ورائها الخير الكثير، واليوم تنظر فإذا بهذه الصحوة قد تراجعت ثم تراجعت من جراء هذا الأمر، إذن أنتم تعلمون هذه المسألة. فلماذا تمارسون هذا العمل الذي أودى بكم بل أودى بالإسلام إلى هذه النتيجة السيئة؟

ونطرح السؤال أيضاً على قادة هؤلاء الناس، لماذا تدعون الفرصة لإساءة ظن هؤلاء الناس بكم؟ قد يقول الحكام: نحن دورنا دور المنفعل وليس دور الفاعل، نحن لم نبدأ الخصام معهم، هم بدؤوا

وهم يسيئون الظن بنا وهم يكفروننا وهم .. وهم .. ونحن مضطرون في هذه الحالة أن ندافع عن أنفسنا.

أما جواب الإسلاميين، ننتظر لبيانه ومعرفته وتعميق موقف دين الله سبحانه وتعالى منه في الدرس القادم إن شاء الله.

- **(الدرس22) سياسة التفكيك التي تتبعها الدول الكبرى في المنطقة ج 2**

أوضحنا من خلال نُقول ووثائق أن الغرب والغرب الأمريكي بالذات فكّر كثيراً في خطورة الإسلام وضرورة الوقوف في وجهه، سواء لصد خطره عن العالم الغربي أو لإضعاف سلطانه في بلاد المسلمين، وانتهى المحللون والدارسون وأصحاب التقارير الخفية إلى أن خير طريقة للقضاء على خطر الإسلام إنما هو تأليب المسلمين بعضهم على بعض، وإثارة التناقضات ضمن جوهر الإسلام من خلال واقع المسلمين.

نقلنا في ذلك نصوص ذات أهمية في هذا الصدد، واتضح لنا أن الوسيلة الأولى وربما هي الوحيدة أمام الغربيين لصد خطر الإسلام على الغرب، وللقضاء على فاعليته في بلاد المسلمين هو تحويل الإسلام إلى إسلامات مختلفة متصارعة متناقضة من جانب، ومن جانب أخر إثارة حكام المسلمين على شعوبهم، وإثارة المسلمين على حكامهم، وإثارة المسلمين بعضهم على بعض، وفي هذه الحالة تتآكل قواهم فيما بينهم، والطاقة التي كان ممكن أن تتجه بالمسلمين إلى مقاومة الطغيان الغربي ومقاومة المغتصبين الناهبين للحقوق، فهذه الطاقة تتنفس وتتبدد عندئذ عن طريق هذا التآكل الذاتي، ويتفجر هذا الضغط بين المسلمين أنفسهم بدل من أن يتجه إلى العدو المشترك، هذا باختصار تقرير لشيء قد أوضحنه .

إذن فهذا الذي نراه في بعض مجتمعاتنا الإسلامية، وهذا الذي يتوقع أن يتسرب عن طريق العدوى إلى جهات أخرى إنما هو تنفيذ لهذه الخطة ذاتها، وضربنا المثل بما جرى ويجري بالجزائر (سنوات التسعينات) وقلنا أن هذا الذي جرى بالجزائر ليس إلا نموذجا لفرضه في البقاع الأخرى، فلا يقولن قائل إننا في نجوة عن هذا الوضع، ونحن محصنون ضد هذا الهرج والمرج، لا هذا الكلام صحيح فيما لو كان هذا المرج والمرج وهذا الشقاق نابعا من الداخل، أي لعوارض داخلية، إذا لكانت بواعث الطمأنينة في مكانها، لكن عندما نعلم أنها تنفيذٌ لخطة، وأن هذه الخطة ترمي إلى تطبيقها في سائر بلاد الإسلام، بل إنها تتجه بالضغط إلى أكثر البلاد تمسكا بالإسلام، وإلى أكثرها

وعيا في فهم الإسلام، إذن ينبغي أن نعلم أن المسألة عبارة عن جرثومة، وأنها بسبيل أن تنتشر عدواها، لذلك نحن نجعل مما يجري في الجزائر نموذجا لهذا الذي نقوله .

ـ هذا الهرج والمرج الذي قام في الجزائر وقام في أماكن أخرى، ولا يزال يقوم في بعض الجهات هنا وهناك، هي عبارة عن إفراز أو تنفيذ للخطة المرسومة التي أصغينا إلى نصوص لها في تلك المجلة (مجلة الشؤون الخارجية التابعة للوزارة الخارجية الأمريكية فورين أوفيز) قلنا أن المنطق يقتضي أن نتجه بسؤال إلى أطراف الصراع .

ـ ونبدأ بالحكام سائلين إياهم: كان عليكم أن تكونوا أكثر منا إطلاعا بالخطط الغربية لأنكم تعيشون في الساحة السياسية، فلماذا تجعلون من جهودكم وأعمالكم جنودا لخطط الغرب وتثورون على الإسلاميين في بلادكم وتلاحقونهم؟

ـ يأتي الجواب وقد جاء فعلا نحن لا خيار لنا لأننا منفعلون ولسنا فاعلين، نحن لم نبدأ الأمر، ولكن فوجئنا بالهجوم، فكان علينا أن ندافع، لا على أنفسنا فقط بل على النظام الذي نحن أمناء عليه .

ـ نتجه بالسؤال إلى الإسلاميين :المسلمون الذين يتحركون في الساحة الإسلامية ينبغي أن يكونوا مثال للوعي الثاقب، وينبغي أن يعرفوا مواطئ أقدامهم وأن يعلموا طبيعة الطريق التي يسيرون فيها، وأنتم تشتغلون بالسياسة والمفروض في من يشتغل بالسياسة أن يكون واعيا ورشيدا بشؤونها، ألا تعلمون أنكم تنفذون خطة مدبرة ؟ وأنكم بهذا تجندون أنفسكم لتنفيذ خطة مرسومة لضرب المسلمين بعضهم ببعض ؟

ـ ويأتي الجواب: أننا مضطرون إلى أن نقوم بهذه الثمرة، وأن نسعى لإنزال الحكام عن كراسيهم لسببين:

أولا: لانحرافاتهم وفسوقهم وعدم تطبيقهم لشرع الله سبحانه وتعالى .

ثانيا: أنهم حرمونا حقنا الذي وصلنا إليه بالطرق والسبل الديمقراطية صحيحة، بعد أن وصلنا إلى كراسي الحكم بالطرق القانونية حيل بيننا وبين ذلك، فنحن ظلمنا .

ـ النتيجة التي ينبغي أن نتبينها : نقول للإسلاميين كما قيل فعلا، ولكنكم في تحرككم هذا هل تستخدمون هذا الحكم الذي تطمحون إليه للإسلام، أم تريدون أن تستخدموا الإسلام للوصول إلى الحكم؟ما هو هدفكم الحقيقي ؟ وكان الجواب لا بل نريد أن نجعل من الحكم والوصول إليه خادم للإسلام. نقول لهم إذا كان الأمر كذلك، تعالوا فانظروا إلى النتيجة، ظلمتم عندما أخذ منكم الحق

الذي وصلتم إليه فعلا ولنفرض أنكم على حق في أنكم ينبغي أن تطيحوا بحكام لا يطبقون شرع الله، وإن كان هذا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية التي أوضحنا ها وفرغنا منها، وأوضحنا أن الحاكم لا يعزل لفسقه، ولا يعزل إلا إذا ظهر منه كفر بواح لنا عليه أمام الله سلطان أي دليل. لنفرض أن هذا جائز، لكن تعالوا فانظروا إلى النتيجة من خلال هذا الصراع بين هذين الطرفين نجد أن الإسلام هو الذي مزق بين الأطراف. وإن هذا الذي جرى إنما جرى بنفخ من أفواه غربية، حيث أثارت الإسلاميين على حكامهم. والأمور تجري كما يلي: حيث أن مجموعات كبيرة من المسلمين يكونون كلهم صادقين ومتحمسين يبث فيما بينهم ثلاثة فقط من الذين يمسكون بزمام القيادة يهيجون ويعملون طبقا للخطط المرسومة والآخرين لا يعلمون شيئا عن النتائج، وجدوا دعوة تقول ينبغي أن نطيح بالحكام الذين لا ينفذون أمر الله وشرعه لأنهم فسقه أو كفار، ونجد أن هذا الهياج يستشري بين المسلمين، والكل يظن أن العمل يقصد به وجه الله. كذلك هنالك من يبث روح الحماسة في صفوف الحكام ليحووا إليهم بأن خصومكم هؤلاء الإسلاميين وأن هؤلاء الذين يقضون مضاجعكم، وأن عليكم إذا أردتم طمأنينة على أرضكم أن تضربوهم، يثيرون هؤلاء على أولئك وأولئك على هؤلاء. إن عملكم هذا وعملهم عبارة عن تنفيذ لخطة ولا أدل على ذلك من النتائج، ودعك من الوثائق والنصوص التي نقرأها والتي هي موجودة تحت أيدينا .

الجزائر نموذجاً [وكأني بالدكتور يتكلم عن سوريا اليوم:[!

ـ ولنجعل من الجزائر المثل، عندما هبت رياح الصحوة الإسلامية مكتسحة البلاد الإسلامية من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها كانت الجزائر تسير سيراً مضطرداً نحو الإسلام وكأن الإسلام عبارة عن نور يطرد فلول الظلام، بعد أن خرجت فرنسا من تلك البقاع، وفي كل عام كان المجتمع الإسلامي في الجزائر يقفز قفزات نوعية عجيبة، وكان الحكام في أقل المراتب مسالمين للإسلاميين في أنشطتهم وأعمالهم. فكانت الصحوة الإسلامية تتنفس برئة العلاقة الحسنة بين الحكام في الجزائر وبين الشعب الجزائري.

ـ ولما بدأ هذا الهرج والمرج ولما اتجه الإسلاميون إلى الحكم، وفعلا حيل بينهم وبين الوصول إلى الحكم بظلم، تدخّل الجيش وصد الإسلاميين بعد أن نالوا حقوقهم الديمقراطية من أن يتسلموا كراسي الحكم. بعد هذا ماذا حصل؟ الذي حصل أن الإسلاميين هاجوا و ماجوا وأعلنوا ما سموه الجهاد المقدس على حكّامهم، فما الذي حصل؟ وهل انتصر الإسلام من وراء ذلك؟ وإلام آلت

حال الصحوة الإسلامية؟ .تراجع النهج الإسلامي إلى الوراء بأسرع مما تقدم إلى الأمام أضعافاً مضاعفة، وهذا هو المقصود لدى الذين رتّبوا هذه الخطة.

أولا: أولئك الحكام المسلمين الذين فسحوا المجال للإسلاميين حيث كان شادلي بن جديد له قيامه في الليل، وقال الدكتور أنه قال له قبل أن تتفجر الفتنة بسنتين :" عندما كنا نقاتل الفرنسيين لم يكن يخطر في بالي قط أننا في يوم من الأيام سنصل إلى حكم، بل كل ما كان يدفعني إلى ذلك هو الشهادة في سبيل الله سبحانه وتعالى " وعندما هاج هؤلاء الإسلاميين وأعلنوا الجهاد المقدس لا على عدو جاثم في فلسطين أو هنا أو هناك، بل على حكامهم، كانت النتيجة أن أطيح بتلك الحكومة الراشدة التي يسرت للإسلاميين الوصول إلى الحكم أطيح بها عن طريق الجيش. وبطبيعة الحال عندما ينهض الإسلاميون وقد أعلنوا الحرب على حكّامهم، لا بد أن يؤتى عندئذ بحكام قد توغرت صدورهم على الإسلام حتى يقفوا في وجوههم، فجيء بحكّام لا يقيمون للإسلام وزناً، من أجل أن تكون المقارعة مقارعة فعالة. وبدأت الفتنة يشتعل أوارها منذ ذلك اليوم، وكلما امتد بها الأجل ازدادت اشتعالاً وازدادت الفتنة رسوخاً.

المهم من هذا كله أن نتبين أن الإسلام الذي كان هو الهدف والذي كان فيما قال الإسلاميون أنهم يريدون أن يستخدموا الحكم لخدمة الإسلام والانتصار له، الذي حصل هو أن الإسلام هو الذي مُزّق بين الأطراف وتراجعت الصحوة الإسلامية وانطفأ شعاعها، وبعد أن كان القادة يفسحون المجال للعمل الإسلامي كما يشاؤون، جيء بواسطة قوى خفية بأناس لا يقيمون للإسلام وزناً، بل يخافون منه، وتراجعت الطاقات الاقتصادية إلى الوراء، وتضاعفت المديونية وفسدت الأخلاق وزاد انتشار البطالة، واستمرت سلسلة التخلّف أشكالاً وألواناً، والعدو الجاثم ينتظر هذه النتيجة، حتى يكون هو المخلّص، لكن على طريقته في سبيل أن تكون الهيمنة أخيراً له.

ـ أقول هذا الكلام كله كي أقول أن الخطة المرسومة، وكي نتبين كيف أنها قد نفذت وآثارها تحققت .

ـ والأمر الذي نقوله تعليقا على هذا الكلام هو: أصحيح يا ترى أن هدف هؤلاء الإخوة الإسلاميين هو الانتصار للإسلام ؟ أم الهدف هو الثأر لنفس ولذات بسبب أن الحقوق السياسية لهم قد أهدرت ؟ علينا أن نتبين الجواب لتظهر الأمور على حقيقتها .

أهو خروج على الحكّام، أم تجاوز لمبادئ الإسلام؟

ـ لو أن الهدف كان وجه الله سبحانه وتعالى، ولو أن القصد كان استخدام الحكم للإسلام، إذا لقال هؤلاء الإخوة لقد ظلمنا وحيل بيننا وبين الوصول إلى مبتغانا من الحكم، ونحن لا شك أننا نريد أن نجعل من أنفسنا ومن الحكم خداما لدين الله، إذا فينبغي أن نسلك السبيل الذي يحمي الإسلام، وعندئذ سيعلمون أن هذا النهج الذي سلكوه لا شك أنه يمزق الإسلام. لاسيما وأنهم يجدون أن بابا قد أغلق أمامهم لخدمة الإسلام ألا وهو باب الحكم، في حين أن هنالك أبواب كثيرة مفتوحة ومشرعة من اليسير أن يخدم الإسلام عن طريقها، منها باب الدعوة إلى الله بمحاورة التائهين الفاسقين، تبليغ رسالات الله تعالى كما كان يفعل رسول الله وأصحابه، وكان من اليسير على هؤلاء أن يقولوا ظلمتمونا سنأخذ حقوقنا منكم يوم القيامة، ولكنكم لن تستطيعوا أن تصدونا عن سبيل الله أبدا، سنسلك طرقا أخرى، منها الدعوة والتبليغ، عندئذ سيجدون أن الإسلام يعود إلى الازدهار والقوة وتنقدح منها وسائل ستوصل هؤلاء الإخوة إلى الحكم، إن لم يكن في الغد القريب ففيما بعد.

ـ إذن لو كان الهدف هو وجه الله عز وجل، لا الثأر للنفس لدخلوا الأبواب الأخرى بعد أن أغلق باب الحكم. لماذا وقد وجدتُ أن باب الحكم قد أغلق أمامي أعرض عن خدمة الإسلام كله ولا أريد أن أعرّف بالإسلام ولا أريد أن أفعل كما فعل رسول الله، فإما أن أصل إلى الحكم وإما أن أقاتل الذين منعوني من ذلك .إذن أنت تثأر لنفسك ولست تثأر لمولاك وخالقك. هذا الأمر ينبغي أن يكون واضحاً لنا، لأن من رأى العبرة في غيره فليعتبر.

مثال لتوضيح الفكرة: إنسان له دار مليئة بالأثاث الرائع داهمت الدار لصوص، فمن حق مالك الدار أن يدافع عن داره، لكن تصوروا لو أن صاحب الدار دافع عن نفسه برمي قطع الأثاث على هؤلاء اللصوص زاعما أنه بذلك يقاتلهم، وبعد قليل وجد أن كل أثاث داره قد تحطم. وهذه هي النتيجة تماما والغرب ينظر مطمئنا آمنا سعيدا بهذا الذي يراه .

الموقف الحقيقي للدوائر الاستعمارية مما يسمونه بالتطرف أو الأصولية:

ـ قال الدكتور أنه قيل له: لكننا ما زلنا نقرأ في الصحف كلاما لمسئولين غربيين يعلنون عن تخوفهم من هذا التطرف الإسلامي وعن هذا العنف،بل يعلنون عن حذرهم من هذا التطرف،فكيف تقول أنهم يخططون لتطرف ؟؟ هنالك كثير من الإخوة قالوا هذا الكلام .

ـ قبل الجواب إنني آسى وآسف لأن يكون حظ المسلمين من الوعي الإسلامي والسياسي ما يقارب الصفر شيء مؤلم جدا جدًا، المسلم ينبغي أن يكون عمله الإسلامي صافيا لكن ينبغي أيضا

أن يكون بصيرا بأمور السياسة، وينبغي أن يعلم ما الذي يراد منه ؟ وإلى أي اتجاه يسير المسلمون ؟ ينبغي أن يكون على بينة من هذا كله .

ـ من هو هذا الرجل العاقل الذي يتصور أن الغرب الذي يخطط لهذا العنف، ويخطط لإيقاع المسلمين بعضهم مع بعض، وينبغي أن يعلن الغرب بسعادته بهذا التخطيط ويعلن أنه هو الذي يخطط لهذا، ولهذا ينبغي أن يصفق لهذا الهرج والمرج ولهذا العنف الذي يجري هنا وهناك. عندما يعلن الغرب بذلك معنى ذلك أنه قد خنق خطته وقضى عليها بالفشل .هل الغرب غبي إلى هذه الدرجة. فالغرب يضع هذه الخطة في أقبية مجلس الأمن القومي الأمريكي، ثم يغطيها بنقيض ذلك. لابد أن يعلن عن تخوفه من هذا العنف وأن هذا شيء خطير وأمر مخيف يجعل الغرب في هلع، لكي يتحمس الأغبياء ويظنوا أنهم فعلا قد أمسكوا بسلاح فعال وأن الغرب يخشاهم في حين أن الخطة الخفية هي التي تدفع إلى ذلك .

كيف يترسخ الإسلام في العقول؟

ـ هل الإسلام الذي أمرنا الله عز وجل بالانتصار له يترسخ في العقول عن طريق الإقناع أم عن طريق وجود مسلمين على كراسي الحكم ؟

قد يقول قائل، بل إن أقرب طريق لفرض الإسلام هو الوصول إلى كراسيّ الحكم .وكثيرون مفتونون بهذه النظرية.نعم، بحسب الظاهر النظرية صحيحة، فعندما أصل إلى الحكم وأجد أن القرار أصبح بيدي، فخلال ثلاثة أشهر أقلب المجتمع رأساً على عقب عن طريق قرارات وعن طريق مراسيم وقوانين وما إلى ذلك وإذا بالمجتمع تحوّل من شارد عن الإسلام إلى ملتزم بالإسلام. ظاهر الأمر كذلك .

للإجابة نقول ما الفرق بين الأنظمة الوضعية والأحزاب التي تخترع من عندها نظما كالاشتراكية واللبرالية وو..وبين الإسلام ؟ الفرق أن تلك التنظيمات الوضعية والأحزاب التي تبدع من عندها نظما إنما تفرضها فرضا على المجتمع عن طريق القوة، ولا يعنيها قناعات الناس، لهذا كلها تسمى أحزاب ثورية، يعني هؤلاء الاشتراكيون أو الشيوعيون أو أو ... كلهم عندما يحاولون أن يفرضوا مذاهبهم وأنظمتهم على الحكم، لا يفعلون كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث ينتشرون بين الناس ويقنعونهم أن هذا النظام هو البديل عن الإسلام وما إلى ذلك شيئا فشيئا، وعن طريق القناعة ينتشر هذا النظام، لا وإنما طريقهم أن يصلوا إلى الحكم ثم يفرضوا أنظمتهم، اقتنع الناس بها أم لم يقتنعوا. الإسلام هل هذا هو سبيله ؟؟ الإسلام دين وعقيدة، وهو خطاب من الله

لعقل العبد وقلبه، والإسلام جاء هديا للعقول وهديا للقلوب، قبل أن يكون حكما راسخا في المجتمع، بل هو حكم في النتيجة وهو إقناع للعقول وهدي للقلوب في التأسيس، ولذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بعث كان ديدنه ودأبه محاورة الآخرين، تماما كما نقرأ في كتاب الله عز وجل، تعريفهم بالإنسان والكون والحياة، تعريفهم بالصانع وبيان بأنه موجود، وبيان بأنه واحد، وأنه سبحانه وتعالى رقيب ومهيمن، وأنه لابد أن يوقف عباده بين يديه في الحياة الثانية، وأن يحاسب المحسن إحسانا، وأن يحاسب المسيء عقابا، وأنه إذا أخذ أخذَ أخذ عزيز مقتدر، ولو أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأسا خاطب الناس بشرائع الإسلام، فقال لأهل مكة: السارق تقطع يده، والقاذف يجلد والزاني يرجم، وشارب الخمر يجلد،ونفذ العرب هذه الأحكام، هل كانوا بذلك مسلمين ؟ أبدا، لأن الإسلام إنما يهيمن على العقل، ويهيمن على القلب، فالإسلام عبودية أيها الإخوة .

ـ إذن الإسلام لا يمكن أن يفرض بالقوة عن طريق كراسي الحكم، أبدا وإنما يفرض قناعة بواسطة التبليغ والحوار. ولاحظوا القاعدة العقلية التالية :" كل شيء يفرض في المجتمع بالقوة، لابد أن قوة مناقضة تزيله " لا شك في هذا. فالإسلام عندما يفرض بالقوة، تأتي قوة أخرى فتزيله. أما الإسلام الذي يرسّخ عن طريق القناعة وعن طريق الطمأنينة النفسية في الفؤاد وفي النفوس هيهات هيهات أن تستطيع القوة أن تمتلخ هذه القناعة. قناعة أخرى ممكن، وأين هي القناعة الأخرى التي يمكن أن تطرد قناعة الإنسان المؤمن عندما تهيمن حقائق الإيمان على كيانه وقلبه؟

هذا الكلام واضح وجلي، ولأنه واضح فإن الرسول عليه الصلاة والسلام رفض الحكم عندما دُعي إليه كبديل عن الدعوة إلى الله عز وجل. والقصة معروفة في السيرة وقد كان رد رسول الله عليه الصلاة والسلام: "ما جئت بما جئتكم به أبغي مالكم ولا الملك عليكم ولا السؤدد فيكم، ولكن الله أوحى إليّ بكتاب فبلغتكموه فإن تؤمنوا به فذلك حظي منكم وذلك حظكم مني، وإن ترفضوا أصبر لحكم الله حتى يقضي الله بيني وبينكم.

"السؤال: لماذا رفض رسول الله الحكم، ولو وصل إليه لفرض الإسلام من علوٍ؟ أليس هكذا يقول هؤلاء الإخوة؟ الجواب: لو أنه فعل لاستطاع ربما أن يلزمهم بهذا، لكن هل هذا هو الإسلام الذي ابتعث الله به رسوله؟ هل هذا هو تطبيق قول الله عز وجل: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"؟ أبداً .الإسلام إنما يرسّخ في العقول يقيناً وفي الأفئدة

وجداناً، فإذا هيمن الإسلام على العقل اقتناعاً وعلى القلب عاطفة ووجداناً، وانتشر، بطبيعة الحال سيصل إلى الحكم.

ـ الحكام ليسوا فئات بعيدة عن الناس، هم لم ينزلوا من المريخ، فأنا عندما أدعو إلى الله وأنت تدعو إلى الله، هذه الدعوة توجّه إلى الجميع ولا بد أن يصغي إليها الجميع، وكما تسري أشعة هذه الدعوة إلى قلوب العامل من الناس، فإنها تسري إلى قلوب الموظفين أيضاً، وتسري إلى قلوب المسؤولين، وتسري إلى فؤاد القمة أيضاً، وهكذا فإن الهداية تنتشر كلّياً. هذا الأمر ينبغي أن نعلمه ومع الأسف أعداؤنا يعرفونه ولذلك يسدّون هذا الطريق أمام الدعاة إلى الله عز وجل ويسخّرونهم ليتجهوا هذه الوجهة الأخرى. وعندئذ يقع الأمر الذي ترون، تهتاج عوامل العدوان من القادة على المسلمين في بلادهم، وتهتاج عوامل العدوان من المسلمين على حكامهم ويدور الهرج والمرج في دائرة داخلية عن طريق التآكل الذاتي،وتتنفس لواعج الهجوم على الأعداء في الداخل. خطة فضيعة جدا جدًا أيها الإخوة، ونحن الان نجد العدو الجاثم على أرضنا ونجد ما يصنع، بل ونجد الإرهاب الذي لا يمكن أن تتصوروا إرهابا شرًا منه، بالأمس أطلق سراح ممن كانوا مسجونين بإسرائيل، فهل رأيتم حالهم ؟ هل رأيتم الذي بترت يده وأعميت عيناه، والذي أحرق وجهه ؟ صورة من العذاب الواصب الذي تقشعر له القلوب ؟ هذا الإرهاب موجود، ونحن الذين نتهم به، ولكن أصابع الاتهام من الغرب أبدا لا تتجه إلى تلك المناطق. لواعج الجهاد كان ينبغي أن تتجه إلى هناك، لكن الخطة الغربية ماذا صنعت ؟ فجرت هذه اللواعج في الداخل، وجعلت القوة الإسلامية يتربص بعضها ببعض، وهكذا تنفست هذه القوة في داخل المجتمعات الإسلامية. ينبغي أن نعلم هذه الحقيقة معرفة جيدة أيها الإخوة.

ـ عندما أعرض عن كراسي الحكم، أي عندما لا أطمع بكرسي الحاكم، ولكني أطمع بعقله وفؤاده وأدعو إلى الله على بصيرة، فأنا أحد أمرين، إما أن أجد الطريق أمامي مفتوحاً وفي الغالب سأجده مفتوحاً، لأن الحاكم عندما يعلم أنني لا أطمع بكرسيه سيقول لي قل ما تشاء، عندئذ أسير وأنفّذ رسالات الله وأقوم بواجبي كداع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .وإما أن أجد بعض القادة صدوني عن هذا الطريق، هنا تحلو الشهادة، هنا أقول سأدعو إلى الله حتى لو أسكتّني، فأنا لا حاجة لي بحكم ولا أطمع بسياسة، ولكني أريد أن أدخل أشعّة الهداية إلى قلوب عباد الله سبحانه وتعالى. نعم هنا تحلو الشهادة، اصمد واصبر وقل وادع إلى الله عز وجل وعندئذ ستجد أن الله معك، وأن الله سينصرك. والذين يتبصرون بهذا النهج اليوم المسلمون الأجانب، لحسن الحظ ولسوء

الحظ من جانب، لحسن الحظ أن الله قيظ أناسا كانوا بالأمس مثال الشرود عن الله والانغماس في الملهيات والمنسيات، لكن لسوء الحظ ان هذا كان ينبغي أن يكون عملنا نحن. لعلكم سمعتم أو رأيتم المقابلة التي جرت بين "لويس فرقان" رئيس المنظمات الإسلامية في أمريكا وهو أمريكي وكيف ينهض بواجب الدعوة إلى الله عز وجل بطريقة التي علمنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيل له أثناء الحوار :" وماذا عن الإسلاميين الذين هم في أمريكا من المهاجرين إلى هناك ؟" أي العرب. قال :" هؤلاء الإخوة على مستوى عال من الثقافة والعلم، واختصاصات علمية متنوعة، ولكنهم جميعا مهتمون بتحسين أحوالهم المعيشية، وهم مهتمون بوظائفهم وأعمالهم والحصول على مزيد من الدخل، وليس هنالك حس إسلامي يدفعهم إلى هذا، لهم أعمال تقليدية خاصة جدا جدا ومحدودة يمارسونها لإرضاء النفس " هذا شيء مؤلم رجل بالأمس كان مثال الفجور، ولا تراه إلا في النوادي الليلية، وهو منغمس في الموبقات، والآن مثال يذكرك بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة الإسلامية،وإذا سئل عن المسلمين الذين ورثوا الإسلام كابرا عن كابر يقول عنهم ما قاله.

ومع ذلك هذا يفتح لنا باب أمل كبير أكثر مما يزجنا في خيبة أمل، والإسلام دائما منتصر، وسيبلغ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، كما قال رسول الله. وأسأل الله لإخواننا رشدا وعودا حميدا إلى المنهج الأسلم والأصح لخدمة دين الله عز وجل .

- **(الدرس 23) إجابات عن تساؤلات**

س1ـحاكم يناصر المسلمين وهو غير مسلم وحاكم أخر لا يناصر المسلمين ويقف في وجه دعوتهم وهو مسلم .

ج1 ـ هذا سؤال وهمي خيالي لا يتحقق في أرض الواقع، والجواب من خلال الحكم الشرعي الذي بيناه، عندما يثبت موجب من موجبات الردة في حق زيد من الناس حاكما كان أو غير حاكم نتبرأ منه، ونتحرر من بيعته، سواء كان يسالم المسلمين أو لا يسالمهم .

س2 ـ سائل يقول في الدرس السابق تحدثت في صفحة كذا من كتابك الجهاد أن رسول الله أعرض عن الحكم عندما دعي إليه من أهل مكة، وهذا استشهاد في غير محله، لأن قريش تريد بذلك أن يترك الدعوة إلى الله ويكون كرسي الحكم ثمنا لذلك، لا أن يكون الحكم سبيلا لنشر الإسلام .

ج2 . طبعا قصد قريش معروف في مبايعته للحكم، لكن لو كان الحكم كان سبيلا إلى الإسلام لقبل منهم ذلك وكل على نيته. لكن لماذا لم يقبل رسول الله ذلك بناء على قصده ؟ الإسلام ليس شرعة تلتصق بالمجتمع وإنما هو دين يتم إدخاله في العقول قناعة. وخضوع قريش لدين الله عن طريق الإلزام لا يسمى إسلاما.

س3 . هل الإسلام حكم يستقر على عرش أم قناعة تسري إلى القلب ؟

ج 3ـ طبعا هو قناعة تسري في القلب والكل يعلم أنني بذلك لا أريد فصل الدين عن الدولة كما قال السائل. قال الدكتور إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسخ الإسلام على عرش القلوب، ولم يرسخ نفسه على عرش الحكم. فهل معنى ذلك أنه جعل الإسلام دين بدون دولة ،بالعكس كان هذا هو السبيل إلى ذلك. رسخ الإسلام بالدعوة والجهاد بالكلمة والصبر والمصابرة، وكل كلمات الجهاد التي جاءت في السور المكية تعني الدعوة والتبليغ والصبر على إيذاء المشركين، فعل ذلك حتى إذا انتشرت حقائق الإسلام قناعة في العقول وهيمنت حبا ووجدانا وتعظيما في النفوس، أثمر ذلك الحكم، ومن تما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول رئيس دولة إسلامية . لكن لو لم يفعل ذلك رسول الله خلال 13 عاما يدعو الله بالكلمة والإيضاح ويستعين بمصابيح كتاب الله سبحانه وتعالى، هل كان سعيه يثمر الحكم ؟ إذا الدولة الإسلامية ثمرة لدين وليس العكس .

ـ ويقول السائل وهل نسيت أن المشكلة في الجزائر هي من افتعال الأنظمة هناك، وان المسلمين في المصيدة في دائرة الاتهام إن كانوا على صبر وحلم أو كانوا في طيش وظلم. يجب بلورة الأفكار أكثر .

الجواب: لا أحد قال أن الأنظمة لم تظلم، الأنظمة في الجزائر ظلمت، الذين استأهلوا أن يستلموا الحكم بالطرق الديمقراطية حجبوا عن حقهم وقلنا ذلك وذكرته في كتابي الجهاد مفصلا، لكن إذا طاش الحكام وظلموا وجنحوا عن الحق، هل الدواء والعلاج أن نطيش أكثر منهم ؟؟ إن خالفوا دين الله وظلموا المسلمين وصلوا إلى الحكم عن طريق الانتخاب، هل دواء ذلك أن نمارس خطئا بخطأ ؟ والواقع أنهم مارسوا أخطاء مقابل خطأ. والمفروض إذا حيل بينهم وبين الحكم عليهم أن يضحوا بالحكم في سبيل الإسلام، ولا نضحي بالإسلام في سبيل الحكم. لكن هؤلاء في سبيل أن يشفوا غليلهم نسوا الإسلام الذي هم جنود له ومجاهدون في سبيله، ورفعوا كلمة الجهاد المقدس الذي هو انتصار لأنفسهم والسبيل لإشفاء غلة قلوبهم . وفعلوا هذا وكانت النتيجة أنهم لم يستطيعوا أن يشفوا غليلهم من هؤلاء الذين ظلموهم، وفي الوقت نفسه مزقوا الإسلام شر ممزق.

وعندما فعلوا هذا فإن الأعداء الذين يتربصون بالإسلام كثر وهم ينتظرون الغطاء الذي يمتد باسم العمل الإسلامي حتى يدخلوا تحته، لقد مددت لهم الغطاء بعملي، والذي آل إليه الأمر أن وجود هؤلاء الذين ظلموا بدأ كبيرا ثم ضؤل وضؤل، والذي كبر بعد ذلك هؤلاء الآخرون الذين دخلوا في الظلام .

ـ إن دراستنا لموضوع الجهاد هو الذي يسد الثغرات السيئة، وقال الدكتور إن هذا البلد أي سوريا مطموع فيها وقال كم من تقارير قرأت خفية لا تقع في أيدي كثير من المسئولين، وقال المنطقة مطموع فيها لاستقرارها، ومن تما هنالك من يحاول في الظلام أن يجمع فئات، وأن يهيئ لعل حركة أن تقع، ولعل فتنة يمكن أن تستشري هناك، والذي يسد هذه الثغرات هو هذا الوعي الذي نمارسه ولله الحمد. وقال الدكتور أنه التقى مع دبلوماسي من سفارة غربية كبيرة، كان من أهم الأسئلة التي طرحها عليه: ألا تلاحظ أن الإسلام الأصولي بدأ ينتشر انتشارا كبيرا في سوريا، ويتجلى هذا في مساجده ومعاهده ...؟ قلت له: نعم لعل ذلك فعلا. قال: لماذا لا تقع صدامات كما يقع في مصر والجزائر ؟ الرجل يسيل لعابه على هذا الأمر، ويتألم لماذا ينتشر الإسلام مع الاستقرار. وسؤاله كشف عن خبيئته. قلت له: لأن هنا الوعي الإسلامي عاليا، والإسلام هنا ليس عاطفيا عاريا عن ضوابط العلم، ولكن العاطفة هنا ملجمة بلجام العلم، والمسلمون هنا يعرفون كيف يتحركون وكيف ينشطون للعمل الإسلامي طبق القواعد الإسلامية المعروفة، والبقاع التي تتحدث عنها تحرك فيها الإسلام عاطفة وغاب علما. صمت الرجل .

سؤال خارج عن الموضوع: يقول السائل أن رجلا استضيف بتلفزيون السوري قادما من القاهرة، وهو معروف الهوية، دخل الأزهر من أجل أن يتصيد معارف الإسلام ليجعل منها سلاحا ضد الإسلام، وتخرج منه ومارس عمالة معلنة للجهات الأجنبية، وصلته بالسفارات الأجنبية معروفة، وهو يحارب الإسلام من داخله. هذا الرجل في إحدى الأقسام من كليات الجامعة استضافته ليتحدث في موضوع "تجديد الفكر الإسلامي" ثم شاء الله أيضا أن يستضاف في التلفزيون السوري وأن يتكلم فيما يروق له. يطلب السائل أن أعلق على كلامه الذي قاله .

الجواب: قال الدكتور أنا ما سمعت كلامه لكن أبلغت حديثه عن الإسلام في محاضرة ألقاها في تلك الكلية التي دعي إليها، وهذا الرجل يدعوا إلى أن نطور الإسلام، لأن الإسلام الذي طبق قبل أربعة عشرة قرنا لم يعد صالحا إلى أن يطبق اليوم، ذلك لأن العلم اختلف، ولأن إنسان الحضارة الغربية اليوم غير إنسان الجزيرة العربية بالأمس، فلم يعد هنالك حاجة إلى أن تعتد المرأة المطلقة ثلاثة

أشهر، الآن أصبح تحليل بسيط خلال ساعات يبين ما إذا كانت المرأة حامل أم لا، إذا ينبغي أن ينسخ هذا الحكم، قطع يد السارق لا داعي إليه لأن الوسائل الطبية ما أسرع ما يمكن أن تعيد اليد إلى صاحبها. كذلك المرأة تضرب كانت في ميزان الشريعة الإسلامية وهذا أمر يستهان به، وهذا شيء اليوم تشمئز منه النفوس والعقول ينبغي أن نغير منه ... والخلاصة أن الرجل يريد أن يقول إن علينا أن نخترع إسلاما جديدا في مكان الإسلام القديم .

- أذكركم بشيء كررته مرارا وهو مثال ذكرته: عندما تجد نفسك أمام مستنقع تفور فوق مائه حشرات والهوام والبعوض وما إلى ذلك، ما السبيل الذي يجعلك تتخلص من أذى هذه الحشرات ؟ هل السبيل أن تأتي بسلاح فتلتقط بعوضة إثر أخرى ؟ وافرض أنك استطعت أن تصطاد كل البعوض الذي يتعالى فوق هذا المستنقع، وهو مازال موجود فإنه سيعطي بعد فترة أضعاف ما قد قتلت، إذا ما الحل ؟ الحل أن تجفف المستنقع.

وأعني بهذا المثال ضرورة الوعي، لو أردت أن أتابع عميلا مثل هذا العميل ، وأرد على جزئيات هذا الكلام جزئية جزْئية، فلا سوف أضيع العمر كله وأنا ألتقط هذه الشبهات كما يلتقط الإنسان البعوض الذي يفور فوق هذا المستنقع، ومع ذلك العملاء لا ينتهون، ومصادر العمالة الأجنبية موجودة والأموال تدفع. إذا السبيل هو الوعي، حيث عندما تتمتعون بالوعي الإسلامي فإنكم تستطيعون أن تتساموا فوق كل هذا الذي ترون اليوم وغدا وبعده ولا يمكن إطلاقا لهذا الغبار الذي يستثار أن يتعالى إلى عقولكم بشكل من الأشكال .

- أيضا كنت قلت لكم وأقولها مرة أخرى منذ ثلاثين عاما تطورت الطريقة التي كانوا يكيدون بها للإسلام، حيث كان الذين يحترفون الغزو الفكري ضد الإسلام كانوا يحاربونه من الخارج، يعني يلحدون ويتهمون الإسلام بالتخلف والرجعية ... وتغير الأسلوب الآن، وأول من لفت النظر إلى ضرورة الإقلاع عن هذه الطريقة في محاربة الإسلام هو الزعيم الشيوعي المعروف " دوليتي"فهو الذي كتب تقريرا وبين أن محاربة الإسلام من الخارج مقضي عليه بالفشل ولسوف تكون النتيجة أن يزداد المسلمون صلابة وتمسكا بالإسلام، ولكن إذا شئتم فادخلوا في داخل الإسلام وحاولوا أن تتلاعبوا به من داخله باسم الإسلام، ويقول في داخل الإسلام هنالك ساحات واسعة لتلاعب به، الاجتهاد موجود وتستطيعون باسمه أن تهدموا الإسلام، والتأويل موجود يمكنكم باسمه محاربة الإسلام، بدا هذا النهج يترسخ وينتشر والآن هو النهج الأمثل الذي يمارسه العملاء المأجورون المرتزقة للكيد للإسلام

وللوقوف في وجه الصحوة الإسلامية التي لا تنكر أبدا، وهذا التطرف الذي حدث هو جزء من هذا المشروع .

ـ وهذا الإنسان وما يقوله ليس من الإسلام في شيء وهو يتحدث عن تجديد الفكر الإسلامي، صحيح هو مسلم ويغار على الإسلام ويريد أن يجدده، فأمامكم ترمومتر واحد، فانظروا إلى سلوكه خلال 24 ساعة، هل هو مبتعد عن المحرمات والفسوق والعصيان في سره قبل جهره ؟؟ عندها يمكن أن نحسن الظن به ونقول هذا جاهل يتكلم، يعني يخطئ عن حسن نية، لكن عندما تنظرون إلى واقعه ستجدون أنه لا يتجه إلى القبلة ولا يصوم ولا يبتعد عن شيء من المحرمات، وفي مجالسه الخاصة يرتكب أشنع المنكرات، وهذا واحد من هؤلاء معروف. عندها من ممكن أن يصدق هذا الإنسان ويقول عنه شيخ مجدد ؟. عند سماعكم لأمثال هؤلاء وأنتم تتمتعون بالوعي الإسلامي فليسوف يبزغ وعيكم على هذا الكلام .

ـ فصل الحديث عن بعض الأحكام التي استخف بها الرجل منها عدة المرأة والتي هي عبادة، وقطع يد السارق الذي يتم بعد توفر ثلاثة عشرة شرطا، وهو عقاب لتخويف وتحذير، ورجم الزاني إنما يتم بعد توفر أربعة شهود ولن يتوفر هؤلاء إلاَّ بعد استهانة هذا المرتكب بسمعة وكرامة المجتمع، عندها تتحول الفاحشة إلى جرثومة، فالعقاب المسلط له على النهج الذي اختاره ومزق الستر حتى جعل أربعة أشخاص يرونه. وعن ضرب الرجل المرأة ، وهي في الآية التي تتحدث عن النشوز، والرجل عميت عيناه عن المجتمعات الغربية التي تتعرض فيها المرأة لضرب مبرح لدرجة كسر العظام أو القتل حتى وجدت ملاجئ لهن. ونقول لكم أنه لا يمكن لإنسان مهما بلغ به الظلم أن يضرب زوجته إلا إن كان شاردا عن الإسلام .

ـ عليكم أن تعلموا أن إسلامكم مطموع به، وهو الخطر الأكبر في نظر المجتمعات الغربية، ويجند له أناس من الداخل لو استدعى الأمر أن يطلقوا اللحى وقصروا الجلابيب، وجعلوا أنفسهم علماء للإسلام.

ـ هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفاعيل يندسون في وسط مئات من الصالحين الصادقين ويتسللون إلى مركز القيادة في هذا الجو الإسلامي،ثم يشترونهم بالحماس والحديث عن الإسلام وواجب الجهاد وما إلى ذلك، فالأتباع المساكين مغفلون يصدقونهم فينقدون جميعا،لغياب الوعي الإسلامي مع وجود عاطفة إسلامية قوية.

• (الدرس24) تهيئة المناخ الصالح للجهاد أولى مراحل الجهاد – ج 1

تذكرة بالأبحاث التي تمت دراستها حتى الآن.

تذكير: إن الوعي الإسلامي في هذا العصر هو السلاح الأول الذي ينبغي أن يتحصن فيه المسلمون ضد ما يراد بهم، وضد الخطط التي تحاك لاقتناص إسلامهم ولاقتناص حقوقهم أيضا كاملة، بدون هذا الوعي الإسلامي فكل ما يمكن أن يقوله الإنسان يمكن أن يذهب هدرا، فالوعي هو الذي يبصر بالخطط لما يجري اليوم في بلاد المسلمين، ويكشف بالعين والبصيرة أن الغرب الحاقد على دين الله، والذي ترتجف فرائسه من كلمة الجهاد في سبيل الله، حاول فيما مضى بشتى الوسائل أن يلغي الجهاد من أفكار المسلمين، وأن يقنعهم بأن الجهاد لم تعد إليه حاجة اليوم، فلم ينجح الغرب في هذا، ماذا صنع فكر وقدر ثم فكر وقدر اهتدى إلى أن خير طريقة لإلغاء الجهاد وإزالته من أفكار المسلمين تشويه حقيقته في أذهانهم وتزييف الجهاد وربطه بما تقشعر له النفوس، وتشمئز منه الإنسانية، عندئذ سيشمئز الناس والمسلمون من هذا الجهاد إذا كان هذا هو معناه، وعندئذ يمكن أن يندثر الجهاد ويدفن وينتهي إلى غير رجعة. وعندما نتمتع بالوعي الإسلامي ستدركون هذه الحقيقة، لأنها موجودة ومكتوبة .

بالأمس البعيد والقريب حاولوا بالوسائل المختلفة إقناع المسلمين بأن الجهاد لم تعد إليه حاجة في ظل وجود هيئة الأمم التي ترعى حقوق الناس، هذا وجد وجاء من يناقش، والمسلم الذي يتمتع بشيء من الفقه الإسلامي يعلم أن هذا باطل وكلام منحط لا يمكن أن يتماسك به أي برهان. وهاهي الأمم المتحدة موجودة ومجلس الأمن موجود والحقوق مسلوبة أكثر من أن تسلب في أي عهد مضى، نغمد سلاحا أمر الله بامتشاقه إلى أن تقوم الساعة :

" الجهاد ماض فيَّ وفي أمتي إلى قيام الساعة" .

ـ ذكر الشيخ عن صديق له كان يؤلف رسالته لنيل الدكتوراه في موضوع الجهاد فالقيه مستشرق أجنبي اسمه "أندرسون" وعرف الأخير أن الصديق يؤلف كتابا في الجهاد.فقال له: وإلى ما ستنتهي في حديثك عن الجهاد ؟

فقال له: أنا أبحث لا أدري عن النتيجة التي سأنتهي إليها. فقال له: أنا أنصحك أن تنتهي إلى النتيجة التالية وهي: أن الجهاد في هذا العصر لا حاجة إليه، كان الجهاد مبرورا وله حاجته قبل أن توجد المؤسسات العالمية لرعاية حقوق الناس، أما الآن ليست هنالك حاجة له، وأنا أعدك إن

انتهيت في كتابك هذا إلى هذا القرار أن كتابك سيعتمد في أكثر الجامعات الأوروبية، ولسوف تدعى أستاذا زائرا إليها. هذا إغراء كبير. لكن الله سلم وأنقد صديقنا من هذه الأحبولة، بل كتب هذا في مقدمة أطروحته أيضا .

. الآن وكما تلاحظون انتشر بين الناس وفي العالم العربي والإسلامي أن الجهاد في سبيل الله هو هذا الذي يجري في بعض البلاد العربية والإسلامية ، أي أن يهتاج المسلمون ضد إخوانهم المسلمين طبعا لابد من مقدمة بين يدي ذلك وهي التكفير وهو دهليز إلى هذا الأمر، وعامة الناس أخذوا ينظرون أن هذا هو الجهاد والحكام أيضا الذين نريد أن نقربهم إلى الإسلام ونطلعهم بحقائق الإسلام، أخذوا يشمئزون أهذا هو الجهاد في سبيل الله ؟؟؟ والغرب يستعمل الوسائل النفسية من أجل إجهاض الحقائق ومن أجل التغير والتلاعب بأذهان الناس .

ـ والغرب يراهن هل سينجح بهذه الوسيلة الجديدة أم لا ؟ ونحن نقول لن ينجح الغرب حتى في وسيلته الجديدة هذه. الشريعة الإسلامية ستظل تعلن عن نفسها فوق أرفع القمم ولسوف تتألق حقائقها في أدهان المسلمين، والمأمول بكرم الله وفضله أن يمتع المسلمين بالوعي الثاقب وعندئذ سيعلمون أن الجهاد ليس هذا، بل هذا ما يصنعه الغرب في بلادهم ويسوقونه إلى بلادنا. أما الجهاد الحقيقي فلسوف يبقى مكلوء بعناية الله وبوعي المسلمين المخلصين الصادقين مع الله عز وجل، ولسوف نعلم أن الجهاد هو ذاك الذي يتجه إلى العدو الرابض على بلادنا المستلب لحقوقنا، ذاك العدو الذي طال أمد استلابه لحقوقنا في دار من دور الإسلام .

ـ والغرب يجعلنا نعرض عن الثغرة الواضحة المعروفة والحقيقية للجهاد في سبيل الله، ونعطي ظهرنا لهذه الثغرة ونتجه بجهاد أخر نزعم أنه هو الجهاد لننحط بالأسلحة والسيوف وغيرها في أعناق بعضنا بعضا .

ـ ربما قال قائل أن الذين يفعلون هذا ليسوا مسلمين، ونقول له لكن تحت أي غطاء يفعلون ذلك ؟ ومن الذي مد لهم هذا الغطاء، ومن الذي رفع لواء الجهاد المقدس في سبيل الله ؟ إنهم المسلمون ،والذين يصنعون هذا هم أجبن من أن يمدوا أيديهم بأي أذى إلى المسلمين، وكانوا في جحورهم ينتظرون الفرص، وجاءت الفرصة بهذا الشكل، ومد هذا الغطاء الأسود الذي سمي بالجهاد فتسربت كل هذه الفئات تحته .

ـ وقلت أن الذي يتاجر بالبضاعة البيضاء الناصعة لا يمكن أن يدس أحد ضمن بضاعته بضاعة مغبرة أو سوداء، لكن عندما يختلف الأمر فكثير من يدس في بضاعتك، والإنسان الذي يتصور أن

ما يحدث حولنا ليست له جذور من مخططات سارية إلينا، اسمحوا لي أن أقول لكم هو ساذج وإن كان يخيل إليه أنه يفكّر ويقدّر وينظر ويدرس وما إلى ذلك.

تهيئة المناخ الصالح للجهاد أولى مراحل الجهاد: هنا يجب التطرق إلى مسألتين :

المسألة الأولى: حديثنا عن المناخ الذي ينبغي أن يتوفر من أجل أن ينهض المسلمين بجهاد حقيقي مبرور كما أمر الله عز وجل به .

المسألة الثانية: النموذج الجهادي الأول الذي يفرض نفسه اليوم في حياتنا، وهو الجهاد على هذه الثغرة التي يحملنا الله جميعا مسئولية بقائها على هذا الشكل، وهي مسئولية إعادة فلسطين والقدس وما حولها وهي جزء أغر وعزيز من دار الإسلام وضرورة إعادتها إلى حظيرة الإسلام والمسلمين. كيف نجعل من هذه المشكلة حقلاً لمنهج تطبيقي يسعى المسلمون على أساسه في تنفيذ شرعة الجهاد؟

ـ وعلينا أن نمزق الستر الذي أسدل بيننا وبين هذا النموذج الجهادي ، والذي أسدله هي الخطط الغربية، ووجهت أنظار المسلمين بعضهم إلى بعض وكأنهم يقولون بدل أن تجاهدوا عدوكم الجاثم على أرضكم، جاهدوا أنفسكم، واقتلوا بعضكم بعضا .

ـ والعدو الغربي لا يخشى والله أن أسلحة دمار وجدت بين المسلمين، وأنهم قد اخترعوا أحدث أسلحة الدمار والفتك، إنما الذي يخيفهم أن يرتفع مرة أخرى لواء الجهاد الحقيقي في سبيل الله عز وجل،هذا يجعل فرائسهم ترتعد.

ـ الجهاد من أقدس الواجبات التي شرّف الله المسلمين بها، ولا يمكن لهذا الواجب المقدس أن يتحقق إلا في المناخ المناسب له.

ـ نلاحظ أن سائر الأوامر الإلهية توجه إلى كل فرد فردٍ على حدا كالصلاة والزكاة والصوم وحرمة الربا ...أما الجهاد في سبيل الله فحكم جماعي يخاطب الله عز وجل به مجموع الأمة، ممثلة في إمامها، أو في أئمة المسلمين، وهذه الجماعة لكي تنهض فعلا بهذا الجهاد ينبغي أن تكون متهيئة لذلك نفسيا وفكريا وتربويا .

ـ والجهاد في سبيل الله لا يؤتي أكله ولا يحقق ثماره إلا إذا كان المجاهدون قد ربوا تربية معينة وتهيئوا في مناخ نفسي معين، وتزكت نفوسهم، لأن الجهاد عبارة عن فئة تواجه فئة، وهذه الفئة التي سأواجهها ينبغي أن أعلم أنها ستستعمل المكائد المختلفة للإيقاع بي، فأنا إن كنت ممن يلهثون وراء

المال ووراء الدنيا وحطامها لسوف يعتمدون على نقطة الضعف هذه لدي، ولسوف يشتريني العدو بذلك، عندئذ أكتشف أنني عدوا لأمتي بدل أن أكون عدوا لهؤلاء .

- إن هذا المناخ يحتاج -بكلمة مختصرة- إلى إيجاد جماعة مؤمنة صادقة في إيمانها، تكون من الكثرة والأهمية بحيث يتكون منها سدى ولُحمة الدولة الإسلامية أو المجتمع الإسلامي، وبحيث تسد الثغرات الداخلية التي يمكن أن يتسرب إلينا العدو من خلالها، للتفشيل والإيقاع.. وإثارة عوامل الفرقة والاضطراب.

- إن هذا الجهاد الآخر هو أشد وأصعب مراساً من الجهاد القتالي، وهو جهاد الدعوة إلى الله وتبليغ رسالاته ومحاورة التائهين، وعرض الأدلة المختلفة التي ترفع مستوى العقل الإنساني إلى صعيد اليقين الإيماني بالله سبحانه وتعالى، ثم وهذا هو الأشق، التربية السلوكية التي تنتهي بالتزكية.

- الدليل على ضرورة وجود هذا المناخ هو من السيرة النبوية، فقد عاش رسول الله عليه الصلاة والسلام ثلاثة عشر عاماً في مكة يسعى إلى إيجاد هذا المناخ، وكلنا يعلم أن هذه السنوات كانت أشق على رسول الله وعلى المسلمين الذين معه من السنوات العشر التي بدأت فيها سلسلة الغزوات والجهاد القتالي في سبيل الله.

أين هم الذين يجاهدون في سبيل إيجاد هذا المناخ؟ عندما تنظر وترى أن أكثر المجتمعات الإسلامية مؤلفة من أمشاج يعني أخلاط من الناس، فيهم الذين يستعدون أن يبيعوا إيمانهم بالله، وأن يبيعوا أركان الإسلام والواجبات الإسلامية بصفقة تجارية مربحة وهم مسلمون، وفيهم الناس الذين إذا أراد العدو أن يدفعهم إلى منزلق متمثل في شهوات أهواء سهرات نحو ذلك، يسكرون وينسون كل الواجبات الجهادية وما أمرهم الله به وينسون الوطن والحقوق، في سبيل سهرة حمراء في ليلة واحدة، فعندما تجد بين المسلمين من ينتسبون إلى الإسلام فإذا ذكروا بشريعة الله تبرموا وضاقوا درعا بها، ونادوا بالعلمانية، أي أن ننزلق ونكون جزء من هذا العالم الغربي في تياراته وتصوراته وما إلى ذلك. كلها أمراض موجودة بمجتمعاتنا فلا تنخدعوا بالمظاهر من كلمات معسولة وكثرة حجيج وو بل لاحظوا السلوك أي التربية .

هذا المناخ لكي يوجد لا بد له من جهاد شاق جداً والمسلمون اليوم بعيدون كل البعد عن تحمّل مسؤولية هذا الجهاد.

- الدليل على ضرورة وجود هذا المناخ هو من السيرة النبوية، فقد عاش رسول الله عليه الصلاة والسلام ثلاثة عشر عاماً في مكة يسعى إلى إيجاد هذا المناخ، وكلنا يعلم أن هذه السنوات كانت

أشق على رسول الله وعلى المسلمين الذين معه من السنوات العشر التي بدأت فيها سلسلة الغزوات والجهاد القتالي في سبيل الله.

ـ المسلمون من بعد النبي عليه الصلاة والسلام عرفوا هذا الكلام "أبو عبيد" في كتابه الأموال بمناسبات شتى يؤكد هذه الحقيقة وينبه المسلمين إليها. الإمام "الماوردي" في كتابه " الأحكام السلطانية". ومن الوقائع الجميلة التي تجسد هذا المعنى ما فعله "صلاح الدين الأيوبي" مع "نور الدين الزنكي" فالخطة التي رسماها لطرد الصليبيين ولتطهير هذه الأرض المقدسة منهم هي الجهاد، لكنه بدأ فهيأ المناخ بوسائل من أهمها أنه: زرع سفح قاسيون من غربه إلى شرقه بالمدارس الشرعية، وزرع أيضاً معاهد أكثر عدداً في مصر، وملأ وحشد هذه المعاهد بطلاب علم يدرسون الشريعة الإسلامية، وكان هو ذاته مع نور الدين يشرفان على النهج التربوي الذي يؤخذ به هؤلاء الطلاب في هذه المعاهد، وكان صلاح الدين نفسه يشترك في إدارة هذه المعاهد والعمل فيها آناً معلّماً، وآناً متعلّماً. فكوّن سدى ولحمة جيشه من هؤلاء الذين خرجوا وتوجهت قلوبهم إلى الله وصفت نفوسهم من الشوائب وزكّيت، وتساقطت مما بينهم حواجز الخلافات والترّهات التي يؤخذ بها اليوم المسلمون. هكذا نصره الله سبحانه وتعالى.

ـ لا يمكن إيجاد هذا المناخ بالقتال، لأن القتال في هذه الحالة سيزيد الطين بلّاً، إنما المناخ يوجد بالجهاد الدعوي. فإذا وجد هذا المناخ كان منطلقاً للجهاد القتالي في سبيل الله.لا يفهم من هذا الكلام أنه إن لم يوجد هذا المناخ فإنه لا يجوز الدفاع عن الأرض إن جاء عدوٌ فاحتلها، لا، بل يجب أن نجاهد على جبهتين، لأن قتال العدو واجب والواجب لا يلغي واجباً.

الجهاد إنما شرع دفاعاً عن شيء موجود، لا لإيجاد شيء معدوم:

ـ إن الجهاد الذي شرعه الله أي الجهاد القتالي إنما شرع للمحافظة على مكاسب موجودة، ولم يشرعه الله تعالى من أجل إيجاد شيء معدوم، أي شرع الجهاد لحماية دار الإسلام وحماية الهيئة الإسلامية المتمثلة في الدولة الإسلامية، لكي لا تتفكك أواصر هذه الدولة، وهذا بعد أن أكرم الله هذه الأمة بالدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي. هناك من يقول: هذا المناخ الإسلامي الذي تتحدث عنه لماذا لا نوجده بالقتال ؟ والمناخ كما قلنا تزكية النفوس ومحاورة الناس وإزالة الشبهات عنهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عمل تربوي كبير ولي كتاب أسميته " هكذا و لندعو إلى الإسلام" وفيه توضيح لهذا كله .

الجواب أن الشريعة الإسلامية لم تشرع الجهاد من أجل إيجاد شيء معدوم، وإنما شرع الله الجهاد حماية لمكاسب موجودة، المناخ إنما يوجد بكلام وبصبر ومعاناة طويلة الأمد، وبعده يتهيأ مناخ كأساس الجهاد .

ـ في المسلمين اليوم من فتن بالحضارة الغربية من تعامل بالربا وسفور المرأة ووو وظنوا أن الغرب لم يتقدم علينا إلا بهذه الأعمال المنحطة، إذن ينبغي أن نعمل مثلهم. فالمجتمع الإسلامي اليوم يعاني من هذه الأمراض، وينبغي أن نجاهد على هذه الثغرات .

ـ ذكر الشيخ مثال أنه يوما ما كان في مجلس فيه متدينون، ودار الحديث عن الربا وخطورته، فقال أحدهم وهو تاجر وبعصبية: ليتكم يا أيها المشايخ تدرسون شيء من الاقتصاد حتى تعلموا أن الربا ضرورة لا منجاة منها"

قلت له: ليت أنكم أيها التجار المسلمون درستم شيء من الفقه الإسلامي في أمور الاقتصاد، نحن درسنا الاقتصاد لكن انتم ماذا درستم من الشريعة الإسلامية ؟ أبواب لم تسمعوا عنها، باب المرابحة باب الأمر بالشراء، باب الكراء، " هذا شيء يخيب الآمال عندما نجد مسلما حاجا يصلي يتحدث عن أشواقه وأشجانه اتجاه الإسلام، ثم إذا قيل له عن الربا وخطورتها إنقذف وهو يدافع عن الربا وكأنه طفل مدلل في أحضانه .

ـ الغرب اليوم يعلم أن اقتصاده لم ينجح قط، ونحن نتبع المنحط من هذا النظام الفاشل .

ـ في الشباب اليوم من يستهينون بمقاتلة حكامهم ولا يرون في ذلك شدّة، فإذا ذكّروا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الجهاد الدعوي)، تقاعسوا وتكاسلوا وظهر الخور لديهم !يقول واحدهم: "حكّامنا لا يأذنون لنا بأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر". غريب، حكامك يأذنون لك بأن تقاتلهم ثم يمنعونك من أن تأمرهم بالمعروف !؟ كلام عجيب هذا. الواقع أن هذا أيضاً مرض من الأمراض، لأنني أنا عندما أفعل هذا، أفعله لأن هذا العمل يدغدغ مشاعري النفسية ويجعلني أشعر بالنشوة، لذلك لا يبالي هؤلاء الإخوة في أن يسلكوا هذا الطريق الجهادي دون أن يهيئوا هذا المناخ فيقفزون فوقه. وأنت تتحدث عن الشهادة في سبيل الله كذلك تحدث عن واجب الإرشاد والدعوة في سبيل الله، وهو طريق يحتاج منك إلى الصبر على الأذى واستمرارك في الطريق يأتيك النصر من الله عز وجل، ثم من الذي قال أن الحكام يمنعونك من أن تنفذ بكلمة الحق إلى أسماع الناس؟ هم يمنعونك عندما يشمون رائحة قصد آخر، عندما يلاحظون أنك تريد أن تمتطي هذا العمل إلى هدف سياسي تريد أن تستلب منهم كراسيهم مثلاً، نعم عندئذ يمكن أن يمنعونك،

لكن إذا لاحظوا ثم لاحظوا أنك صادق القول وأنك تريد فقط أن تنشر الهداية في قلوب الناس وأن تدعوهم إلى الله وأن تجمع شملهم على صراط الله عز وجل، إذا اقتنعوا بأنك صادق والله سيتركونك بل سيقدّرون عملك أيضاً سواء استجابوا أم لم يستجيبوا.

ـ من نتائج إعراضنا عن سبيل إيجاد هذا المناخ، هذا التفرق الذي تراكم وتراكم في المجتمعات الإسلامية، فهذه الفرقة هي نتيجة غياب الدعوة إلى الله وغياب العمل على تزكية النفوس.

- **(الدرس25) تهيئة المناخ الصالح للجهاد أولى مراحل الجهاد – ج 2**

ـ ما قلته لتوضيح واجبان كلفنا الله بهما ننهض بهما معا وهي:كوادر واجبها تهيئة المناخ وتطهيره من الشوائب والثغرات التي قد تكون سببا لتسرب العدو إلينا،وفي نفس الوقت ينبغي أن تتواجد كوادر أخرى تقاتل العدو المحتل

أهم المشكلات التي يتوقّف على حلّها إيجاد المناخ الصالح:

المشكلة الأولى :مشكلة الفرقة التي يعاني منها المسلمون.

تتجلى هذه المشكلة على درجتين :

الدرجة الأولى: مشكلة الفرقة على مستوى قادة الأمة وحكامها، يجب أن يكون من المعلوم لنا جميعا أن الدوائر الاستعمارية سلكت ولا يزال إلى ذلك سبلا كثيرة متنوعة، ولعل من أواخر هذه الوسائل تلك الخطة المرسومة لأزمة الخليج التي وقعت قبل سنوات، والخطة رسمتها أمريكا والدوائر الصهيونية التي معها، ثم نفدت حرفيا، وكان الهدف من ذلك عدة نتائج من أبرزها تقطيع أوصال المسلمين على مستوى القادة والحكام، وطبعا هذه الأزمة التي تفجرت في الخليج جعلت الجار يحارب جاره، وجعلت القادة الذين ينبغي أن يمثلوا وحدة الأمة الإسلامية ينقسمون إلى محاور ينافس بعضها بعضا، فمجموعة دول تنتمي إلى محور ومجموعة أخرى إلى محور وهكذا، ولا يزال دخان هذه الأزمة يعمل عمله، ولا تزال الآثار ممتدة، وهذا من أجل الأهداف عند تلك الدوائر الاستعمارية، وهدف أخر هو امتصاص ثروات هذه الأمة، حيث هنالك خطة مرسومة مند عام 1979 وفيها أن ينابيع البترول ينبغي أن لا تبقى لهذه الأمة، فيجب أن تمتد أقنية خفية منها تصب عند الدوائر الاستعمارية .

ـوهنالك تقرير لرجل استرالي وهو" وليم كليفورد" له علاقة بالدوائر الاستعمارية يحذّر الغرب من تفجّر وضع إسلامي جديد في البلاد العربية والإسلامية، فهناك مؤتمرات تعقد للعودة إلى تطبيق

الشريعة الإسلامية. ويقول التقرير أنه ينبغي أن نلاحظ أيضاً وجود ينابيع البترول. فالعودة إلى تطبيق الشريعة مع وجود ينابيع البترول، هما سلاحان يقضيان على الحضارة الغربية، ويجب على الغرب أن يأخذ حذره من هذا الأمر.

والآن هناك خطط كثيرة لتقطيع أوصال العلاقات السارية بشكل إيجابي بين قادة المسلمين، وأزمة الخليج التي افتعلت افتعالاً كان الهدف الأول منها هو إبعاد ظروف التلاقي والتعاون بين قادة هذه الأمة.

الدرجة الثانية: الفرقة على مستوى الناس فئات وجماعات ومذاهب:

الدوائر الاستعمارية هنا أيضا تفعل فعلها لتفكيك الصلة بين فئات المسلمين والإسلاميين و جماعتهم، ووسائلها في ذلك لم تعد خفية، فأي إنسان مثقف يلاحق الأمور ويتتبعها بوسعه أن يعثر على وثائق كثيرة من هذا الأمر .

فهذه الفرقة ليست عفوية، وإنما هي فرقة خطط لها ودُفع إليها المسلمون، وعندما يخطط لذلك لا بد من وجود أغبياء يجندون لذلك، ولا بد أيضاً من وجود عملاء يتظاهرون بالإسلام ولو كانوا قلة، فثلاثة عملاء يفسدون دولة بكاملها .

هما عقبتان تقفان في وجه تهيئة المناخ الأمثل للجهاد في سبيل الله .

ـ لكن كيف السبيل للقضاء على هذا التمزق الفئوي، وما العلاج لإعادة هذه الفئات والجماعات إلى حمى الوحدة الإسلامية؟ هذا بإمكاني أن أتحدث فيه وعن الحكام والقادة فلا أملك إلا الدعاء بحرقة أن يصلح حال القادة والحكام، فعندما يكونون جميعاً متحرقين على تنفيذ أوامر الله، وعندما يعلمون أن الله كلّفهم وشرّفهم بهذا الأمر، تنتهي المشكلة. لكن عندما يكون فيهم من يعبد كرسيه أكثر مما يعبد ربه، ويستحلب مركزه من أجل الدنيا والأهواء والشهوات، فهذه نقطة ضعف العدو يستغل هذا الإنسان، وهذا ما نقوله عن تهيئة المناخ. وفي حكام المسلمين فيهم ولله الحمد الناس المخلصون المتحرقون، لكن المشكلة أن هنالك أعمال مشتركة لا يمكن أن ينهض بها واحد، وعمل المسلمين من أجل إعادة الحضارة الإسلامية عمل تعاوني .

ـ ماهو العلاج الذي إن استعملناه قضى على هذا التمزق الفئوي الذي يتجلى لدى الجماعات الإسلامية؟هي ثلاثة العلاج الأول: في ضرورة أن يطهّر قادة هؤلاء الفئات والجماعات الإسلامية أفئدتهم من حبّ الذات والانتصار لها، وأن يستحضروا في مكان ذلك رقابة الله عليهم وموقفهم بين يديه يوم القيامة للحساب. فإنهم إن فعلوا ذلك هيمن الإخلاص لوجه الله على أفئدتهم وتبدد

سلطان تلك الشوائب من نفوسهم. فهذا هو العلاج الأول، وهو المهم، بل الأهم من كل شيء غيره. لكن إن استخدم الدين من أجل الانتصار لذات كان هذا سببا لتفرق المسلمين، وأما العمل بإخلاص لوجه الله يساهم في لم شعث المسلمين. والإخلاص سر من أسرار الله يودعه في قلب من أحب من عباده. والطريق إليه كثرة الالتجاء إلى الله .

ـ العلاج الثاني: أن يكون قادة الجماعات الإسلامية والفئات الدينية على بينة ودراية وعلمية من قانون سلم الأولويات في أحكام الشريعة الإسلامية، وكل مقاصد الشريعة غرضها مصلحة المسلمين .فإذا تمرسوا بمعرفة درجات المصالح وتفاوتها في الأهمية الدينية، وتبيّنوا تفاوت درجات كل منها بدءاً من الضروري إلى الحاجي فالتحسيني، ودراسة القادة لذلك كون أنه أحيانا المصالح تتضارب، وتضارب بين أمر ضروري وأخر حاجي مع علمه بهما عندها عليه أن يتمسك بالضروري ويضحي بالحاجي، وكذلك بين الحاجي والتحسيني،وهكذا فإن بوسعهم عندئذ أن يتبنوا ضرورة التضحية بجزئيات المصالح في سبيل الكليات منها، وضرورة التضحية بالتحسينيات منها في سبيل رعاية الحاجيات أو الضروريات.والذي يجري اليوم هو إهدار كثير من المقاصد الكلية –ومنها حماية وحدة الأمة– في سبيل الإلحاح على جزئيات اجتهادية والإصرار على انصياع الآخرين

لها !.والذي يحدث أيضا خلافات في أمور اجتهادية، وكل صاحب اجتهاد يريد أن ينتصر لاجتهاده وهي مسائل تسمى جزئيات، وكل واحد يتهم الأخر بالابتداع والمروق من الدين والفسوق، وهكذا يكون لكل واحد جماعة، وهكذا هدرت مصلحة كلية وهي وحدة الأمة.

العلاج الثالث: أن يجعل هؤلاء الإسلاميون ساحة العمل الإسلامي، متمثلة قبل كل شيء في الدعوة إلى الله والتعريف بالإسلام ومعزولة عن الأنشطة السياسية. ذلك لأن الأنشطة السياسية إذا تسرّبت فامتزجت بمنهاج هذا العمل الإسلامي تفرق العمل الإسلامي أوزاعاً بين الاتجاهات السياسية المتنوعة وتكتيكاتها المتعددة، وتنظر عندئذ إلى قادة هذا العمل ودعاته، وإذا هم متفرقون بين محاور سياسية شتى .والمحاور السياسية دأبها أن يتربص بعضها ببعض، ولا بدّ أن ينعكس ذلك على حال الإسلاميين الذين يدورون في فلك هذه المحاور .وهذا ما يجري اليوم على مشهد من الناس كلهم. فهم يظلون في خصام دائم وفي يم من الاتهامات المتبادلة.. وليس لهم أي خيار في ذلك بعد أن أسلموا أنفسهم للتيارات السياسية المتنابذة، وانجذب كل منهم إلى فلك من أفلاكها دون إرادة منه ولا اختيار.

اليوم هناك محاور سياسية مختلفة .إن دور الدعاة إلى الله أن يوجدوا شبكة تجمع هذه المحاور وتؤلف بين قلوبها، لا أن ينضموا إلى بعض منها على حساب الآخر .فعندما يكون الدعاة على مستوى إسلامي دون خلفيات سياسية، عندئذ سيكون عملهم موجهاً إلى هذه المحاور كلها وسيكونون دعاة لهم، يقولون لهم يا هؤلاء، اجمعوا صفوفكم، وحّدوا شملكم، كلكم ينبغي أن يكون حارساً أميناً لهذه الأمة ...في هذه الحالة يكوّن الدعاة شبكة جمع، وبهذا يتم تحقيق معنيي الإسلام أنه دين ودولة.

ومنه لا يمكن للفئات الإسلامية وهي لها دور خطير في جمع كلمة الأمة حتى على مستوى الحكام، لا يمكن لها أن تتحرك وتؤدي رسالتها إلا إذا تحقق فيها هذه العلاجات الثلاثة وهي: الإخلاص لله الذي يطرد الشوائب من القلب، ثانيا العكوف على معرفة أكاديمية علمية دقيقة لقانون سلم الأولويات في الشريعة الإسلامية، ثالثا عندما أدعوا إلى الله وأعرف الناس بالإسلام وأخاطب الناس جميعا داعيا إلى الله ينبغي أن لا أمزج دعوتي إلى الله بالعمل السياسي. والإسلام له نظامه يجب العمل فيه ضمن اختصاصات منهم كوادر تعمل في مجال الدعوة إلى الله وتبليغ الناس الدين وإزالة الشبهات، وهنالك كوادر أخرى تشتغل بالسياسة، وهكذا، مع وجود تنسيق بينهم.

في الدرس القادم إن شاء الله، نتابع دراسة المشكلات التي تقف في طريق تهيئة المناخ الصالح للجهاد الناجح.

• (الدرس26) تهيئة المناخ الصالح للجهاد أولى مراحل الجهاد – ج 3

- لتوضيح حتى لا يفسر كلامه بنقيض ما يقوله بقصد أو بغير قصد :" لابد كي ينجح الجهاد ويؤتي ثماره ويحقق التوفيق من أن يكون مناخه صالح، والمناخ هو التربية الإسلامية التي ينبغي أن تشيع في المجتمع، وأعيد أن هذا لا يعني أنه إذا داهم البلاد الإسلامية عدو ولم يتهيأ المناخ الصالح بعد، نعرض عنه ويبقى بيننا جاثما إلى أن نهيئ المناخ ؟ ليس في الكون مسلم يقول هذا الكلام، لكن كما أن الجهاد لابد له من المناخ، فالمناخ أيضا لابد له من الجهاد وبينهما تلازم، واحد منهما لا يغني عن الأخر .

- المهم أنه لا فائدة من الجهاد في سبيل الله إن لم يكن المجتمع الذي يتكون منه المجاهدون قد ربوا تربية إسلامية يؤثرون الباقي الذي عند الله على الفاني الذي يتقلبون في غماره في هذه الحياة الدنيا .

معنى تهيئة المناخ لا يتمثل في أن نحول البشر إلى ملائكة، ولكن ينبغي أن يكون المجتمع الذي يتألف من هؤلاء الأفراد قد سادت فيهم التربية الإسلامية.

المشكلة الأولى :مشكلة الفرقة .وقد تم الحديث عنها في الدرس السابق.

المشكلة الثانية :مشكلة التأثر بتيار الحضارة الغربية وأخلاقياتها.

- إن الذي يقصي الجيل المسلم اليوم عن الإسلام الحقيقي، ويتخذ فقط شعارا إسلاميا تقليديا، هو تأثره بالحضارة الغربية، والمتمثل في شهوات ومغريات تستثير الغرائز. وجواذب الغريزة أخطر من جواذب العقل ذلك لأن الإنسان الذي استلبت غريزته واهتاجت، لا تستطيع أن تفيده عن طريق الإقناع العقلي، قد تحدّثه وتحدّثه فيقتنع لكنه يقتنع دون أن يستقيم حاله، وربما قال لك: أنت تقول كلاماً سليماً لكن أنا لا أستطيع أن أنقاد لهذه القناعة التي تقولها، فأنا مقيد بقيود الغريزة التي يستثيرها في كياني تيار الحضارة الغربية التي تفد إلينا عن طريق وسائل الإعلام وغيرها. وأضعفها التيارات الفكرية.

- أين هم الذين يحاولون بالوسائل الربانية أن يستثيروا في مقابل ما تفعله تيارات الحضارة الغربية من استثارة الغريزة، أن يستثيروا كوامن الفطرة الإسلامية لدى هؤلاء الشباب؟ أين هم الذين يربطون قلوبهم بمحبة الله عز وجل، فيهيجون بين جوانحهم حب الله، تعظيم الله، والمخافة من الله، والأمل بما عند الله ؟

- التيارات الغربية تفعل فعلها كالمنجل الذي يحصد ولا تجد في مقابل ذلك واحداً في كل قرية أو في كل بلد من الربانيين الذين يستثيرون بين الجوانح كوامن الفطرة الإسلامية. فكما أن الغريزة موجودة وإذا اهتاجت فعلت فعلها، كذلك الفطرة الإسلامية موجودة إذا هيّجت فعلت فعلها.

- لنرى إلى الغربيين عندما يدخلون الإسلام عاتقون من غرائزهم في بؤرة تلك التيارات في منبع تلك الظلمات، وهذا بفضل استيقاظ الفطرة بكلمات بحوار بجلسة واحدة، أو بحديث من إنسان مخلص في كلامه، تجد أن هذا الإنسان انتعش وسمع شيئا يجذبه إليه، واستمر هذا مرة إثر مرة، فا نعتق من غرائزه .

- لكن بالنسبة إلينا لا يوجد الربانيون الذين يفعلون هذا.

- طلب مني سواح ألمان لقاء معهم، لأحدثهم عن الإسلام ولأجيبهم عن الأسئلة التي يطمحون إليها، دام اللقاء حوالي ساعة ونصف، فيهم ذكورا وإناثا،أحدهم كان يصغي بدقة ولا يسأل، وفي آخر الجلسة رفع يده وقال لي :" أنا أطلب منك أن تقول لي خمسة كلمات عن الإسلام، من

الكلمات التي تحبها. قال الشيخ شعرت أنه يسأل سؤال إنسان ملتاع. نظرت فرأيت أنه سؤال صعب، لكني أستلهم الله وأقول :

الكلمة الأولى: الإسلام هو الهوية التي يعرف الإنسان من خلالها نفسه عبدا مملوكا لله، وأنه يتحرك في قبضة الله مبدؤه منه ومآله إليه .

الكلمة الثانية: الإسلام هو الشبكة التي تمتد بعلاقة التعاون بين الإنسان وأخيه الإنسان، فتذيب الأثرة وتحي الإيثار، وتجعل هؤلاء الناس يتعاونون بدل من أن يتنافسوا .

الكلمة الثالثة: الإسلام هو الحصن لسلام العالمي ضد ما يتهدده، وإنما يتهدد السلام العالمي شيء واحد هو ظلم القوي لضعيف .

الكلمة الرابعة: أن الإسلام هو الذي يفرغ القلوب من حب الأغيار ويملأها بحب الواحد القهار، أي الإسلام يجعلك لا تحب إلا واحدا لا ثان له ، لأن الإنسان يحب لدافع من ثلاثة دوافع إما إحسان والمحسن الأوحد هو الله، وإما لجمال وخالق الجمال والجميل الأوحد في الكون هو الله، وإما أن يكون موجب الحب هو العظمة والعظيم الأوحد في الكون هو الله. وتوقفت عند هذه الكلمات الأربع، وكان الرجل يكتب باهتمام .

ـ نتساءل لماذا يتأثر هذا الإنسان وهو مغموس في بؤرة الظلمات وتيارات الغرائز الغربية ولا نتأثر نحن ؟ والفرق واحد هو أنه عندما يوجد المربي والداعي المخلص، فإن المناخ يتطهر،ولكن عندما يفرغ المجتمع من هذا المربي فإن التيارات الوافدة هي التي تملأ الفراغ. لنفرض أن الدعاة فقط يتحدثون عن الجهاد وعن الحكم وهو في المستوى الفوقي وفي غفلة عن هذا المناخ وتطهيره فإنه يحدث هذا الذي ترون،ومع ذلك فألطاف الله كبيرة .

المشكلة الثالثة: الشبهات التي تحشى بها الأدمغة وتثار من خلالها المعضلات.

الأن إسلامنا يحارب على عدة جبهات من أخطرها أن هنالك شبهات تطرح من قبل أناس يصطنعون الإسلام ويتظاهرون أنهم غيارى على الإسلام، لكنهم من الطوابير التي تنفذ خطة .

ـ من الشبهات يقولون الإسلام عظيم جدا لكن ينبغي تجديده وتطوير الشريعة الإسلامية، وكم من الشباب غير متمتع بثقافة الإسلامية يؤخذون بهذا .

. من هذه الشبهات أيضاً موضوع الردة، فيقولون: كيف يكون عقاب المرتد القتل، في حين أن الإسلام كفل حرية الاعتقاد !؟، وكيف تصطنعون تفسيراتكم بالآي القرءانية :" لا إكراه في الدين"

ورسول الإسلام يقول :" من بدل دينه فاقتلوه"، في عصر يشيع ويذيع بين المجتمعات الإنسانية كلها دعوة إلى حرية الفكر والعقيدة .

ـ ما موقف الإسلام من الديمقراطية التي هي الهواء الذي تتنفس به المجتمعات،فما مصير الديمقراطية في ظل الحكم الإسلامي، والقول أن الإسلام يحارب الديمقراطية ويكمم الأفواه.

ـ أين هم الذين يجابهون هذه الأطروحات، ويناقشون أربابها ويمزقونها بمنطق العلم ؟ هذه الأطروحات تغرس هنا وهناك، بينما نتتبع بأسماعنا وأبصارنا الناس الذين ينبغي أن يقاموا مقام الرسل والأنبياء من دعاة علماء، أين هم الذين يردون على هذه الأطروحات الكاذبة والأوهام الباطلة ؟ فلا نجد، قد تجد شباب ثقافتهم الإسلامية ضحلة، لكنهم يحاولون فيقولون ويتكلمون لكنهم لا يسدون مسدا، والمشاكل التي تقف دون تطهير المناخ هي هذه، وهي كلها من أيسر ما يكون تطهير المناخ منها لو وجد الدعاة إلى الله، ولو وجد الناس الذين يخلفون الرسل والأنبياء، وهم قليلون .

ـ وفي هذا الصدد لا نريد فتح ملف هذه الشبهات ونناقشها واحدة واحدَة فهذا موضوع طويل جدا، ولكن لابد من عرض نماذج وبيان كيفية الإجابة عنها حتى تطمئنوا. مثلا كثيرون منكم يستشكل مسألة الردة وكيف يقتل المرتد ؟ وهنالك علماء حسب الظاهر ودعاة إلى الله يستشكلون هذا الأمر وبودهم لو حذف الحديثان اللذان يقلان بقتل المرتد، لأنهم يرون أن هذا عار على الإسلام. وهنا نذكر بعض النماذج ونرد عليها الرد العلمي، لكي تثقوا أن هذه الأطروحات وهمية وديننا ولله الحمد لا يمكن أن يلحقه غبار يلتصق به، لكن جهلنا هو المشكلة .

النموذج الأول: الردة وحكمها:

لا خلاف أن المرتد يقتل بشروط التي سنذكرها، والدليل على ذلك حديثان من الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الحديث الأول ما رواه البخاري وابن ماجة وأبو داوود والترمذي من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: "من بدّل دينه فاقتلوه". أي من ترك الإسلام إلى غيره علناً فاقتلوه.

الحديث الثاني يرويه الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيّب الزاني [بشروطه]، والمفارق لدينه التارك للجماعة"

والإشكال الذي يطرحه هؤلاء الناس هو: أنتم تقولون :"لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" و إنكم تقومون وتقعدون في شرح هذه الآية، ولو كان الواقع فعلا أنه لا إكراه في الدين إذا ينبغي أن يكون المسلم حرا أي أن يبقى على إسلامه أو أن يترك إسلامه، فمقتضى الآية أن نعطي الحرية للمسلم كما نعطيها للكافر، ونظرا للحديثين إذا ليس صحيح بأن الناس أحرار وأنه لا إكراه في الدين .

الجواب :ليس هنالك تناقض قط بين قول الله تعالى :" لا إكراه في الدين" وبين الحكم الشرعي بأن المرتد يقتل، ذلك لأن هنالك فرقا كبيرا بين الكفر الأصلي وبين الردة عندما يعلنها المسلم عند خروجه من دائرة الإسلام، ونذكّر بأننا عندما تحدّثنا عن سبب الجهاد القتالي فتحنا ملف الخلاف الفقهي المعروف، هل قتال الكافرين سببه الكفر أم سببه حرابة الكافرين لنا؟ وقلنا أن الجمهور (الحنفية والمالكية والحنابلة) أن سبب مقاتلتنا للكافرين حرابتهم لنا وخالف الشافعي في أحد قولين (له قول كالجمهور) فقال: بل السبب هو الكفر.

ـ الكافر الأصلي عندما يكون بيننا فاختار لنفسه المسيحية أو اليهودية أو البوذية، ينطبق عليه حكم (لا إكراه في الدين) مادام مسالماً ولا يخطط لعدوان وقد تم توضيح هذا في دروس سابقة.

ـ المرتد له نفس الحكم، فقد قال الجمهور أن سبب قتل المرتد هو الحرابة وليس الكفر، أما الشافعية نظراً إلى أنهم في الأصل قالوا أن سبب الجهاد القتالي هو الكفر إذن المرتد أيضاً سبب القتل له هو الكفر، ونحن نجنح إلى مذهب الجمهور.

ـ قد يقول قائل :أين هي الحرابة في رجل ارتد عن دينه !؟ ارتضى لنفسه ديناً آخر فهل هذا يعني أنه أعلن الحرب علينا !؟

ـ الجواب عن هذا السؤال :المرتد له حالتان:

ـ الحالة الأولى :أن يحتضن ردّته في نفسه، وأن يبقي أفكاره بينه وبين ذاته أو حتى في أسرته ولا يستعلن بها ولا يقول للناس متبجحاً أنه تبين أنه كان مخطئاً والآن عاد إلى رشده ...في هذه الحالة لا أحد يلاحقه لا بقتل ولا بتأنيب ولا بأي شكل من أشكال الأذى.

ـ أما الحالة الثانية: أن يرتد ويعلن ارتداده بحيث يبلغ القضاء في المجتمع أن فلاناً قد ارتد، ولا يصل ذلك إلى القضاء الإسلامي إلا إذا أعلن ردّته وتبجّح بها، وجلس في المجالس هنا وهناك يقول للناس أنه كان مخطئاً وأن هذا الإسلام بعيد عن الحق ... إلخ، وقبل أن نتحدث عن حكم الشريعة نتساءل :هل هذا محارب وجرثومة في المجتمع أم لا ؟ الكل يعرف أنه محارب.

ـ . مثال على الحالة الثانية، سلمان رشدي (صاحب الآيات الشيطانية) ارتد، فهل كانت ردته شعوراً وعقيدة يجترّها بينه وبين نفسه؟ لو كان كذلك لا أحد يلاحقه ولا القاضي يستطيع أن يعاقبه. لكنه جعل من ردته إعلان حرب على الإسلام، وألّف روايته تلك ليجعل من ردّته سلاحاً يخترق به المجتمعات الإسلامية بالتشكيك وبالتضليل وما إلى ذلك. وواضح أنه محارب.

ـ إن هذا الواضح ليزداد وضوحاً، إذا علمنا أن الدول الإسلامية أو العالم الإسلامي تحيط به دائماً قوى استعمارية طامعة كلها تتعاون على تمزيق الإسلام بالوسائل المختلفة منها الطوابير الكبيرة التي تأخذ أموال من سفارات في سبيل أن يشككوا الناس بإسلامهم، وتصوروا لما يكون مسلم مجند لهذا أي رجل كان مسلما وأعلن ردته فإن الدوائر الاستعمارية تراقب حاله عن كثب، وتبحث في داخله –بالسبل المختلفة– عن أجراء وعملاء أو خارجين على مجتمعهم ودين أمتهم، لتستعين بهم وتوظفهم، كأسلحة فعّالة نادرة، في تمزيق وحدة المسلمين وفتح الثغرات الفكرية فيما بينهم، تمهيداً بين يدي اختراقاتهم الاستعمارية وعملياتهم العسكرية.

مثال أخر: في بلدنا رجل اسمه "محمد حسان أللمنير" كان إلى ما قبل سنوات مسلما، فأعلن ردته وبعد ذلك احتضنته الدوائر الاستعمارية المتنوعة ذات الأسماء المختلفة، وانتقل من دمشق إلى لبنان ويمارس كيده ضد هذه البلدة إسلاما ووحدة وطنية وأمنا، بكل الوسائل .

ـ عرفنا من هذا الذي قلناه أن الشريعة الإسلامية عندما أمرت بقتل المرتد، لم تأمر بذلك لأنه اختار الكفر، لو كان كذلك لقاتلنا الكافر الأصلي أيضاً، ولكن لأنه أعلن من خلال ردته الحرب، وهذا عندما يكون المرتد واحداً، فكيف عندما يكون المرتدون مجموعة، هل تتصورون أن هذه المجموعة ستكون جماعة مسالمة للمسلمين؟

ـ لهذا قاتل سيدنا أبو بكر المرتدين الذين كانوا تحت قيادة مسيلمة اليماني، لأنهم كانوا محاربين. فجهز في يوم واحد أحد عشر جيشاً وقرر أن يكون هو القائد لواحد من هذه الجيوش، لكن سيدنا علي جاء فأغلق عليه فم الطريق وقال له: "أقول لك يا خليفة رسول الله ما قاله رسول الله لك: لمّ سيفك وعد إلى دارك فو الله إن نكب المسلمون بك لن تقوم لهم قائمة من بعدك". وهذا من محبة سيدنا عليّ لأبي بكر.

ـ في هذا العصر خطر المرتدين أكبر في ظل وجود الدوائر الاستعمارية التي تنتظر مثل هؤلاء لتستغلهم.

ـ بالعودة إلى الحكم الشرعي الأكاديمي، إن أعلن رجل ردته ووصل ذلك إلى القاضي، لا نقتله رأساً، إنما يدعوه القضاء إما مباشرة أو بواسطة، ويرسل له من يناقشه ليزيل عنه الشبهات، فإن أصر فإن أمره تابع للقاضي (أي هذا الأمر داخل في الحكم القضائي)، فالقاضي يقرر ما تقتضيه المصلحة، فإن رأى أن يستبقيه ويوجه إليه العلماء يوماً بعد يوم فعل، وإن رأى أن يسجنه فعل، والمدة التي يبقيه فيها مسجوناً عائدة إليه، وإن رأى أن المصلحة تقتضي القتل فعل.

ـ لقد أجمعت كلمة الفقهاء على أنه لا يجوز لأفراد الناس أياً كانوا أن يباشروا قتل مرتد، فإن هم أقدموا على ذلك فقد افتأتوا بذلك على سلطة الحاكم واختصاصه، ويعاقب القاتل جزاء ذلك عقوبة تعزيرية يراها الحاكم (أو القاضي الذي عيّنه الحاكم)، والعقوبة التعزيرية يجتهد الحاكم في نوعها ودرجة الشدة فيها، وقد تصل –فيما يراه المالكية– إلى القتل.

التكفير عن طريق أشخاص لا يعتبر حكماً شرعياً، ولا يجوز.

ـ والدعوة إلى الإسلام لا يتم إلا بالحوار، ونقول أن هؤلاء المرتدين يقاضيهم الحاكم وليس غيره وتكفير الناس هكذا ليس بحكم شرعي، مثل تكفير الناس غيابيا من قبل عامة الناس، وإنما يجب أن يؤتى به ويواجه ويناقش وأن يُسأل عن معنى الكلام الذي قاله، فإن نفى المعنى المكفّر الذي يفهم من كلامه وقام بتأويله، فإننا نقبل تأويله وإن كان غير منطقي، لأنه وإن كان قصد عكس ذلك فإن تأويله الجديد هو رجوع عن كفره .ويجب تنبيهه إلى تصحيح عبارته التي فهم منها الكفر.

• (الدرس27) تهيئة المناخ الصالح للجهاد أولى مراحل الجهاد – ج 4

النموذج الثاني: مصير الديمقراطية في ظل الحكم الإسلامي:

إن الإسلام بالأمس عند بدأ انتشاره عند بعثة رسول الله سلك مسلك الحوار والدعوة إلى الله والنقاش، والجدل بالتي هي أحسن، كذلك النهج الذي يعود إليه الإسلام إلى الحكم بتوفيق من الله عز وجل هو هذا الطريق، وهنا علينا أن نفتح باب حرية البحث وحرية التعبير عن الرأي، وعندها كل سيدلي برأيه وتصوره، ولنترك كل الزهرات تتفتح وعندها ستجد أن الزهرة الإسلامية أشد عبقا وأكثر تألقا وأجمل مظهرا، لاشك في هذا ولا ريب .إذا فلا يظننا أحدا من المبطلون أن الذين يريدون الوصول إلى الحكم من المسلمين أنهم سيكممون الأفواه ويبطشون بالناس، ويغلقون باب الحريات، لا هذا غلط. وهذا نعم إذا كان الذين سيتبوءون كراسي الحكم هم هؤلاء الذين يحملون الفؤوس ليحطموا بها الرؤوس وليذبّحوا بها الناس كما نسمع الأخبار التي تقشعر لها الأبدان يمكن كل

شيء يحدث وأكثر مما يتخوف منه المبطلون، لكن عندئذ ليس الإسلام هو الذي يحكم، لكن أصحاب هذه الرعونات هم الذين سيحكموا كي يزيفوا الإسلام ويكرهوا الناس بالإسلام هذا إن قلنا أن هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفاعيل إسلاميون، والواقع أن الحابل قد اختلط بالنابل.

ـ نحن نتكلم عن الإسلام الحقيقي الذي بوسعك أن تأخذ صورته صافية من الشوائب من حياة رسول الله وأصحابه رضوان الله عليهم. وإذا عاد هذا الإسلام للحكم فو الله لسوف تجد أن الحرية سوف تزدهر أكثر مما كانت مزدهرة من قبل.

ـ من أين يأتي هذا الوهم إلى أذهان الناس؟ يأتي أولاً من الصورة المشوهة للجهاد التي تقول أن الجهاد شرع لإرغام الناس على الدخول في الإيمان وإلا فإن مصيرهم القتل، وقد أزلنا هذه الصورة ومزّقنا هذا الوهم.

ـ وعندما ترجم كتابي هذا إلى الفرنسية والإنجليزية هب جمع من الأجانب يعبرون عن ذعرهم لأنهم وجدوا أن هذا العمل قد أبطل خططهم، وأغلق الباب أمام الإيحاء الذي كانت الدوائر الاستعمارية توحي به إلى العالم الغربي وتعاني من المسلمين، وكل الكتب التي ألفها الأجانب عن الجهاد كلها تسميه بالحرب المقدسة، ويدخلون إلى أذهان الناس أن المسلمين إذا حكموا يعتبرون أن أقدس عبادة أن يقتلوا غيرهم، وعندها تصور موقف هؤلاء الناس الذين يقرؤون أمثال تلك الكتب كيف يكون تصورهم عن الإسلام .

ـ والحقيقة أن الجهاد شرع لحماية المكتسبات التي أعطانا الله إياها من أرض ونظام سلطوي والذي تنبثق منه فكرة الدولة من أراد تحطيم هذه لابد أن نقاتله، أو من أراد أن يكمم أفواهنا أثناء الدعوة إلى دين الله بالتي هي أحسن أيضا نقاتله .

ـ ومنه فإن مصدر الخوف من الحكم الإسلامي هذا الذي يجري اليوم في الساحة، ويطيب لبعض الناس وإن كانوا يعلمون أن هذا لا يصور الإسلام، ومع ذلك يصرون على أن هذا هو الإسلام حتى يشمئز عامة الناس من الإسلام، ولا يحن إليه يوما ولو كانوا مسلمين. ولهذا يشبعوا أذهان الناس بأن الإسلام يتنافى مع الحرية والديمقراطية، ومع أن يعلن كل إنسان رأيه ومبدئه .

ـ نقول عن هذا الخطأ أن هؤلاء لا يمثلون الإسلام، والذين يحركون الدوائر الاستعمارية يعلمون أن الذين يفعلون هذه الأفاعيل لا يعبرون عن الإسلام، ولكنهم يصرون على أن هذه هي صورة الإسلام .

ـ إن الصورة الحقيقية للإسلام تقول أن الإسلام إنما يجد طريقه إلى العقول والقلوب في سبيلٍ فرش بكل معاني الحرية، تماماً كالسبيل الذي فرش أمام الإسلام بالأمس، واقرؤوا السيرة النبوية وحياة الخلفاء الراشدين لتعلموا مصداق هذا.

ـ الدوائر الغربية الاستعمارية يرعبها أن تنتشر هذه الصورة الحقيقية للإسلام، لذلك يسعون جاهدين إلى تكريس الصورة المزيفة لتشمئز منه النفوس.

ـ شيء آخر نقوله، هؤلاء الذين يتخوفون من عودة الإسلام إلى التطبيق وإلى الحكم، لا يتنبهون إلى أمر يخفى عنهم وهو: أن المجتمع الإسلامي إذا نضج النضج الإسلامي السليم، هم يتصورون أنهم سيبقون على هذه الحالة من الاشمئزاز من الإسلام والبعد عنه، والواقع أنهم سيكونون في مقدمة من يشرح الله صدورهم للإسلام، ولكنهم عن هذه الحقيقة غائبون.

ـ حتى لو بقي هؤلاء على أفكارهم، يجترّون إلحادهم، يجترّون علمانيّتهم، لا يوجد إنسان باسم الإسلام الحقيقي يكمم أفواههم، بل لكلّ أن يتحدث عن رأيه كما يشاء، بشرطين اثنين.

ـ الشرط الأول: أن لا تكون هذه الأنشطة التي تتحرك باسم الحرية مرتبطة بخلفيات أجنبية، فإذا تبين للمجتمع الإسلامي وينبغي أن تكون الأعين مفتّحة والمجتمع الإسلامي سيّد المجتمعات التي تعتمد على الاستخبارات الدقيقة و لعلّكم تعرفون أن عمر كان بطلاً من أبطال فن الاستخبارات في عهده – إذا تبيّن للمجتمع أن هنالك حرّيات منسوبة إلى أصحابها في الظاهر وتحرّكها أيدٍ خفيّةٌ في الباطن كما هو الواقع اليوم في كثير من الأحيان، بالمال أو شراء الذمم أو إهدار الأخلاق، وعندما نجد أن السفارات الأجنبية تنشط نشاطها في هذا الصدد، فالإسلام لا يبارك هذه الحرية أبداً، لأنها في الواقع ليست حرية، بل بالعكس هي نقيض الحرية، فاضغط الخارجي آفة على الحرية الحقيقية قبل أن تكون آفة على الإسلام بل هذه عبودية. ولهذا فإن الإسلام يضرب بيد من حديد لأمثال هذه الحريات المزيفة المرتبطة بجهات أجنبية .

الشرط الثاني: أن تتحرك هذه الحريات ضمن الدستور الأعلى الذي قامت الدولة كلها على أساسه، فنحن نتكلم عن مصير الحرية في المجتمع الإسلامي، ونتكلم عن الحرية كيف يحتضنها الإسلام، نحن نقول هذا الإسلام الكبير عندما يهيمن فإنه يدع الحريات كلها تتحرك في أحضانه، فإذا أراد أحدهم أن يحطّم هذه الأم ويقتلها، وأن يمزّق الحضن الذي تترعرع فيه هذه الحريات، فالأمر يختلف في هذه الحالة، فهذه عملية انقلابية تهدف إلى النظام من حيث هو. لننظر هل

هنالك دولة ديمقراطية تبارك هذا العمل باسم الحرية؟ مستحيل، وإلا تحوّلت إلى سلسلة انقلابات يتربص بعضها ببعض.

ـ لنضرب مثلا لتقريب لا للإتباع (الدروس ألقيت عام1996) تركيا الآن تعلن عن نفسها أنها دولة ديمقراطية، لماذا لا يحق للذين يمارسون ديمقراطياتهم وحرياتهم عن طريق الصحف والأحزاب أن يقول قائلا منهم: كفانا خضوعا تحت نظام أتاتورك، فلنتحرر من هذا الدستور العلماني. هل تستجيب الدولة له ؟ لا بل رأسا يحال إلى المحاكمة. لماذا ؟ لأن ديمقراطيتهم محصورة ضمن هذا النظام. وإذا قارنتا بين الدائرة التي يتمكن الناس من التحرك فيها بتركيا، والدائرة الإسلامية التي يتمكن الناس التحرك فيها، تجد أن الدائرة الإسلامية أوسع منها بعشرة أضعاف. فانظر إلى الفرق بين الحرية الحقيقية والحرية الزائفة .

ـ الآن وبعد أن علمنا هذا نقول أن كلنا يتمنى أن يعيش في مجتمع تسوده الديمقراطية (بالمعنى الذي عرّفناه)، لكن هذا يحتاج إلى مناخ كي تنمو الديمقراطية صافية عن الشوائب، وهذا المناخ غير موجود. لكن ما هو هذا المناخ؟ يجب أن يكون محصّناً ضد القوى والخطط الأجنبية، ضد الوسائل المتنوعة الكثيرة التي يُستجر بها العملاء يوماً بعد يوم لكي يتحركوا لحساب عدو هنا أو هناك.

ـ لقد فرض العدو علينا التخلف الاقتصادي، ونحن أغنى الأمم. وفرض علينا التخلف التفككي وقد كنا إلى الأمس القريب أمة واحدة متضامنة، فرض علينا التخلف العلمي والأخلاقي، ومفتاح التقدم هو النهم العلمي والتربية الأخلاقية. وفرض علينا هذا التخلف حتى تصبح مجتمعاتنا ساحة للعب بها وحتى يستطيع الغرب أن يرسل خططه إلينا عبر نوافذ الحريات والأحزاب والديمقراطيات والصحف وما إلى ذلك...

ولذلك فأنت تجد أن عددا كبيرا من الصحف التي تنطق بالعربية في بلادنا وأن تبحث عن هوياتها، ستجد أن لكل منها نسبة إلى جهة أجنبية إلا من رحم ربك، وهذا عموما عن مجتمعاتنا العربية .

ـ وعندما تكون مجتمعاتنا بهذا الشكل، ماذا يعني ذلك؟ يعني أن مناخ الحرية غير مهيأ، هذه الأرض لم تفلح بعد من أجل أن نغرسها ببذور الحرية والديمقراطية .ينبغي أن نبدأ فنفلح هذه الأرض وننقيها من الشوائب والحجارة والأتربة غير الصالحة، ينبغي أن نقلب ترابها الجيري إلى تراب طيني حتى نستنبت فيها الحرية الحقيقية، الحرية التي تعبّر عن دخائلنا ولا تُستغلّ للأجنبي وخططه ومكائده

وضغوطاته. أمام هذا الوضع يعذر من لم يفتحوا أبواب الحرية على مجتمعاتهم إلى مصراعيه، ودائما الشرط هو النية السليمة .

ـ دعوني أقل لكم بصراحة، أضرب المثل في ذلك بسوريا. سوريا لم تستطع أن تتمتع بعد بالحرية التامة الديمقراطية كما يضغط علينا الغرب دائماً ويهيب بنا أن نفعل، لكن ما الذي يمنع؟ الذي يمنع أننا بدون ذلك، الضغط من كل جانب مستحكم على هذه البلدة في سبيل أن يقول القائم على هذه الحراسة: "لقد تعبت، لقد مللت ولا فائدة من الصمود ... إلخ". هل صُفّيت مجتمعاتنا من الشوائب؟ وهل صفّيت من العملاء؟ هل صُفّيت ممن يتحركون بسائق دوافع تخطط لهم فيتحركون تماماً كما خططّ؟ لم تصفّ.. ومع ذلك ينبغي أن نسعى سعينا الحثيث منطقياً لنحطّم هذه التضاريس ولنصل إلى الحرية التي ينبغي أن نمتّع بها رئتنا الاجتماعية، ينبغي ذلك. لكن لكل شيء طريقه، والتربية الأخلاقية هي الأساس أيها الإخوة. فالتربية عندما تتكامل وعندما تأخذ حظها فعندئذ أغلب الظن أن الأيدي الأجنبية مهما حاولت لن تجد من يكون عميلاً داخلاً في قبضتها.

ـ شيء آخر، ألا يخطر في بالكم السؤال التالي :أمريكا عندما تحزن علينا وتأسى وتتألم أننا لا نتمتع بالديمقراطية كما تتمتع هي، هل هي تحبنا هذا الحب الشديد فمن أجل ذلك هي تحزن علينا؟ هل إخلاصها لنا وصل إلى هذه الدرجة؟ أبداً، فحقوقنا تنهب وهاهي ذي حقوقنا على مرمى البصر منا ومع ذلك هي التي تتحيز للمغتصب وتتجاهل المظلوم.إذاً لماذا تشفق علينا أننا لا نتمتع بمزيد من الحرية؟ لأنها تريد أن تنال منّا وأن تعبث بنا عن طريق هذه الحرية لأنها تعرف أننا أمة لا نزال في طور التخلف، متفككة الأوصال. نحارب في علمنا ونحارب في تربيتنا وأخلاقنا. وقال الدكتور لو كنت أنا مسئولا لا أفتح باب الحرية والوضع بهذا الشكل، حيث أنظر وأجد وراء كل باب طابورا من المتربصين بي ينتظرون أن يفتح هذا الباب. لهذا لن أفعل هذا لأمثال هؤلاء الوافدين في شكل استعمار جديد، بل عليَّ أن أصبر حتى يفرج الله سبحانه وتعالى .

خاتمة لهذا البحث:

نعود فنقول: الجهاد ماضٍ كما قال عليه الصلاة والسلام فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة. لا يملك أحد أن يوقف للجهاد قوة، لكن ينبغي ونحن نرفع لواء الجهاد أن نرفعه ضمن الحدود المشروعة لمحاربة من يريد أن يتربّص بحقوقنا، وُجد هذا المناخ أو لم يوجد، وفي الوقت ذاته ينبغي أن نطهّر المناخ .أرأيتم إلى الذي يريد أن يقوم فيصلي الظهر أو العشاء، يجب إذا دخل الوقت أن يصلّي، لكن يجب في الوقت ذاته أن يطهّر قلبه وأن يزكي نفسه، هو مبتلى بالرياء والنفاق والعُجب، إذا

صلّى والحالة هذه فصلاته لا ترتفع عن رأسه شبراً، لكن لا نقول له لا تصلّي الآن حتى تغرز في نفسك بذور الإخلاص لوجه الله وتطرد النفاق والرياء. لا، بل نقول له أنت مكلّف بهذا وهذا في وقت واحد. وكذلك الجهاد وتطهير مناخه.أي لابد أن ينهض قدر كبير من هؤلاء الذين فرغوا أنفسهم لساحات الحركية، – حسب الاصطلاح الشائع الآن – وللحركات الجهادية تخطيطا فعلي وما إلى ذلك، وكلها ليست جهاد مقابل العدو الجاثم كما قلنا، يجب تفريغ قدر كاف من أجل تطهير المناخ، بالحكمة والموعظة الحسنة.

ـ يجب أن نعلم أن وظيفة الغرب والصهيونية العالمية لا سيما في فلسطين هي تبشيع الإسلام في أفكار الناس، المسلمين قبل غيرهم، يقومون صباح مساء بكل الوسائل التي تسوّد الإسلام في تخيّل الناس. أين هم الذين يقابلون عملهم بالعكس؟ أين هم الذين يقومون صباح مساء بتحبيب الناس إلى الإسلام، بتقريب الإسلام إلى العقول، أين هم؟

ـ ليس سبيلهم أن يقولوا: "الإسلام باطل، الإسلام تافه،..." لا، فهذا يثير المسلمين، لكن عن طريق نشرات وكتابات تبخّر الإسلام وتحشو القرآن والسنة بمعان غريبة وأفكار عجيبة بحيث أن المسلمين الجهال إذا انساقوا وراء هذه التصورات سينتهون إلى تصوّر أن الإسلام كيس فارغ تملؤه بما تشاء .هذا شيء مخطط والوثائق موجودة تدعو إلى هذا.

ـ بعد أن عرفنا هذه الحقيقة وعرفنا أن مقاتلة المسلمين في دار الإسلام بعضهم لبعض ليس جهاداً ولكنه صرف لأذهان الناس عن الجهاد، وأن الجهاد هو أن نلاحق من يغتصب أرضنا وحقوقنا، بعد هذا نسأل: هذا الذي يغتصب أرضنا وحقوقنا، كيف يسعى سعيه للتمكن والبقاء؟ نحن أغبياء إن تصورنا أنه يسعى سعيه للتمكن والبقاء بواسطة السلاح المتطور، لأنه يعلم أن هذا السلاح كما أنه يمكن أن يكون بيده يمكن غداً أن يكون بيدنا، فما هي الوسيلة الأساسية؟الوسيلة هي تفكيك هذه الأمة، ثم تبديد وتدمير أخلاقها.

ـ السلم الاستسلامي الذي تموت إسرائيل عليه، لماذا؟ لأنها تريد من ورائه التطبيع، تريد أن تصل للشاب العربي المسلم لكي تدمّره أخلاقياً.

ـ فإذا كانت إسرائيل تعتمد على هذين السلاحين من أجل ترسيخ أقدامها فوق أرضنا، فالمنطق يقول: ينبغي أن نناقض هذا وأن نسعى سعينا إلى أن نتحد ونتضامن، والمحور الذي يعيد وحدتنا هو الإيمان بالله والعبودية الحقة لله، ذلك هو الحبل الذي أمر الله عز وجل به. وهذا مرتبط ارتباطاً كبيراً بأخلاقنا.

ـ ينبغي أن نحصن أنفسنا بحسن خلقنا وتربيتنا وفضيلتنا؛ ينبغي أن نبذل كل ما نملك لأن نعيد تضامننا، وهذا التضامن لا بد له من جذور روحية، فلا تكفي الجذور المصلحية وحدها، فالجذور المصلحية هي تكتيك، وينبغي أن يكون اتحادنا استراتيجياً، وهذا لا يكون إلا بدافع من الإيمان الفعال لله سبحانه وتعالى.

- (الدرس 28) فلسطين والسبيل الوحيد لاستنقاذها – ج 1

بعد أن تحدثنا عن معنى الجهاد وحكمه، وبعد أن تحدثنا عن المناخ التربوي الذي ينبغي أن يتحقق لكي يكون الجهاد مؤدياً غايته ومحققاً ثمرته، نقف أمام نموذج عملي يجسد هذا الجهاد الذي تحدثنا عنه خلال هذه الدروس كلها.

ـ تحدثنا عن الجهاد وحكمه، وهل شرعه الله تعالى لجبر الناس على الإسلام قسرا أم أن الله شرعه لحماية المكتسبات أعطاها الله لعباده المسلمين ؟ ودرءا لحرابة يقوم بها الأعداء، وذكرنا أيضا المناخ الذي ينبغي أن يتحقق حتى يكون الجهاد مثمرا. وهذا الكلام كله نظري، ولكن إذا أردنا أن نطبق هذا الكلام وأن نبحث عن ساحة ميدانية نرى فيها تطبيق هذا الذي ذكرناه.

ما هي هذه الساحة التي نريد أن نجسد فيها عمليا كل ما قد سبق أن أوضحنه ؟ هذه الساحة هي فلسطين. مشكلة فلسطين هي التي تجسد الواقع التطبيقي لتجربة الجهاد كما قد عرفناه وكما قد وعيناه .

مقدمة :. في العالم العربي والإسلامي بقعة من البقاع التي لا شك ولا ريبة في أنها جزء لا يتجزأ من دار الإسلام، وهي فلسطين، فهذه البقعة قد أورثها الله سبحانه وتعالى للمسلمين عندما أصبحت دار إسلام وعندما دخلت في حرز وملك المسلمين عن طريق الجهاد. وقد عرفنا أن دار إسلام تبقى إلى يوم القيامة دار إسلام، أي يجب على المسلمين أن يتحملوا مسئولية حمايتها طالما كانت تحت أيديهم، ويجب أن يتحملوا مسئولية إعادتها إلى حظيرة الإسلام، إن هي خرجت من سلطانهم وأيديهم، وهذا معنى قولنا أن دار إسلام لا تتحول بعد ذلك إلى دار كفر وإن بسط الكافرون والأعداء أيديهم ونفوذهم عليها .إذن الجهاد الذي شرعه الله تعالى درءاً للحرابة قد أصبح واجباً الآن.

ـ نلفت النظر إلى شيء، الآن الشيء الذي يحرك العالم العربي والإسلامي أمام هذه المعضلة هو في الواقع السياسة وما فيها من مد وجزر. وهذا شيء واضح، فإن رأيتم أن العالم العربي يتحرك جيئة وذهاباً من أجل حل هذه المشكلة فلتعلموا أن الذي يحرّك هو التيار السياسي، إذا كان الأمر كذلك

هل هذا يعني أن علينا أن نغلق ملف الشريعة الإسلامية وأن لا نتحدّث عن حكم الجهاد بالنسبة لحل هذه المعضلة نظراً إلى أن السياسة هي التي تقود اليوم ولم يبق لسلطان الشريعة الإسلامية مكان !؟ البعض من الناس يقولون أو يخطر في بالهم أن الحديث عن الجهاد الإسلامي وما شرعه الله بالنسبة لحل هذه المشكلة لم يعد ذا جدوى، ذلك لأن الذي يقود العالم ويحرّكه إنما هو عامل واحد هو عامل السياسة!! إذن لا داعي أن نتحدث عن حكم الجهاد لأن لا دور له الآن على الساحة. هل هذا التصور صحيح ؟إن هذا التصور ليس بصحيح، ذلك لأن الظروف السياسية في تبدل دائم، ثم إن لها ظلالاً تمتدّ وتتقلّص.. وأعماراً تبدأ ثم تنقضي .وربّ قرار سياسي تفرضه أحداث عالمية اليوم، ستمضي به أحداث مناقضة في الغد القريب. أما قرار الإسلام وحكمه، فمستقر راسخ، يخاطب الله به الأجيال المتلاحقة،وإذا كان الأمر كذلك فينبغي مهما رأينا الظروف السياسية تتبدل وتتغير وتفرض نفسها وسلطانها، ولكن ينبغي دائما أن نكون على ذُكر لحكم الشريعة الإسلامية الثابت والذي لا يتغير أمام مثل هذه المشكلة. وعلينا أن نتذكر دائما الواجب الذي أمر الله به المسلمين فيتقرّب المؤمنون إلى الله بمعرفته ثم الائتمان عليه ثم تنفيذه جهد الاستطاعة وفي الوقت المناسب، وسواء استطعنا أن نطبق كما يأمرنا الشرع الحنيف أو لم نستطع أن نطبق بسبب أن التيارات السياسية هي التي تقود وهي التي تفعل فعلها، أقلّ المراتب يجب أن نكون أمام معرفة دقيقة لما يقوله الإسلام في هذه الحالة، وأن نورث هذا العلم للجيل الآتي.

لمحة تاريخية هامة وتوصيف للمشكلة:

فلسطين كانت إلى الأمس القريب جزء لا يتجزأ من أرض إسلامية طاهرة نقية من الشوائب، وإذا بها استلبت وتحولت إلى بؤرة في قلب العالم العربي والإسلامي غريبة عن الإسلام وغريبة عن المسلمين .

هذا الوضع كيف وجد وكيف تحقق ؟هل المشكلة تتمثل في أن وطنا لإخوة لنا استلب منهم، والمشكلة محصورة فيما بين هؤلاء الإخوة ووطنهم ؟ أي هل هي مشكلة لا تمس العالم العربي والعالم الإسلامي ؟ لا إذا عدنا إلى الماضي و درسناه وتتبعنا أحداثه اليوم، سنجد أن هذه المشكلة التي فرضت لم تفرض على جزء عزيز من هذه الأمة وعلى فئة من العرب والمسلمين، فكان هم الذين حاق بهم الخسران، لا وإنما أريد لهذه المشكلة أن تكون تصديعاً للأمة العربية والإسلامية كلها.

ـ الحكومة البريطانية في عام 1917، جاءت على أعقاب حكومة سابقة كانت ضد التيار الصهيوني. هذه الحكومة الجديدة كان يمثلها الثلاثي المعروف (اللورد جورج وتشرشل وجورج بلفور)

وهؤلاء كانوا دعامة الحكومة التي جيء بها من أجل تنفيذ الخطة الصهيونية العالمية، هؤلاء الثلاثة وجدوا أنفسهم أمام الظروف التي تهيء للحرب العالمية الأولى، وكان روتشيلد هو الذي ينفخ في نيران هذه الحرب ويهيئها لصالح الصهيونية، ولا مجال للحديث عن الوسائل التي كانت تتهيأ من أجل أن تكون هذه الحرب إذا وضعت أوزارها تحقق الهدف الذي رسمته الصهيونية العالمية لنفسها وفي مقدمة ذلك استلاب هذه البقعة لأهداف.

ـ النادي الزجاجي الذي ربما يعرفه البعض منكم في بريطانيا والذي أقيم آنذاك من أجل أن يكون بؤرة لأحط وأسوأ مظاهر الإباحية، كان وسيلة فعالة من أجل جمع الناس والرؤساء والسياسيين الكبار الذين ينبغي أن يجندوا لتنفيذ هذه الخطة، ولا نريد أن نطيل في الحديث عن دور هذا النادي الزجاجي والذي يتعلق دائماً بالسلاح الأول للصهيونية في العالم كله ألا وهو سلاح تحطيم الأخلاق ونشر الإباحية إلى أحط الدرجات التي يمكن أن تتحقق.

. بلفور الذي كان وزير خارجية بريطانيا ذهب إلى أمريكا حيث كان مركز الصهيونية قد توضع هناك، والواقع أن أمريكا لم تكن متحمسة لدخول هذه الحرب مع بريطانيا إطلاقاً. واتصل بلفور بهذه الدائرة الصهيونية التي كانت تدير العالم من أمريكا آنذاك، وأكدت هذه الدائرة إن استطاعت أن تقنع أمريكا بالدخول في الحرب العالمية الأولى لصالح بريطانيا فإنها من الآن تعد (أي بريطانيا) الصهيونيةَ العالمية بأن تنجز لها كل ما تبغي وأن تهيئ لها السبل الكفيلة بتقديم فلسطين وطناً يهودياً لها. كان هذا في شهر نيسان عام 1917. ما جاء شهر حزيران من العام ذاته إلا وكانت أمريكا قد أرسلت كل قوّتها وكل ما تملك من أسلحة لتضعها تحت سلطة بريطانيا. اشتعلت الحرب العالمية الأولى وسارت على النهج الذي خططت له الصهيونية ضد ألمانيا، وتحقق ما تعرفونه من وعد بلفور والتزامه بتحقيق كل الوسائل التي تيسّر للصهيونية العالمية أن تبني وطناً قومياً لليهود في فلسطين.

ما هي المصلحة الأوروبية والأمريكية في دعم الصهيونية في هذا الهدف ؟ وروتشيلد لماذا لم يتحرك في هذا الأمر ؟ لماذا الذي قام وتحرّك وزير خارجية بريطانيا بلفور؟ السبب أن الخطة الغربية البريطانية كانت تهدف إلى شيء بعيد هو تحطيم الخلافة الإسلامية، لأنه إذا تحطمت الخلافة الإسلامية وانتهى عهد السلطة العثمانية فهل في ذلك ضمانة لانتهاء الخلافة [أي دون استلاب فلسطين وتحويلها وطناً لليهود]؟ لا، لا ضمانة كما كتب تقارير بهذا، لكن يمكن للخلافة أن تتهاوى وأن تذهب وتندثر ولكن العالم الإسلامي ما يزال موجوداً فتتحول الخلافة من الأتراك إلى العرب، فلا يكونون قد فعلوا شيئاً في هذه الحالة، بل لعل الخلافة إذا آلت إلى العرب تكون المشكلة

بالنسبة للغرب أشد. إذن ينبغي أن يكون السعي قائماً على دعامتين .أولاً: إنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة في الخلافة العثمانية. ثانياً: أن يتهيأ الإسفين الذي ينبغي أن يضرب في قلب العالم العربي والإسلامي حتى تتحول الأمة الإسلامية إلى قطع متناثرة جذاذ، وهذا الإسفين هو هذا الوطن اليهودي في فلسطين، وهو الشيء الذي يضمن أن لا يتفرّغ العرب من أجل إعادة جمع شملهم، وسيكون الشغل الشاغل لهم، وهو الأداة التي تحرّك أسباب الخلاف من حولهم.

ـ إذن مشكلة فلسطين أو هذه النكبة ليست نكبة جزئية تتمثل في بقعة يملكها جزء من الأمة العربية والإسلامية وهم الفلسطينيين، ولم يكن المراد بها إيقاع الخسارة لهذه الفئة من الناس،وإنما كان الهدف من ذلك أن تدفن الخلافة الإسلامية في قبر أبدي وعندها يطمئن الغرب أن لا يقظة لهذا الميت بعد ذلك، والسبيل هو هذا الأم، وإلا فا بلفور لم يكن مستسلما لليهود من أجل مصلحة اليهود،ولكنه كان يخطط مع بني قومه ومع أمثاله من الذين كانوا يطمحون من أن ينالوا ميراث العالم العربي وقد ترنحت الخلافة وآلت إلى ما يسمى بالرجل المريض، يريدون أن يضعوا أيديهم على هذا الميراث، ولكي ينالوا هذا الميراث آمنين مطمئنين ينبغي أن تذبح الخلافة من الوريد إلى الوريد،وأن لا تقوم لها قائمة لا في شرق العالم العربي ولا غربه ولا في شماله أو جنوبه.

ـ إن كل من يتصور أن النكبة الفلسطينية نكبة قومية، أي محصورة في قوم وهم العرب فقط، مخطئون إن كانوا جاهلين، أو يمارسون لوناً من العمالة إن كانوا يعلمون ما نعلم .وكل من يتصور أن هذه النكبة إنما نزلت بساحة إخوة لنا فقط هم الفلسطينيون فقط، فإن هذا وهم باطل ينأى عنه عقل أي إنسان مثقف. فالحقيقة التاريخية هكذا.

ـ إذا ثبت أن النكبة هي نكبة العالم الإسلامي وفي مقدمته العالم العربي الذي هو القلب النابض للعالم الإسلامي إذن ينبغي أن يكون علاج هذه النكبة أيضاً على مستوى العالم الإسلامي، وينبغي أن يحمل العرب كبرى المسؤولية في ذلك العالم لأن العالم العربي قلب العالم الإسلامي النابض، هكذا شاء الله تعالى وهذا شرف لهذه الأمة، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا على مستوى هذا الشرف.

ـ إذا عرفنا أن الأمر كذلك فما هو العلاج لهذه النكبة؟ هل هو إحياء المشاعر القومية وجمع نثار هذه المشاعر القومية وضفرها بعضها مع بعض وعندئذ تحل المشكلة؟ لا، لأن النكبة ليست نكبة قومية فقط. فهل يكمن الحل في أن نكلّف الفلسطينيين الذين هم أصحاب الدار أن يتحركوا كما يشاءون لحل معضلتهم وأن ننظر إليهم كجيران لهم لا يهمنا الأمر لأننا لسنا نحن المنكوبين؟ لا طبعاً، فالمشكلة مشكلة العالم الإسلامي كله وينبغي أن يكون العلاج على مستوى العالم

الإسلامي. فما هو هذا العلاج؟ العلاج هو الجهاد. الجهاد بمعناه الشرعي الذي وعيناه وعرفناه في الدروس السابقة والمناخ الذي ينبغي أن يتحقق لتنفيذه واستثماره كما ينبغي.

لابد من توفر المناخ كي يكون الشفاء، حيث في عام 1948العملية كانت عملية جهاد بحسب الظاهر، حيث أن القوى كلها تجمعت من هنا وهناك وتضافرت الجموع والناس تأمل خيرا، وترى في هؤلاء الراحلين إلى فلسطين كيوم مؤتة وتبوك ويرموك ... لكن ما الذي فشل ذلك الجهاد ؟ هو عدم وجود المناخ الذي ذكرت، لهذا تغلغل الفساد والخيانة، ذلك أن المناخ التربوي لم يتحقق بعد. وأعود وأقول أن هذا لا يعني أن المناخ إن لم يوجد أن نرقد وننام لا .

ـ ما الدليل على أن الجهاد هو الحل؟ الدليل الأول أننا مسلمون، والله سبحانه وتعالى أمرنا بالجهاد ووعدنا أن ينتصر لنا إن نفّذنا أمره طبق ما شرع وإن سرنا في الطريقة التربوية السائغة التي أمر الله عز وجل بها.

أما الدليل الثاني ما يمكن أن نراه لدى أعدائنا، فكل الوسائل التي يتحدث عنها العرب والمسلمون اليوم من أجل حل هذه النكبة لا تحرّك لدى الغربيين ساكناً، فإذا اهتاجت فيما بينهم التوجهات الجادة إلى الجهاد، انظر إليهم كيف يضجون وكيف يصرخون وكيف يظهر الاضطراب، هذا شيء واضح جداً.

لتوضيح قصتين للعبرة: قبل سنوات أحد ملوك البلاد العربية، وكان آنذاك ولي عهد تحدث في مناسبة وقال هكذا ربما خرجت كلمة عفوية من فمه :" إن فلسطين لا يمكن أن تعود إلى حظيرة المسلمين إلا بالجهاد " قام العالم الغربي وقعد، واتجهت الضغوط الشديدة على هذا الإنسان الذي قال هذه الكلمة، مما اضطره الأمر إلى أن يعود بعد أيام فيعدل تعبيره الذي قاله ويؤول ويبين أنه لم يعني الجهاد، وإنما يقصد كذا وكذا ....

كلمة فقط أقامتهم وأقعدتهم، فتخيل ربما هذه كلمة قدحت زناد الجد لدى المسلمين، وربما فعلا انتبهوا إلى هذا الأمر. إذا هم يعلمون أن هذا الجهاد هو السلاح الذي أغمده العالم العربي والإسلامي مند حين فإذا امتشق هذا السلاح على النهج السائغ السليم الذي شرعه الله فلسوف يحين حينئذ حين الحضارة الغربية .

قصة ثانية لدكتور " وهبة الزحيلي" عندما كان يهيئ أطروحته الأستاذية في القاهرة، وكان في دار الكتب يهيئ ويبحث عن المراجع، وأطروحته عن " أثار الحرب في الشريعة الإسلامية" أي عن

الجهاد وأثاره، لقيه أحد المستشرقين الغربيين "أندرسون" تعرف عليه. قال له المستشرق: ما موضوعك الذي تحضره ؟ ذكر له الموضوع. فنظر بعينيه وحدق فيهما وقال: ما النتيجة التي ستنتهي إليها في كتابك هذا ؟ قال له: لا أدري أنا الآن أبحث. قال المستشرق: إني أوصيك بأن تنتهي إلى القرار التالي وهو :" أن الجهاد كان له معنى عندما لم تكن هنالك مؤسسات عالمية ترعى حقوق المستضعفين، الآن وقد ظهرت هذه المؤسسات متمثلة في هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وقبل ذلك عصبة الأمم، إذن لا داعي بعد هذا للجهاد " وقال :" أنا أعدك إذا انتهيت إلى هذا القرار، وأوضحت أن الجهاد لم تعد هنالك حاجة إلى مشروعيته، وأن التطور الإسلامي الذي ينبغي أن يتحقق دائما أنهى الحاجة إلى الجهاد ونسخه، عندها أعدك أن رسالتك كهذه ستقرر في جامعات كثيرة في أوروبا، ولسوف تدعى أستاذا زائرا إلى هذه الجامعات،ومناه وأغراه بفوائد مالية ومغريات كثيرة. ولكن الله سلم واتخذ صديقنا من هذا عبرة وأي عبرة. ووضع هذه القصة في مقدمة كتابه .

ـ أنظروا أيها الإخوة أن الغرب يتوجس خيفة من الجهاد، وهذا السبب في أن الجهاد أجهض بالطريقة التي ترونها اليوم، وذكرنا هذا أكثر من مرة وقرأنا تقارير في هذا الصدد .كيف؟ الجيل اليوم متوجه توجه عارم إلى الجهاد. هذه الشعلة التي تغلي بين جوانح هذا الجيل لا بد من أن تنفس. كيف يتم تنفيسها؟ يتم بأن توجّه طاقاتهم الجهادية هذه إلى حيث يتم –كما يقول التقرير –التآكل الذاتي في حياتهم، أي يتم تنفيس مشاعر الجهاد فيما بينهم بأن يتألب بعضهم على بعض .فيقال: ألا تريدون الجهاد؟ انظروا إلى حكامكم، هم كفار، إنهم لا يطبقون الإسلام فهم كفار. إذن ينبغي أن تجاهدوهم في عقر دار الإسلام ! ويأتي من يبث في أذهان الحكام أنفسهم أيضاً أن يقفوا في وجه هؤلاء. فيثيرون هؤلاء على أولئك وأولئك على هؤلاء، وتتنفس لواعج الجهاد وتياراته وتسترخي بهذه الطريقة من أجل أن تبقى النكبة في مأمن، ومن أجل أن لا يتجه أحد إلى البؤرة الحقيقية حيث السرطان الذي لا يعالج عن طريق الجهاد فعلاً.

ـ هذا الأمر دليل واضح لا إشكال فيه على أن هذه الأمة بشتى فئاتها إذا أرادت أن تتبين حلا لهذه النكبة وشفاء عاجلا أو أجلا لهذه الأمة منها، فلا بد من اللجوء إلى دواء واحد لا ثان له هو دواء الجهاد.

نريد هنا أن نطبق أحكام الجهاد على هذا الموضوع.

ـ فلسفة الجهاد وطبيعته:

ـ الجهاد الذي شرعه الله تعالى لم ينهض في يوم من الأيام على دافع من دوافع العصبية، ولا على دافع من دوافع العنصرية أو الأحقاد الشخصية أبداً .فالجهاد في الشريعة الإسلامية ليس كما يصفه الغربيون بالحرب المقدسة. ويقصدون من هذا الوصف أن يقولوا أن عند المسلمين من الأحقاد ما يجعلهم يتغذون بالحرب، ويتنفسون بهواء اسمه الحرب، فالحرب عندهم شيء مطلوب لذاته، لا يطيب لهم قرار إلا إذا وجدوا الدماء من حولهم تنهار. هذه هي ترجمتهم للجهاد بمعنى الحرب المقدسة عندهم . في حين أن الأمر ليس كذلك .

ـ الجهاد لا يمكن أن ينهض على دافع عنصري أو عصبي أو عدواني أبداً أو دافع تحيزي من أجل سلب الآخرين حقوقهم، والجهاد دائماً خادم للعدل. قال تعالى: "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى" أي إياكم وأنتم في حلبة الجهاد أن تنسوا قدسية العدالة، إياكم أن ينسيكم الجهاد الذي اندفعتم إليه من أجل إحقاق حق أن ينسيكم العدالة حتى لو كانت في التعامل مع أعدائكم .

ـ وانظروا إلى قوله تعالى :" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرة ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا "

ـ إذا رأينا أن حقوقنا التي نرعاها، المعنوية أو المادية، جاء من يتربص بها سوءاً نقاتله. وإذا رأينا من جاء يخطط لعملية عدوانية علينا نقاتله. وإذا رأينا من نزل في بقعة من بقاعنا واستلب جزءاً منها نقاتله. لا لدافع كيدي، ولكن من أجل أن نرعى حقوقنا.إذا هذا المعنى أن نكون على ذكر به.

. هنالك من يكتب ويقول من الأجانب ومن ذيولهم العرب، أن الله تعالى جعل الجهاد لفئة من عباده وحرم الفئة الأخرى منها. ونقول لهم كيف فسروا لنا هذا الكلام. يقولون: أن الجهاد حكم من الأحكام المستقرة في الشريعة الإسلامية، إذن هو حكم ميز به المسلمين، وغيرهم محرومين من الجهاد، فا لماذا هل الله يتحيز لفئة دون أخرى ؟ هذا هو الكلام الذي يطرحه بعضهم .

الجواب: أن الله لما خاطب عباده وأمرهم أن يقيموا موازين العدل وقال :" وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان " هنا خاطب الناس جميعا، وحملهم جميعا مسئولية شرف حماية العدالة، وقال لهم جميعا كلكم رعاة للعدالة وحراسا لها، وعليكم جميعا أن تدودوا عن حياض العدالة وتدفعوا السوء عنها، وهذا هو الجهاد. وهذا الشرف وجه الله به الناس جميعا، لكن بعد هذا الخطاب يوجد أناس أعرضوا وركبوا رؤوسهم وأصروا إصرارهم على أن يظلموا وعلى أن يسفكوا وأن ينهبوا مستعملين

القوة في حق المستضعفين، وأناس آخرون أصغوا السمع جيدا لخطاب الله الذي يأمرهم برعاية العدالة وحمايتها وإقامة دعائم السلم على نظام هذه العدالة. ومنه فإن هذا لا يعني أبدا أن الله تحيز لبعض عباده بشرف الجهاد دون البعض الأخر الذين أعرضوا عن خطاب الله لهم .

ـ وخلاصة القول: أن الله عز وجل لم يكلف أمة أو جماعة دون غيرها من عباده بشرف النهوض بأعباء هذه الرسالة، بل هو في الأصل تكليف تشريفي متجه إلى الناس جميعاً، أن ينهضوا متعاونين متضامنين بعمارة هذه الأرض على أركان من العدالة والتآخي والعبودية الخالصة لله عز وجل، ثم كلّفهم أن يكونوا رقباء بعضهم على بعض، وأن يجعلوا من شرعة الجهاد كابحاً يضبطون به سلوك الشارد، ويقوّمون به انحراف المنحرف، ويضربون به على يد الظالم. فالتأديب بالعصا الجهادية، حق أمكن الله منه عباده جميعاً، ينهض به المحق ضد المبطل حيثما اقتضت الحاجة ولم تنفع النصيحة ولا المشورة، وليس أداة قوة أو مكنة تحيز بها الشارع جل جلاله لفئة من عباده دون أخرى، كما قد يوهم أو يتوهم بعض الحاقدين أو الجاهلين. ولكن لما أبى كثير من الناس إلا استكباراً على الحق، وجنوحاً إلى تلبية رعونات النفس وأهوائها، وانغماساً في حمأة الظلم والاستهانة بالحقوق، انحصرت مهمة التأديب الجهادي بطبيعة الحال، في أولئك الذين استمسكوا بموازين العدل، وثبتوا تحت مظلة العبودية لمولاهم وخالقهم عز وجل، فكان من واجبهم أن ينصحوا المتنكبين عن هذه الجادّة بالتحذير والبيان، فإن لم يرعووا، وجب عليهم أن يردعوهم بالقوة والسلاح.

أهم قواعد السلم والحرب في الجهاد:

هل السلم أساس في دين الله أم الحرب؟ السلم هو الأساس .جاء الإسلام ليقيم دعائم السلم، وحسبكم أن تعلموا أن اسم الإسلام مشتق من السلام. والله سبحانه وتعالى خاطب الناس جميعاً بأن يدخلوا في السلم كافة، ثم وجه الخطاب خاصة إلى المؤمنين فقال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ". إذن هذا هو الأساس الذي جاء الإسلام من أجله.

ـ لكن ما هو الحصن الذي يحافظ على السلم؟ الحصن هو العدالة، انثر بذور العدالة في الأرض تنبت لك الأرض سِلماً .فإن لم يتحقق العدل فلن يتحقق السلم، ذلك لأن العدالة إذا لم تتحقق سيتحقق في مكانها الظلم، أي أن الأقوياء يستبدون بالضعفاء، وإذا سار الأمر على هذا المنوال فإن الضعفاء لا بد أن ينقضّوا ويدافعوا عن أنفسهم ومن ثم سيتمزق السلم.

ـ إذا دعَونا أنفسنا إلى العدل، ثم رأينا أن القوي يطمع بحقوق الآخرين ويرى أنه يملك من القوة ما يجعله يستلب حقوق الآخرين، هنا يأتي دور الجهاد من أجل حماية العدل الذي يحمي بدوره السلم، فالجهاد أمر لا بدّ منه عندما يغيب العدل، ولا بدّ من أن نهرع إلى الجهاد لأننا دعاة سلم.

ـ نحن نقرأ في كتاب الله تعالى آيتين، في الظاهر قد نلاحظ أن بينهما تعارض، لكن أبداً لا تعارض بينهما لأنهما يخدمان هذه الحقيقة. الأولى: "فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ" هذه الآية تنهى عن السلم. والثانية: "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ".

ـ عندما ينهى الله تعالى عن السلم فإنه ينهى عن ذلك السلام الشكلي الذي يخفي تحته نيران الظلم، هذا ليس سلماً، هذا استسلام.

ـ أما الآية الأخرى التي تأمر بالسلم، تأمر بالسلم الذي جاء نتيجة للعدل.

ـ سنخوض في تفصيل هذا الكلام في الدرس القادم إن شاء الله.

• (الدرس29) فلسطين والسبيل الوحيد لاستنقاذها – ج 2

توضيح حول تشويه في فتوى:

لا علاقة لهذا التوضيح بسلسلة دروس الجهاد، إنما هو رد على تشويه متعمد طال فتوى أجاب عنها الدكتور في إحدى المجلات،، حيث يشرح الدكتور كيف يمكن أن يتحول العمل المحرم إلى عمل مرخص به بحق شخص محدد إذا تعرّض لضرورة، ويعرض أمثلة على ذلك وهي التالية:

ـ فتوى صدرت من الشيخ في مجلة يجيب فيها كل شهر عن الاستشارات الدينية للاستفتاءات الدينية، التي يتمكن من الإجابة عنها. هذه الفتاوى التقطها بعض الناس وشوهوا الكلام الذي قاله الشيخ، وأخذوا ينشرون هذا الذي قاله مشوها بين الناس. قال الشيخ انه حاول جاهدا أن يحسن الظن بهم، لكنه وجد أن السبيل إلى حسن الظن بهم مغلق نهائيا. قال أنهم من أهل البلدة ويعرفونه، كان بوسعهم أن يتجهوا بسؤال إليه، لتوضيح. لكن ذلك لم يحدث.

ـ مبدأ ينبغي أن يكون معروفا لدى كل مسلم، وهو هل يجوز لامرأة مسلمة أن تعرض نفسها بدون موجب على رجل أجنبي ؟ أكيد لا يجوز ذلك، لكن إذا أصيبت هذه المرأة بمرض، وتبين أن هذا المرض لا يمكن تشخيصه إلا بواسطة طبيب أجنبي، ولا يمكن لهذا الطبيب أن يشخص هذا المرض إلا إذا كشف عن أخص دقائق جسمها وعورتها، ولا توجد طبيبة مختصة، لاسيما وأن هذه

المرأة إن لم تعرض نفسها لطبيب كي يشخص هذا المرض فحياتها وعلاقتها مع زوجها معرضة للخطر. وهنا الحكم أكيد يجوز لها أن تعرض نفسها لطبيب .

ـ نحن نعلم أنه لا يجوز تعاطي المخدرات، لكن إذا كان زيد من الناس يعاني من مرض وأوجاع وتوقف سكون أوجاعه على حقنة من حقن التي تعود عليها للمخدرات، باستشارة طبيب بالقدر الذي يسكن أوجاعه، ومنه في هذه يكون استعمالها جائز لضرورة .

ـ وكما نعلم أيضا أنه لا يجوز استقراض أو قرض مال بالربا، وهذا شيء نص عليه بيان الله عز وجل. فإذا وجد إنسان قد تعرض للهلاك بسبب جوع أو عري أو عدم وجود مأوى، ولا يوجد من يعطيه أو يقرضه قرضا حسنا، ووجد من يقرضه بربا، وإن لم يقترض من هذا الإنسان بالربا تعرض للهلاك، ومنه فإن الربا المحرم يكون جائز في حق هذا الرجل .

ـ تعرض شخص لمرض ما وطبيبه الذي يثق به قال له: إن هذا المرض لا علاج له إلا نوع من السم تأخذ منه جرعات محددة وأنت ممدد، ومنه جاز لهذا الإنسان تناول السم المحرم .

ـ امرأة أصيبت بضعف في هرموناتها الجنسية وبواسطة طبيبين عادلين قالا لا يمكن استثارتها إلا بكذا وكذا في الأصل حرمة ذلك، وبذلك عادت إلى طبيعتها. وفي سؤال الزوج عن هذا الأمر إن كان محرما أم لا، أكيد الجواب أنها ضرورة ألجأتك إلى هذا، فلا حرج .

ـ الحكم العام للمرأة الحامل أنه لا يجوز لها أن تجهض بعد مضي أربعين يوما لكن عندما يأتي من يقول: أن زوجه حامل وقد مضى شهران من حملها، وهي مريضة مرض كذا، وقد قال أكثر من طبيب أنها إذا بقيت حاملا إلى الولادة يعرضها للموت،واحتمال الموت راجح ومنه الجواب بالنسبة لهذه الحالة أنه يجوز الإجهاض.

ـ وعملنا هنا انطلاقا من قاعدة "الضرورات تبيح المحظورات "وهي تنطبق على عشرات الأمثلة .

ـ نقول هنا أن هذه الفتوى جعلت بعض الناس ونسأل الله الهداية لنا جميعا، يلتقطونها ثم يشوهونها، وهي متعمدة، ثم ينشرونها بين الناس، دون أن يواجهني أحد بهذا العمل، كسؤال أو استفسار. وهم يقولون أن فلان يفتي بجواز النظر إلى الصور الخليعة وما إلى ذلك. وتكلمت لما وجدت أن هنالك خطة مقصودة ومتعمدة، لهذا اقتضى الأمر توضيح ما قد قلته، لتتعرفوا على الحقيقة .

فخلاصة القول: أن الكلام الذي ذكرته في مجلة طبيبك قلت:"إذا تبت أن الطبيب الموثوق به قال هذا هو العلاج، وأن المسألة وصلت إلى هذا الحد الذي تقول، فإن سلم الأولويات يفتي بكذا

وكذا ولا مانع، لكن بشرط أن يكون هذا الأمر يستعمل كعلاج ضمن حدود معينة، فإذا زالت الحاجة عاد هذا الأمر فأصبح محرما " .

عودة إلى موضوع الدرس ومتابعة موضوع: أهم قواعد السلم والحرب في الجهاد:

قلنا: إن الإسلام جاء إلى الأسرة الإنسانية بمبدأ السلم، وحسبكم في هذا قول الله عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً"ولو علم الله أن هنالك بوابة يدخل منها الناس إلى سلم حقيقي غير بوابة الإسلام لشرع لهم تلك البوابة، ولكن علم كل عاقل درس الإسلام أنه لا يمكن للأسرة الإنسانية أن تلتقي تحت مظلة سلم حقيقي إلا إن كانت هذه المظلة هي الإسلام.

ـ فإذا شرع الله الجهاد ففي سبيل السلم شرعه، وإذا شرع الله سبحانه وتعالى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففي سبيل السلم أيضاً، وإذا شرع الله قانون العقوبات والحدود ففي سبيل انتشار السلم. قال تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"، القصاص قتل، ولكن الله جعل من القصاص سبيلاً إلى الحياة. والسلم لا يمكن أن يتحقق إلا في مناخ العدالة.

ـ نضع أمام أنفسنا الحالتين التاليتين، عندما يشرع الله تعالى الجهاد، ويأمر عباده بالجهاد، فإن هذا الجهاد ينقسم إلى حالتين لا ثالث لهما وهما:

ـ ـ الحالة الأولى: أن تقوم حالة حرابة لسبب ما بين المسلمين وغيرهم، دون أن يستحلوا للمسلمين أرضاً أو يغتصبوا لهم حقاً مادياً. قد يقول قائل لماذا الحرب في هذه الحالة ؟

ـ من المعلوم أنه قد توجد أسباب من دون ذلك للقتال أو الحرابة، مثلاً :بلغنا أنهم يخططون لحربنا، أي لم يحاربونا بعد، وبحثنا فتأكدنا من ذلك، في هذه الحالة يجوز أن نبدأهم قبل أن يبدؤونا كما ذكرنا ذلك سابقاً. ومثال آخر: أمرنا الله عز وجل أن ننشر الإسلام في الآفاق، وأن نبلغ رسالات الله عز وجل إلى أسماع الناس، طبعاً بالحكمة والحوار لا بالإلزام، فعلنا ذلك وأرسلنا دعاتنا إلى تلك الأصقاع، ونظرنا وإذا ببعض الدول وقفت في وجه هؤلاء الدعاة ولم تسمح لهم أن يبلغوا رسالات الله حتى بالكلام الحسن، في هذه الحالة فإن موقف الدولة الإسلامية أن تنظر إلى قوتها فإذا وجدت أنها تستطيع أن تحارب هؤلاء الذين يمنعون المسلمين من إبلاغ رسالات الله بالكلمة والموعظة الحسنة نقاتلهم لأنهم محاربون.

ـ هل يجوز في هذه الحالة الأولى للدولة الإسلامية أن تبرم صلحاً بين المسلمين وبين تلك الجهة التي تحاربها؟ الجواب: مادام تلك الجهة التي تحاربنا لم تستلب أرضنا ولم تضع يدها على حقوقنا ولم

تغتصب لنا مالاً، فالمسألة تعود إلى بصيرة ولي أمر المسلمين، هذا حكم من أحكام الإمامة وأحكام السياسة الشرعية. لكن بشرطين اثنين.

ـ الشرط الأول: أن يصدر هذا الصلح من ولي أمر المسلمين(يعني الخليفة، ورحم الله تلك الأيام التي كان للمسلمين حاكم واحد)، وإذا كان أئمة المسلمين كثر كما هو الواقع الآن، ففي هذه الحالة يجب أن يتفق حكام المسلمين جميعاً على هذا الصلح، ولو أن بعضاً من رؤساء الدول العربية رؤوا أن من الخير إبرام الصلح مع ذلك العدو، والبعض الآخر قالوا: لا ليس من الخير أن يتم هذا الصلح. إذن هذا الصلح لا يتم. لماذا؟ لسبب نقلي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولسبب عقلي لاحظه سيدنا رسول الله .

ـ أما السبب النقلي فهو أحد بنود الوثيقة (الدستور) التي أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أساسها أول دولة إسلامية في المدينة المنورة، وهو قوله: "إن سلم المسلمين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم "أي لا يجوز إذا فكر بعض حكام المسلمين في إبرام صلح مع عدو لهم إلا أن يتفقوا مع سائر زملائهم من حكام المسلمين، فإن اتفقوا فمرحبا، وإن لم يتفقوا فحالة الحرب قائمة .

ـ أما الدليل العقلي فإنه إذا قرر بعض الحكام قرروا إبرام صلح مع العدو، والبقية قرروا عدم إبرام هذا الصلح، فالذي يحصل أنه إذا قامت حرب بين هذا العدو وبين الحكام أولئك فإن الذين أبرموا الصلح لا يستطيعون الوقوف مع إخوانهم ومد يد العون إليهم. فالصلح الذي يتم من قبل بعض المسلمين من شأنه أن يمزق وحدة الأمة.

ـ الشرط الثاني: أن لا يبدر في أعقاب ذلك أي عدوان منهم على المسلمين عامة أو على من قد دخلوا في حماية المسلمين .وإن علمنا أيضاً أنهم يخططون لحربنا فإن الصلح في هذه الحالة ينتهي.

ـ ومن أبرز الأدلة على هذا الشرط نبذه صلى الله عليه وسلم لمعاهدة الصلح التي كان قد أبرمها يوم الحديبية مع المشركين، عندما بلغه نبأ اعتدائهم على قبيلة خزاعة، وكانت قد دخلت في عهد المسلمين.

ـ إذا انتهت الهدنة لسبب من الأسباب فإن على إمام المسلمين أو رئيس الدولة أن يعلن أن هذه الهدنة قد انتهت، لقول الله تعالى: "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ" وهذا من الأمور الأخلاقية التي ألزم الله سبحانه وتعالى بها الدولة الإسلامية.

ـ من تطبيقات هذا الحكم، العهد الذي عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم، عقب هجرته إلى المدينة المنورة، بين المسلمين واليهود الذين كانوا يقيمون في أطراف المدينة. إن اليهود لم يكونوا آنذاك مغتصبين لأرض ولا لحق. وإنما كانوا يقيمون –كما قال ابن القيّم– في ضواحي المدينة، ولكنهم كانوا يجاورون أهل المدينة مجاورة سيئة، لا تخلو بين الحين والآخر من التسبب للوقيعة والدسائس فيما بينهم. فكان أن صالحهم النبي عليه الصلاة والسلام بموجب الوثيقة التي كانت دستوراً لأول دولة إسلامية في الأرض، بعد بعثة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

ـ ومن تطبيقات حكم هذه الحالة أيضاً، الصلح الذي أبرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين ومشركي قريش في الحديبية، عندما صدّه هؤلاء المشركون ومن معه من المسلمين عن دخول مكة. فمن المعلوم أن قريشاً كانت تقيم في مكة التي كانت إلى ذلك الحين دار حرب، ولم يكن المشركون من أهلها قد اغتصبوا شيئاً من دار الإسلام التي كانت لا تتجاوز آنذاك نطاق المدينة.

الحالة الثانية: أن يطأ الأعداء –على حد تعبير الفقهاء– دار الإسلام، ويقيموا فيها أو في جزء منها على وجه الغصب والعدوان.هذا الوضع هو مبرر لأن نقاتلهم، وهو سبب من أسباب الحرب، وسواء أذهبنا إلى ما اتفق عليه الجمهور، من أن القتال يصبح عندئذ فرض عين على الجميع من ذكور وإناث وعسكريين ومدنيين، ضمن نطاق تنظيمي لدرجات الأولويات تقوم به الدولة، أم رجحنا الرأي القائل بأنه يظل فرض كفاية، إذا قام به من يمكن أن يردّ بهم العدوان، سقطت المسؤولية عن الباقين، [في الواقع الخلاف لفظي بين الفريقين وقد وضح الدكتور ذلك]، فإن من المتفق عليه، على كل حال، أنه لا يجوز للمسلمين –حكّاماً ومحكومين– إقرارهم على ما قد تلبسوا به من الاغتصاب لحقوق عينية ثابتة، بأي وجه من الوجوه. ولا مناص للمسلمين من العمل على ردع العدوان واستعادة الأرض المغتصبة إلى أصحابها بكل السبل الممكنة .أي لا يجوز إبرام صلح معهم طالما كان سبب العدوان قائماً.

ـ قد يقول قائل: لكن لا نستطيع أن نقاتل اليوم. فما العمل؟ الجواب :هنالك شيء رخصت الشريعة الإسلامية فيه، في هذه الحالة، وهي الانصراف إلى ما يسميه الفقهاء الاستعداد وأخذ الأهبة، وهو شيء غير الهدنة، وغير المصالحة الموقوتة، فضلاً عن المصالحة الدائمة. أي هي حالة وسطى بين الحرب وبين السلم.

ـ في هذه الحالة ننصرف إلى الاستعداد وتهييء القوة من الناحية الكمية ومن الناحية الكيفية ومن الناحية المعنوية، وأساليب الاستعداد كثيرة وليس من شروطه أن يكون معلناً، بل ربما كان الاستعداد

سراً أفضل حتى لو كان الظاهر يدل على أنه لا يوجد استعداد. هنا السياسة الشرعية تلعب دوراً كبيراً. إذن عدم قدرتنا على الجهاد واسترداد الحق المغصوب لا تعطينا الحق في عقد الصلح مع العدو المغتصب، بل يجب علينا أن نستعد.

ـ من الأهمية بمكان أن نلفت النظر إلى أن الفقهاء يحرصون في بيان هذا الحكم والتحذير من إبرام المصالحات والجنوح إلى السلم، في هذه الحالة الثانية، على استعمال كلمة (الاستسلام) بدلاً من السلم أو السلام؛ فيقررون مثلاً: "حرمة استسلام المسلمين للعدوان المتمثل في اغتصاب حق أو أرض". وليس ذلك منهم احترازاً عن السلام العادل كما قد يتوهم. وإنما هو تعبير دقيق منهم عن أن السلام العادل لا يتأتى في حالة استمرار العدوان على الحق. بل لا بد أن يؤول ما يسمى بالسلام، أياً كان شكله ومظهره إلى استسلام من المسلمين لسلطة العدوان المستمر. وعن هذا النوع من الاستسلام نهى الله عز وجل عندما قال: "فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ"، أي هذا السلم مرفوض لأنه سلم يجعلكم أذلاء.

ـ لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عقد صلحاً مع من وطئوا بلاد المسلمين على وجه الغصب والعدوان .أما ما يتمسك به بعض الناس، من أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، في أن يصالح قبيلة غطفان –وقد كان واحداً من الأحزاب التي أحدقت بالمدينة المنورة في غزوة الخندق– على إعطائها ثلث ثمار المدينة، كي ينصرفوا عن قتال المسلمين.. نقول: أما التمسك بهذه الحادثة والاستشهاد بها، فمغالطة عجيبة ما ينبغي أن تنطلي على من كانت لديه مسكة من الدراية الفقهية وقواعد الاستنباط. ذلك لأن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الحادثة، لم يتجاوز حدود التشاور مع الأنصار. ولقد قال كل من سعد بن معاذ وسعد بن عبادة: يا رسول الله، أهو أمر تحبه فنصنعه لك، أم شيء أمرك به الله، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، كي أكسر عنكم شوكتهم، (أي فهو ليس وحياً من الله، ولا شيئاً يحبه لهم رسول الله). فقال له عندئذ سعد بن معاذ: والله مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: فأنت وذاك.

ـ إذن لم يُجر رسول الله صلحاً عملياً مع قبيلة غطفان، ولا جاء بأحد من قبيلة غطفان ليحاورهم في هذا، وإنما شاور بعض الأنصار في هذا الأمر. فهل يؤخذ من هذه المشاورة التي لم تنفذ حكم شرعي؟ أجمع المسلمون أن مجرد المراوضة ومجرد المشاورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر لم

ينفّذه، لا يعتبر دليلاً على حكم شرعي، لأنه عندما طرح هذا الموضوع من قال أنه كان ينوي القيام بهذا العمل، وأنه لم يكن ينوي جس نبض أصحابه واستطلاع ما في نفوسهم؟

ـ إن بعض المتحزّبين قالوا: إذا وجد المسلمون مصلحة في أن يعطوا الجزية –بهذه العبارة– لأعدائهم فهذا جائز !!، قلنا: من أين لكم هذا الكلام !؟ قالوا: لأن رسول الله فكّر مع الأنصار أن يعطي جزءاً من ثمار المدينة لقبيلة غطفان !!! وقد بيّنا بطلان هذا الاستدلال، وهذا الكلام غير جائز إطلاقاً.

ـ نعم، إذا أُسقط في أيدي المسلمين، وفقدوا حرّيتهم واستلب منهم حقهم عنوة، فهذه الحالة شيء آخر، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه."

ـ لهذا الكلام تتمة في الدرس القادم إن شاء الله.

• (الدرس 30) فلسطين والسبيل الوحيد لاستنقاذها – ج 3

تذكير بما تما تقديمه:

ـ أن الجهاد شرع درءا للحرابة، وليس لإجبار الناس في الدخول للإيمان .

ـ والواقع الذي يجري في كثير من البلاد العربية والإسلامية والذي يسمى بالجهاد، وإنما هو ليس كذلك بل هو خطة تنفد لإجهاض الجهاد، ولتحويل أنظار المسلمين إلى الثغرات التي يجب أن يجاهدوا فيها، إلى التهارج والتقاتل فيما بينهم. وهذه كرتها من خلال وثائق أصبحت معروفة حتى من عامة المثقفين، خطط تدرس هناك وتنفد هنا، ولها عملاء وسماسرة ببلادنا .

ـ المثل الأول للجهاد في هذا العصر هو مجاهدة هؤلاء الذين استلبوا من المسلمين حقوقهم العينية والمعنوية، وهم هؤلاء الذين قد احتلوا أرضنا المقدسة في فلسطين.

ـ الإسلام يضعنا أمام ثلاث حالات: حالة من السلم الدائم بيننا وبين الأمم الأخرى مثل حالة دولة الإسلام في عهد رسول الله مع قبيلة خزاعة، وحالة من المهادنة الموقوتة، وحالة من الحرب. وتم توضيح كل حالة بالتفصيل في الدرس السابق.

إلى أي حالة ينتمي واقعنا المرير الذي نعاني منه اليوم؟

إن مشكلة فلسطين ليست خاصة بالفلسطينيين فقط، بل هي مشكلة المسلمين عامة، أي أن وجود إسرائيل فوق تلك الأرض وسيلة للإقتضاض على سائر المسلمين، ووسيلة لأن يقض العدو

مضجع المسلمين، أي هي مرتكز للانطلاق منها إلى بقية الأماكن. تم توضيح ذلك في الدرس السابق.

ـ قلنا أن الأصل في الإسلام السلم لا الحرب، والسلم لا يصلح أن ينبت إلا في تربة واحدة ألا وهي تربة العدل، أقم العدل يقوم السلم. بين العدل والسلم تلازم ومن تجاهل هذا فهو يستحمق الناس.

نظراً إلى أن السلم الحقيقي لا يستنبت إلا في تربة العدل، إذن ينبغي أن يشيع العدل بين المسلمين وهؤلاء اليهود. لكن عندما يتخذ هؤلاء اليهود من سياستهم العدوانية وسيلة لإثارة الفتنة وإزهاق العدالة،ويكون عملهم وبالا على اليهودية كدين قبل أن يكون وبالا على المجتمع الإسلامي فنقول لهم:

ـ ارفعوا أيديكم عن حقوقنا التي استلبتموها والعالم كله يعرف ذلك، عندئذ يقول الإسلام: مرحباً بالسلام ونحن دعاته. فهل اليوم إسرائيل تنهض رأسها لهذا الأمر !؟ كلكم يعلم الجواب عن هذا .

ـ في الوقت الذي العالم الغربي بقيادة أمريكا ينادي بالسلام ويضغط على العرب بأن يسالموا، يغض الطرف عن الإجرام المتواصل، والاغتصاب المستمر، وعن الجرائم البشعة المستمرة، دون أن يضرب على يد هؤلاء المجرمين أحد. وإنكم تجدون كيف أن القدس اليوم مهددة بالاستلاب الحقيقي والتطوير والتغير والتبديل .وتلاحظون كيف أن مستعمراتها في بلادنا تتنامى وتتزايد، وفي الوقت ذاته يتحدث الجميع عن السلام. .فكيف يتم الحديث عن السلام في مثل هذه الحالة !؟ هذا السلام، الشريعة الإسلامية ترفع فوقه وتهيب بالمسلمين أن يترفعوا فوقه، لأن هذا ليس سلاماً إنما هو مهانة وذل واستسلام، يربي الإسلام أن يخضع المسلمين لها.

ـ هنا يكون الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى. فإذا كان هنالك أناس يلحون على الجهاد وينامون ويستيقظون على أحلام الجهاد، ثم لا يطيب لهم أن يحققوا الجهاد إلا فيما بين المسلمين أنفسهم، فليعلموا أنهم إما مغفلون وحمقى، وإما سماسرة وعملاء. وهذه الحالة الثانية هي الأرجح.

ـ قيل لي (أي للدكتور) أكثر من مرة، أن شباباً من المسلمين الملتزمين يدخلون المتاجر الأوروبية فإذا وجدوا أن الفرصة سانحة لهم اغتصبوا وسرقوا ما يطيب لهم من الأمتعة في تلك المتاجر وخرجوا بها لصوصاً سارقين، فإذا سألهم إخوان لهم عن هذا :كيف تفعلون ذلك؟ قالوا: هؤلاء حربيون ! والحربيون أموالهم كلها غنائم لنا إذا استطعنا أن نضع أيدينا عليها!!

ـ انظروا إلى هذا الكلام الأرعن، أي مجنون في رأسه ذرة من عقل يصدق هذا الكلام؟ أنت تنظر إلى الأوروبيين الذين يعيشون في بلادهم بعيداً عنك وعن استلاب حقوقك على أنهم حربيون تريد أن تستلب منهم لأنهم حربيون، والذين اغتصبوا أرضك واستلبوا حقك ويهددون بالمزيد من الاستلاب، وها أنت تراهم، تشيح بنظرك عنهم ولا تشعر بهم ولا تحدثك نفسك أن تذهب إليهم فتستلب منهم هذه الأشياء! كيف يمكن لعاقل أن يصدق هذا الكلام؟

ـ قولوا لهؤلاء الناس: إذا كنتم حقيقة تعتقدون أن هؤلاء الأوروبيين حربيون وأن دارهم دار حرب، فلماذا تقيمون فيما بينهم تجاراً وطلاباً وموظفين، ترتزقون من كدّهم وتعيشون تحت نظامهم !؟ قولوا لهم: هل يجوز لمسلم أن يقيم في دار حرب إلا إذا كان مقاتلاً؟ لا يجوز. إذا كنت تعتقد، وأنت لست بكاذب، أن أوروبا دار حرب، إذن ينبغي أن لا تذهب إلى هناك إلا وأنت تحمل سلاحك لتقاتلهم، أما أن تذهب وأن تأخذ الإقامة وأن تتجنس وأن تخضع للنظام وأن تعيش في أحضانهم، وأن تأخذ اللقمة من أيديهم، تفعل هذا كله وهم حربيون، فأي إسلام قال هذا؟ تنسى أنهم حربيون عندما تأخذ الإقامة، حتى إذا دخلت متجراً وسال لعابك على متاع في ذلك المتجر تذكرت أنهم حربيون ونظرت يميناً وشمالاً فلم تجد أحداً، ووضعت المتاع في جيبك وذهبت. أي إسلام جاء بهذا؟ كيف يمكن أن أتصور أن الجهاد الإسلامي الذي أمرنا الله به، هؤلاء هم الذين يعرفوننا عليه ؟ وكيف يمكن أن أقتنع أن هؤلاء ليسوا عملاء أدلاء وسماسرة، وأنا أعلم أن فيهم من يأخذ أموالا من إدارات استخبارية من أجل أن يفعلوا هذه الأفعال فيشوهوا الإسلام أمام الآخرين.

ـ يقول الدكتور :بعض الإخوة يثورون على كتاب الجهاد هذا الذي ندرسه، ويتهموننا بأننا قد ألغينا الجهاد، أبحث عن واحد منهم قد انضم إلى جماعة حماس مثلاً أو الجهاد في فلسطين، فلا أجد واحداً منهم، وإنما كلهم يقيمون في أوروبا، وماذا يصنعون؟ يثيرون الفتن !! كلما وجدوا مجموعة متفاهمة متآلفة من الإخوة المسلمين دخل واحد أو عدد فيما بينهم وصدّعوا صفوفهم ومزقوا شملهم ثم اختفى هذا الإنسان فيهم في لحظة واحدة، وذهب إلى مكان آخر. هذا الأمر لم يعد يخفى على أحد.

ـ نحن عندما تحدثنا عن الجهاد الذي شرعه الله وأوضحنا الحكمة من مشروعية الجهاد، إنما نسعى إلى إحيائه من جديد، لا إلى إماتته، بل نحذر ممن يريدون أن يجهضوا الجهاد، وأن يجعلوا من الجهاد قنبلة تتوجه إلى المسلمين لتتفجر في داخل مجتمعهم.

طرف من آداب الجهاد وحال المجاهدين:

ـ المجاهد، سيما الجهاد ماثل في وجهه، في سلوكه، في خشوعه، في خشيته، في جلال الربوبية الذي يهيمن على كيانه وسلوكه، فلننظر إلى حال هؤلاء المجاهدين كما يصفهم الله وكما نعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما كان عليه أصحاب رسول الله، ولننظر إلى أناس يتمشدقون اليوم باسم الجهاد، ترى هل تتبدى عليهم صورة واحدة من هذه الصور؟

ـ تحدثنا عن معنى الجهاد، ومتى يكون السلام ومتى تكون الهدنة ومتى يكون الحرب، لأننا نريد أن نطبق ما أمرنا به الله، ونريد –جهد استطاعتنا– أن نحيي الجهاد الذي حاول الغربيون أن يميتوه بشتى الوسائل فلما لم يستطيعوا استعانوا بسماسرتهم وعملائهم فيما بيننا من أجل أن يجهضوه ويقضوا عليه.

ـ الجهاد هو ذروة العبودية لله .في كل الأحوال يجب أن تتجلى ظاهرة العبودية على كيان الإنسان، في داره وسوقه ومتجره وكل مكان، لكن أشد الحالات التي تتبدى فيها العبودية كاملة في كيان الإنسان عندما يكون مجاهداً في سبيل الله سبحانه وتعالى، أي أن الجهاد يمثل في كيان الإنسان ذروة العبودية لله سبحانه وتعالى.

ـ انظروا إلى بيان الله سبحانه وتعالى كيف يربط ذكر الله والتبتل بين يدي الله والتضرع على أعتاب الله، كيف يربط ذلك بحالات الجهاد. فمثلاً، يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"، ألا تلاحظون هذا الربط؟ وكأنه يقول لنا: ولن تثبتوا إلا بعلاج وهو الإكثار من ذكر الله.ومنه فإن ديدن المجاهد أن يكون كثير الذكر لله سبحانه وتعالى .

ـ انظروا إلى قول الله تعالى الذي تنزل تعليقا على غزوة بدر: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ"، انظروا كيف ربط الله توفيقه للمسلمين يوم بدر بالاستغاثة، والاستغاثة أعلى وأرقى درجات العبودية لله تعالى والتضرع على أعتابه. والمستغيث هو الذي يترامى على أذيال الرحمة الإلهية مستنزلا الرحمة من الذات الإلهية، متيقن أنه هالك إن لم ينصره الله تعالى .

ـ أين هو واقعنا المؤلم من هذا الذي يأمرنا الله سبحانه وتعالى به؟ نقولها بصراحة: هل جنودنا في المعسكرات يمثلون هذه الحالة اليوم، وهم الذين ينبغي أن يكونوا مثلنا الأعلى في التبتل والتضرع إلى الله عز وجل؟

ـ في سنة 67 بعد أن وضعت تلك الحرب أوزارها، قال لي بعض الإخوة الذين اشتركوا في تلك الحرب، قال: عندما رجعنا، في الطريق وقفنا في مكان نصلّي، فمر بنا بعض الخبراء الأجانب، نظروا إلينا، ولما انتهينا من الصلاة قال قائلهم: لماذا تصلّون؟ الإله الذي تعبدونه لم ينصركم! قلت له: كان عليكم أن تقولوا لهم :إننا نصلي له لأنه لم يخسف بنا الأرض، ولأنه لم يهلكنا بعامة، نحن كنا نستحق ذلك، ولكن الله أكرمنا ورحمنا وجعل من هذه الهزيمة درساً لنا، وإلا لو أنه عاملنا كما نستحق في سلوكنا ووضعنا وعدم الالتفات إلى أمره والانغماس في المنهيات التي نهانا عنها، إذن لابتلعتنا الأرض.

ورحم الله ذلك الرباني حيث كان يوما يمشي في الطريق وإذا بوعاء ممتلئ برماد قد ألقي من بعض السطوح عليه، فتلبسه الرماد من فوقه إلى قدمه، سعى إليه بعض الناس ليصلحوا من شأنه، فقال لا إشكال أبدا، هذه حالة أنا أحمد الله عليها :" إنسان استحق الإحراق بالنار، فا صلح بالرماد، هذه نعمة، أنا كنت أستحق الإحراق، فالبارئ سبحانه وتعالى أنقذني من العذاب الذي أستحقه، وجعل جزائي هذا الرماد ...."

ـ نحن اليوم أيها الإخوة بضاعتنا بضاعة كلام، نتكلم كثيراً باسم الجهاد، ونستلهم الرد على القوى العالمية التي ترمي وتدفع إلى الاستسلام باسم السلم، نتوجه إليهم بكلمات الجهاد، ونحذرهم ونهددهم بأحكام الجهاد، ولكن هلّا وقفنا أمام البوابة التي ينبغي أن نعبرها إلى الجهاد والتي رسمها كتاب الله؟ الله عز وجل يقول: "إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" ويقول:" إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"، والله لا أمريكا ولا كل الدول التي تمشي في ركابها، لن تستطيع أن تفعل لنا شيئاً إن نصرَنا الله، ولن ينصرَنا إن لم نعد إليه عوداً حقيقياً بدءاً من طهارة القلوب وتزكيتها إلى الانصياع لأوامره، وهذا هو معنى أن ننصر الله.

صفة المجاهدين:

الجهاد بهذا المعنى مصدر يحتاج إلى مجاهدين وقال الدكتور عنهم ما يلي ." وما المجاهدون في قانون من شرع الجهاد وأمر به، إلا أولئك الذين أخلصوا لله في سرائرهم، وتحققوا بصفات العبودية له في ظواهرهم. تعلقت منهم الأعين والآمال بالغد القريب الذي لا ريب فيه، إذ يقوم الناس جميعاً لرب العالمين، فهانت عليهم الدنيا بكل متعها ولذائذها.. أيقنوا بقضاء الله المبرم، وعلموا أن لكل حي أجلاً، وأن لكل أجل كتاباً. فلم يرهبهم عراك الموت، ولم يبالوا أوقعوا على الموت أو وقع الموت

عليهم.. حجبت قلوبهم عن مرعبات القتال وأهواله بعذوبة الخطاب الرباني الذي أخذ منهم بالألباب: "وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ "

ـ هؤلاء المجاهدون لهم في جنح الليالي مع الله عز وجل، حديث من برّح به الشوق إليه، يناجونه من وراء سجاف الغيب، داعين، مستغيثين، متضرعين، أن يثبّت أقدامهم وأن يحقق لهم النصر الذي وعد به أولياءه وأحباءه. فلو تألبت الدنيا كلها عليهم لجعل الله تعالى لهم من شدائدها رخاءً، ولشتت عنهم قلوب أعدائهم بالرعب، فاستحالت هباء.

ـ كيف لا وهو جل جلاله القائل: "إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا، سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ"

ـ هذه صفة المجاهدين، فما أغرب وما أشد مصيبة مجتمع كل حظه من الجهاد الأقوال، كل حظه من الجهاد الشعارات، كل حظه من الجهاد تحويل وجهة جنود الله عز وجل من العدو الجاثم على أرضهم إلى قتال يستشري فيما بينهم.!! هذه مصيبة المصائب أيها الإخوة.

ـ نحن لا نشك إطلاقاً أن الجهاد لا ينقدح معناه إلا في كيان من كان يعيش في شهود الله، لأن المجاهد إنسان يقول: يا رب، ها أنا قد وضعت حياتي فوق كفي قرباناً لمرضاتك. فهو يرى الله سبحانه وتعالى، لا بعيني رأسه ولكن بعيني قلبه [وهذا هو معنى الشهود].البارئ سبحانه وتعالى قال لسيدنا موسى كلمة أخبرنا بها وأرانا إياها، وذلك عندما أمر الله تعالى موسى وأخاه أن يذهبا إلى فرعون "إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى " عندها قال سيدنا موسى :" قال ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى " أجابه الله تعالى :" قال إنني معكما أسمع وأرى " وهذا الكلام موجه لكل عبد من عباد الله تعالى، عندما يتجه لأداء حقوق الربوبية بصدق، لا أن يتأبط غرضا أو مصلحة، أو أن يكون أجيرا لجهة يأخذ منها أموالا طائلة، لا بل يأخذ أجره من واحد هو الله سبحانه وتعالى .

ـ نحن أيها الإخوة، إذا أردنا أن نجاهد، فهكذا يكون الجهاد، وعندما يكون المجاهدون بهذا الشكل، هل تتصورون أن تبقى صورة من شقاق بين الإخوة المسلمين؟ هل يمزقون وحدة الأمة من خلال الخلافات التي يبتدعونها ويخترعونها؟، لا، لأن الله تعالى يقول: "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" الإله الذي قال هذا الكلام هو الذي قضى أن تكون هنالك أمور يكون فيها خلاف. لكن في الأمة السابقة جعلت من هذه القضايا الخلافية قضايا تعاونية،

زادتها حبا وتآلفا، لكن هنالك إخوة لنا يرفعون شعار الجهاد من جانب، ويمزقون صفوف المسلمين من جانب آخر، يا هذا اتق الله، كيف وبأي سلاح تريد أن تجاهد وأنت تمزق وحدة الأمة التي هي أول سلاح في باب الجهاد!؟

ـ كلام قاله قبل سنوات حافظ الأسد دعمت كلامي هذا بكلامه، حيث قبل سنوات جاء صحفي إلى الرئيس وطرح له مجموعة من الأسئلة منها قوله :" ألا ترون أن الأصوليين يكثرون عندكم، ألا تشعرون بالخطر

(وذكر له مجموعة من رؤساء دول عربية يشعرون بالخطر) فما رأيك؟ قال له ما يلي :" أنا أشعر بالقلق على الوضع العربي مع إدراك الخلفية، وأتصور أنني لو كنت في سن أصغر وكنت مواطنا عاديا، وأرى ما يحدث حولي في الوطن العربي فا لربما وجدت نفسي ضمن هذه الحركة (أي الحركة الأصولية) لأنني بحماستي بفعل الشباب كنت سأحكم على الأمور بشكل التالي :"العرب اليوم في وضع من احتلت أرضهم ولا يستطيعون أن يفعلوا شيئا، والشباب يقولون أن الإسرائيليون هم ثلاثة ملايين، وانتصروا على العرب جميعا، ولذلك تشن الحملة على الذين يحملون شعار القومية العربية طريقا إلى حفظ الكرامة والحقوق، علما أن أكثر الأحزاب العربية ترفع هذا الشعار ونحن منهم، وهكذا من حق هؤلاء الشباب أن يستنتجوا أن الخلاص هو في الإسلام، الذي عندما كنا متمسكين به لم يستطع أحدا أن يذلنا " ما الإشكال بأن أستشهد بهذا الكلام لدعم هذا الذي أقوله ؟ رجل له تجاربه الحلوة والمرة، اعتصرها ووصل إلى هذه الحقيقة والتي تسجد لقرار الله :" إن تنصروا الله ينصركم " الرجل دل أن هذه الأمة لا يمكن أن تنتصر إلا إذا التزمت بدينها .

ـ إذا كنا اليوم صادقين في التحرق على أرضنا المغصوبة، بعد التجارب الطويلة المتلاحقة التي لم تحمّلنا إلا أوزاراً من المصائب، واحدة إثر أخرى، إذا كنا صادقين فلنعلم أن سبيل استعادة الحق المغصوب إنما هو الجهاد، ولنعلم أن الجهاد لا يتحقق بدون مجاهدين، وأن المجاهدين يجب عليهم قبل كل شيء أن يعودوا فيصطلحوا مع الله، الكل يجب عليهم أن يصطلحوا مع الله لكن في المقدمة الذين يقفون في الثغور.

ـ نحن نعلم أن إسرائيل وأمريكا وكل من يقف على شاكلتهما لا يخافون من غنى تتمتع به الأمة العربية، ولا من أسلحة الدمار الشامل التي تتمتع بها هذه الأمة، ولكنهم يخافون من وحدة إسلامية تعيد هذه الأمة إلى سابق شأنها، هذا ما يراقبه هؤلاء الأعداء بأعين كبيرة تحملق. لذلك هم يضعون كل جهودهم في التمزيق، مزّق ثم مزّق ما قد مُزّق، هذا شعارهم .ويُنفّذ هذا الشعار بوسائل شتى،

من جملة هذه الوسائل سماسرة أولئك الناس فيما بيننا، الذين جعلوا من الدين أديانا متناقضة من أجل أن يعود الدين نفسه فيكون وبالاً على المسلمين. هذا الأمر لا ينبغي أن يغيب عن بال كل مسلم .

ـ ما الذي يعيد شمل هذه الأمة؟ اللسان العربي؟ لن يعيد اللسان العربي لم شمل الأمة، فها قد جربنا القومية العربية، فلا نجد إلا التمزق والتدابر بين من يرفعون هذا الشعار. هل الاشتراكية؟ جربناها. الفلسفة المادية؟ جرّبناها. جربنا كل الوسائل، ومن قبل جربنا الالتقاء على دين الله والعبودية له فوجدنا أن المتخالفين رأساً تحولوا إلى وحدة متفقة. إذن حان لنا أن نعود إلى الدار التي شردنا عنها، حان لنا أن نعود إلى حصننا الذي تهنا عنه، فالإسلام هو الذي يحقق وحدة هذه الأمة، والإسلام لا يكون بشعار نرفعه، وإنما أن نتداعى إلى الإسلام، وأن ندعو إلى الله عز وجل.

• (الدرس 31) فلسطين والسبيل الوحيد لاستنقاذها – ج 4

في آخر درس تحدثنا عن الأحكام الشرعية والجهادية التي يجب أن تطبق على فلسطين وواجب المسلمين تجاه هذه الأرض المقدسة، أي حاولنا أن نطبق ما قد عرفناه من أحكام الجهاد خلال رحلتنا هذه على فلسطين. وتحدثنا بالتفصيل عن أحكام الجهاد عند تطبيقها على هذه الأرض المغتصبة، وبينا أنه لا يجوز أن يشيع بين المسلمين وهذا العدو المغتصب أي سلم إلا بشرط، وهو أن ينتهي الغصب، وأن ترتفع يد الغاصبين عن حقوق المسلمين. ووثيقة السلم تبرم مع جميع المسلمين، وهذه من الأمور المنصوص عليها. ونجد هذا في الوثيقة التي أبرمها رسول الله عند هجرته إلى المدينة المنورة واستقر فيها، و ينص بند من بنود هذه الوثيقة على مايلي :" سلم المسلمين واحدة، لا يسالم مسلم على مسلم إلا على سواء بينهم. أي لا يجوز لفئة من المسلمين أن تبرم عقد مسالمة بينها وبين عدو للمسلمين إطلاقا، إلا إذا اجتمعت كلمة المسلمين كلهم .

ـ والحالة الآن أن إسرائيل ممعنة في عدوانها ماضية في اغتصابها لحقوق المسلمين، مسترسلة في تجاهلها لهذه الحقوق، لهذا لا يجوز أن يشيع السلم بين المسلمين وهؤلاء. والجهاد في هذه الحالة هو المطلوب وهو مصدر لابد له من مجاهدين .

تذكير بموضوع: آداب الجهاد وحال المجاهدين:

ـ وصفنا المجاهدين في الدرس الماضي، وقلنا: هم أناس انتقل الإيمان من عقولهم يقيناً إلى أفئدتهم حباً ومخافة ومهابة ووجداناً، هم أناس فرغت قلوبهم من شهوات الدنيا واتجهت إلى الله سبحانه

وتعالى، وضعوا الدنيا وراء ظهورهم والآخرة نصب أعينهم، هم أناس إذا جن الليل عليهم استبدلوا بالرقاد مناجاة الخالق الواحد جل جلاله، هم أناس يرون أن الموت قد أصبح قاب قوسين أو أدنى منهم ذلك لأنهم يواجهون الموت وأسبابه.وتحولوا إلى جماعة ربانيين للواقع الذي هم فيه .

ـ لما نصر الله المسلمين –الرعيل الأول– إنما نصرهم بهؤلاء الرجال، لم يكن الجهاد يوماً ما تكتيكاً مادياً عملياً مجرداً،وإنما كان الجهاد عبارة عن مشاعر متجمعة وممتلئة في نفوس أولئك الناس الذين كانوا مجاهدين، وهؤلاء الذين كانوا على هذا الشكل حق لهم نصر الله لهم الذي أخذه عهداً على نفسه حين قال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ".

ـ اليوم ليست مشكلتنا أن عدونا أقوى منا، وأن دولة كبرى تدعمه وتتحيز له، ولا تحب أن تنصف المظلوم ولا أن تضرب على يد الظالم، ليست هذه هي المشكلة .المشكلة أننا نحن لم نتحل بأخلاق المجاهدين .انظر إلى المعسكرات وإلى الثغور، فإن رأيت أن سمة الإسلام هي البارزة وأن شعائر الإسلام هي التي تتألق وتظهر، وأن جباه أولئك الناس دائماً مطبوع عليها شعار السجود لله سبحانه وتعالى، فتعال لأبشرك أن النصر قريب، لا أمريكا ولا غيرها تستطيع أن تقف في وجه قضاء الله المبرم؛ ولكن إذا رأيت الأمر على خلاف ذلك فلا تنتظرن من الله نقيض ما قد ألزم به ذاته.

من هم المجاهدون الذين ألزم الله ذاته العلية أن ينصرهم وأن ينتصر لهم؟ وما أهمية وحدة الصف؟

ـ المجاهدون أناس عاشوا في ظلال قول الله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ" وقوله: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"، وقوله: "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ" .فهل تجد المسلمين اليوم يتحلون بهذه الصفة الثانية، بعد أن ترك أكثرهم الصفة الأولى؟ هل تجد الجماعة المسلمة اليوم يغذون معنى قرار الله عز وجل (إنما المؤمنون إخوة) أم يغذون نقيض هذا القرار !؟ هل تجدهم يتفيؤون ظلال قول الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) أم يفرون من ظلال هذا الكلام ويختلقون نقيض هذا الذي أمرهم الله عز وجل به؟ ما الجواب؟ انظر إلى واقع المسلمين في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه تجد الجواب!!

ـ كان الإسلام إلى الأمس القريب إسلاماً واحداً، وموحداً، واليوم تحول الإسلام على يد كثير من المسلمين إلى إسلامات متناقضة تبعث على الخصام وتبعث على الشقاق، وكثيراً ما تبعث على القتال والتهارج .أليس الأمر هكذا !؟ انظر إلى العالم العربي أولاً، من غربه إلى شرقه ومن شماله إلى جنوبه، تجد فقاقيع الآراء الإسلامية التي تحول كل رأي منها إلى إسلام هو الحق وحده وما عداه الباطل! فكيف يمكن لأمة هذا شأنها أن تتحد وتتضامن حتى تقاتل عدواً واحداً لها !؟

ـ نتساءل، ويحق لنا أن نتساءل، هل الإسلام مفرّق أم موحّد !؟ هل الإسلام عبارة عن اجتهادات متناحرة متناقضة تمزق شمل الأمة الواحد، أم الإسلام كما عهدناه حبل جامع كما فعل بالأمس بتلك الفئات والقبائل التي كانت متخاصمة فوحدها الإسلام !؟ الجواب فيما نعلم أن الإسلام واحد وموحد.

ـ إن كان الإسلام واحداً وموحداً، ففيم تحوّل الإسلام على يد مسلمين –لا على يد أعدائهم– إلى إسلامات متناحرة متخاصمة، كل فئة تزعم أنها الفئة الناجية، وأن الفئات الأخرى هي حشو جهنم وبئس المصير لذلك يجب أن تقاتل !؟

ـ الجواب أن الإسلام كان ولا يزال واحداً، ولكن الأهواء هي التي اختلقت من الإسلام الواحد إسلامات شتى .الكبر والعناد، العصبيات التي تغذي الأنانيات هي التي اختلقت من الإسلام الواحد إسلامات شتى. فالمنبع الذي تفجرت منه هذه الثآليل أو الفقاقيع ليس كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجتهاد الأئمة الذين خلوا من قبل، ولكن المنبع هو نفوسنا التي تحتضن الهوى وحب الانتصار للذات، لا الانتصار لله الواحد القيّوم. هذا هو البلاء الساحق. وما حاق بنا هذا البلاء إلا بعد أن غاب الإخلاص لوجه الله عز وجل. وما غاب الإخلاص لله عز وجل إلا بعد أن غاب حب الله من حنايا القلوب، وغابت مخافة الله من هذه الأفئدة، وغاب تعظيم الله منها.

ـ لما غاب الإخلاص بعد أن غابت العواطف الإيمانية في القلوب، حلّت محلها العصبيات والأهواء والشهوات، وأصبحنا نتخذ من الإسلام مطيّة ذلولاً لبلوغ رغائبنا وشهواتنا وأهوائنا.

ـ المسائل الخلافية التي تستعمل أسلحة لتصديع وحدة الأمة كانت موجودة بالأمس، فلماذا لم تفعل فعلها المصدع عندما كانت هذه الأمة مخلصة لله ؟ بل كانت خلافات تعاونية، لوجود الإخلاص ومحبة الله تعالى.

ـ الغرب ماذا يصنع أيها الإخوة؟ الغرب يمكر بالمسلمين دائماً، وهذا قراره المعلن، وليس قراراً خفياً، ولكن الغرب عندما يريد أن يمكر بالمسلمين لا يستطيع أن يوجد شيئاً معدوماً بينهم. بل ينظر ويدرس أحوالهم وأوضاعهم، وعندما يكتشف نقاط ضعفهم أو الأخطاء المتوضعة بينهم يستغلها ويركز عليها وينميها ويغذيها ويعظمها ويستغلها .هذا ما يفعله العدو.

ـ الغرب ينظر فيجد أن المسلمين حولوا خلافاتهم بالأمس التي كانت خلافات تعاونية تتحرك تحت مظلة (إنما المؤمنون إخوة)، وجد أن المؤمنين حولوا هذه الخلافات إلى غذاء لعصبياتهم

وأهوائهم، لجماعاتهم وأحزابهم، فاستغل الغرب هذا الواقع، وأخذ يبث العوامل والأسباب لتوسيع هذا الخلاف، وأخذ ينفخ وينفخ في أوارها حتى يكدرها ويعظّمها.

ـ فالغرب يدرس حال المسلمين، لما درس ووجد هذه الفقاقيع الخلافية ماذا تصنع، رأساً خطط وقرر وأمر رسله أن يطلقوا اللحى إذا اقتضى الأمر، وأن يتسربوا إلى صفوف الإسلاميين إذا اقتضى الأمر، ويهيجوهم إلى مزيد من هذه الخلافات، وأن يحاذروا أن ينبههم المرشدون ولو كانوا قلة والربانيون إلى أن يعودوا فيجمعوا صفهم، فكلما حاول بعض المخلصين أن ينبهوهم وأن يستثيروا بين جوانحهم بقايا الإخلاص لله عز وجل، يأتي هؤلاء المخططون ليمنعوا وصول عمل هؤلاء الناس إلى غاياتهم. وهناك تقارير وكتابات حول هذه الحقيقة.

ومؤخرا كتبت في جريدة الشرق الأوسط عن تقرير خطير كتبه "نيكلي فورد"، ورفعه في آخر السبعينات إلى هيئة الأمم وإلى مراجع غربية أخرى يحذر من أمرين اثنين: من انبعاث إسلامي جديد مقرون بطاقة مادية كبرى تتمثل في البترول ويقول :" إذا اجتمعت هذه الطاقة البترولية مع هذا الانبعاث الإسلامي وتعاونا، فلسوف تكون النتيجة وبيلة للغرب، لذلك يجب على الغرب أن يعالج هذا الموضوع. أولا أن يقضي على هذه الثروة البترولية، ثانيا أن يبدل كل ما يملك لتصديع المسلمين حتى لا يسيروا إلى الغاية التي يتجهون إليها في انبعاثهم الإسلامي " هذا الواقع ما كان للغرب أن يستغله لو لم تكن بذوره موجودة لدينا .

ـ هذه الحال التي آلت إليها وحدة الأمة الإسلامية لم تجعل لدينا أملاً في أن يكون جهادنا مثمراً أبداً. فهل يمكن للمجاهدين أن يتجهوا إلى واجب جهاد العدو إلا إذا كانوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص كما وصف الله سبحانه وتعالى؟ هل يمكن أن يقابل المسلمون العدو وهم فئات متناحرة يتهارجون فيما بينهم قبل أن يقاتلوا عدوهم؟ لو كان المسلمين مخلصين لله سبحانه وتعالى لاجتمع الكل للانتصار لدين الله، وربي يقول :" إنما المؤمنين إخوة فأصلحوا بين أخويكم " أأضع كلام الله تحت قدمي وأمارس نقيض ما يقوله الله ؟؟ كيف أكون مؤمنا ؟؟ وتقول نحن نختلف في وجهات النظر هذا كذا وهذا كذا ؟ الله تعالى يأمرك أن تتمسك بالجذور، أنت مؤمن وأخوك مؤمن دع الأمر وانتهى الإشكال .

ـ العدو يرى أن المسلمين كلهم متناحرون وقوتهم متجهة لتمزيق بعضهم بعضا، وهم بذلك ينفذون الخطط الغربية تماما، ولذلك ينعمون على وسادة مريحة بالهم مطمئن وخططهم نافذة، ولا أحد يستطيع أن يقف في وجوههم هم مشغولين بأنفسهم .

كيف يبرر اليهود اغتصابهم لفلسطين؟

ـ بقي أن نقول أمرين اثنين، الأمر الأول أن اليهود (ونعني إسرائيل التي تحولت عن دينها إلى صهيونيتها)، هؤلاء اليهود يحتجون بحجتين اثنتين، ويجب أن نعلم الجواب عن كل منهما بدقة.

ـ الحجة الأولى: وهي حجة مكرورة في المحاكم المتنوعة هي: أن هذه الأرض أرضهم التي ورثهم الله عز وجل إياها عن طريق الرسل والأنبياء، وربما قالوا بين الحين والآخر أن الله عز وجل ورّث هذه الأرض من النيل إلى الفرات سيدنا إبراهيم، وسيدنا إبراهيم ورّث هذه الأرض لذريته وليست ذريته إلا أولاد سام أي الساميون وهم اليهود، فلماذا تنقمون علينا عندما نطالب بميراثنا ونطالب بحقوقنا؟ هكذا يقولون فما الجواب عن هذا الكلام؟

ـ الجواب عن هذا الكلام هو أن من قال –أياً كان– أن الله سبحانه وتعالى ورّث نبياً من الأنبياء درهماً أو ديناراً أو أرضاً فهو كاذب مفتئت على الله، يهودياً كان أو مسلماً أو نصرانياً أو أياً كان. إن الله لم يورث الأنبياء لا درهماً ولا ديناراً كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله ورّثهم العلم (أي الإيمان)، فمن أخذه أخذه بحظ وافر. يقول الله سبحانه وتعالى عن سيدنا إبراهيم: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"، أي أن الشيء الذي كان يطمع سيدنا إبراهيم بأن يورّثه لذريته من بعده ليست ممتلكات مادية وثروات أرضية، وإنما كان الذي يطمع أن يورثه لنسله الإمامة، يعني السير على هذا المنوال الذي أكرمه الله به. "قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" أي أن في ذريتك من سيأتوا ظالمين، وهؤلاء مطرودون، لن ينالوا عهدي ولن ينالوا حقاً من الحقوق. أي هذا نقيض ما يقوله هؤلاء اليهود.

ـ البارئ سبحانه وتعالى بوأ إبراهيم مكان البيت :" وإذ بوأنا إبراهيم مكان البيت " وأمره أن يبني في هذا المكان بنية، وهو هذا البناء الذي نراه، فقام بالعمل كل من سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل يتعاونان، أما أن نتصور أن الله أعطاه كل رقعة مشى فيها فهذا كلام لم يقله الله لا لسيدنا إبراهيم أو لغيره من الأنبياء والرسل .بل قال :" إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين" هذا قرار الله تعالى .

وإذا نقلوا شيئاً بخلاف ذلك من العهد القديم فإن كلام العهد القديم ليس وحياً من عند الله، وإنما هو افتئات من افتأتوه على ألسنتهم. وإذا كنتم حريصون على ميراث الأنبياء فميراث الأنبياء العدل، فلماذا تمزقون الميراث الحقيقي؟

ـ الحجة الثانية أنهم يقولون: لسنا أول من اقتحم فلسطين أو بيت المقدس، سبقنا إلى ذلك العرب المسلمون، ألم يقتحموا هذا المكان كما اقتحمناه؟ ألم يفعلوا في هذه الأرض ما فعلناه اليوم؟ لماذا يسمى اقتحامهم لفلسطين والقدس فتحاً، ويسمى اقتحامنا لفلسطين احتلالاً واغتصاباً؟

ـ هذه الحجة تتكرر كل يوم وهي حجة باطلة لكن ينبغي أن نناقشها حتى نعلم وحتى لا يأتي كما رأيت في كثير من الأحيان من العرب من يؤخذ بهذه الحجة!!

ـ أما الفتح الإسلامي الذي تم فقد طهر فلسطين من المستعمرين الذين هم الرومان، وكانت قبائل العرب الكثيرة في أطراف بلاد الشام مستعبدة للرومان، وكان هرقل يستعين بهذه القبائل العربية المختلفة عندما تقاتل المسلمين. وعندما دخل المسلمون فلسطين ماذا صنعوا؟ طهروا هذه العرب من المستعمرين الغرباء الأجانب عن هذه البقعة وهم الرومان، وعادت هذه البقعة لسكانها الأصليين، وهم عرب أكثرهم نصارى والقلة منهم مسلمون. هل طرد المسلمون عندما دخلوا فلسطين أهلها، أم أنهم مكّنوا الفلسطينيين في أوطانهم؟ الجواب معلوم، فقد كان الفتح الإسلامي فتح مرحمة للعرب سكان فلسطين من مسلمين ومن مسيحيين، ما انتُقص حق لواحد بشكل من الأشكال، فكنائسهم بقيت لهم، والقلة الموجودة من اليهود بقوا أعزاء في بيوتهم ومعابدهم. وكلنا يعلم أن سيدنا عمر أبى أن يصلي عندما حانت الصلاة في كنيسة القيامة بل صلى خارجها حتى لا يأتي من يزعم أن عمر صلى في داخل الكنيسة إذن فهي أرض للمسلمين.

ـ هل فعل اليهود عندما دخلوا فلسطين هذا؟ لقد كان اليهود يدخلون فلسطين قبل عام 1948، ولو أنهم عاشوا مواطنين لهم ما للآخرين، لا يطردون ولا يغتصبون ولا يسيؤون لما قام في وجههم أحد، لكنهم وضعوا خطة وتآمروا واستعانوا ببريطانيا وبعد ذلك بأمريكا، وبعد ذلك أعطاهم بلفور الوعد الذي وعد، وقرروا جعل هذه البقعة ملكاً لهم من دون سائر الناس بحجة أن الله ورّثهم هذه الأرض، وأنهم هم ملاكها وأن غيرهم عبارة عن رعاع، بل كتبهم تنص على أسوأ من هذا التعبير.

ـ بالعودة للفتح الإسلامي، هل كان هذا الفتح طائفياً طرد ما عدا المسلمين من فلسطين؟ لا طبعاً، فالفتح الإسلامي أقر كل من كان في فلسطين، في فلسطين، كلهم على حاله، وكان عدد النصارى وقتها يوازي عدد المسلمين بل يزيد، ولم يجبر المسلمون أياً من النصارى أن يتحولوا عن دينهم، ولم يقل قادة المسلمين لهم إما أن تدخلوا الإسلام وإما أن ترحلوا. الذين كانوا يرون بقناعة ذاتية أن الإسلام حق يتحوّلون إلى الإسلام بدافع من حرياتهم الاعتقادية وقراراتهم الذاتية والعقلية.

والأمر استمر على هذه الحالة إلى أن كانت الحروب الصليبية، وعندما جاءت فلول الصليبيين عرفوا أن فلسطين ومن حولها بلاد الشام مليئة بالنصارى، ورؤوا أنهم يشكلون قوة، فأرسلوا رسائل إلى هؤلاء النصارى في فلسطين وما حولها يقولون لهم: إما أن تقفوا إلى جانب أبناء دينكم أو أن تقفوا إلى جانب بني قومكم المسلمين. فكان الجواب: بل نقف إلى جانب بني قومنا. هذا هو الفتح الإسلامي، وهذا يدل على مدى مشاعر التآلف والود بين المسلمين والمسيحيين.

ـ هل يقاس اليوم اغتصاب اليهود لفلسطين وتشريد أهلها من بلادهم وتهديم بيوتهم أمام أنظارهم، هل يقاس هذا مع الفتح الإسلامي !؟ الفتح الإسلامي بارك لكل مواطن وطنه، بارك لكل ذي حق حقه. الفتح الإسلامي الطاهر المبارك ما ينبغي أن يدنّس بكلام قذر من هذا الذي يقال من أنه يشبه اغتصاب اليهود لفلسطين اليوم.

ـ هل تعلق هذه الحجة الثانية في ذهن واحد مهما كان مغفلاً !؟

ـ هاتان الحجتان هما اللتان يقوم ويقعد بهما العدو الصهيوني اليوم.

هل صحيح أن النكبة الفلسطينية تخص الفلسطينيين فقط؟ أم أنها تخص المسلمين كافة؟

ـ أمر آخر، يقولون أن النكبة في فلسطين نكبة إقليمية وهي تخص الفلسطينيين، فلماذا يا أيها المسلمون في بقاع الدنيا تدسّون أنوفكم فيما لا شأن لكم به؟ مع الأسف فإن هذه الفلسفة يقودها كثير من العرب المسلمين اليوم، وهم الذين يرفعون لواء العِلمانية، يلحّون وبدون خجل وبدون حياء على أن مشكلة فلسطين ينبغي أن تعالج عن طريق الفلسطينيين فقط، ذلك لأنها مشكلة إقليمية وما ينبغي أن نجعل للإسلام دوراً فيها. هل هذا الكلام يمكن أن ينطلي على ذهن أي عاقل؟ قلت ودائما أقول أن الوعي هو حصننا الأمثل اليوم، وهو الذي يجمع الشمل

ـ هذه الأرض عندما دخلت في حوزة المسلمين، أصبح اسمها دار إسلام، وعندما يأتي من يريد أن يدنس هذه الدار وأن يقتطع منها أصغر قطعة فإن على المسلمين جميعاً وهم جنود لدار الإسلام مشرّقة كانت أو مغرّبة أن يبذلوا كل ما يملكون من أجل إعادة هذه الدار إلى حوزة الإسلام والمسلمين.

ـ هذه البقة لما استلبت فإنها لم تستلب من الفلسطينيين فقط بل من العالم الإسلامي كله، لأن هذه البقة تسمى دار إسلام، إذن يجب على المسلمين كلهم أن ينهضوا نهضة رجل واحد.

ـ ماذا يقول هؤلاء العلمانيون الذين يدافعون عن إسرائيل ووجهة نظرها؟ يقولون: إسرائيل ترفع لواء العلمانية، وزعماؤها الذين طبخوا هذه المؤامرة وأوجدوا إسرائيل كدولة فوق هذه الأرض، كلهم

علمانيون، وايزمان وهرتز وغيرهم علمانيون، فكما هم باسم العلمانية وصلوا فلا داعي لرفع لواء الإسلام لاسترجاع فلسطين. هكذا يقولون، فكيف نرد على هذا اللغو السخيف؟

ـ الرد: حاييم وايزمان، صحيح أنه لم يكن يقيم لليهودية وزناً، لكنه كان يستغل اليهودية إلى آخر قطرة، ولولا استغلاله لليهودية كمشاعر وكدين وكتلمود وكتوراة وكعهد قديم وأن هذه البقعة قال عنها إبراهيم أنها لنا وما إلى ذلك، لما نجحت الصهيونية أن تصل إلى هذا الأمر. فيا عجباً، أولئك على الرغم أنهم علمانيون وينكرون أحقية دينهم ومع ذلك جعلوا من الدين سلاحهم الأول للوصول إلى غاياتهم التي وصلوا إليها، ونحن نعلم أن ديننا حق ونعلم أنه هو الذي ينصرنا وأنه هو الذي يجمع شملنا ومع ذلك نقول: نبعده عن طريقنا!!. لماذا تستغل الصهيونية شبكة المشاعر الدينية اليهودية من أقصى العالم إلى أقصاه وتستدر كرم اليهود وعطفهم، وتأتي أنت يا أيها المسلم الذي لو عدت إلى تاريخك الإسلامي لما وجدت شيئاً يقتضي أن ترفع رأسك بسببه إلا الإسلام، تريد أن تحطم الإسلام في طريقك إلى فلسطين !؟ تريد أن تحطم مشاعر الشبكة الإسلامية في طريق الأمة الإسلامية إلى فلسطين !؟ من الذي يمكن أن يثق بهذا الكلام؟

ـ مع الأسف هذا الكلام يروّج له في أقنية جاثمة في بلادنا العربية ولكنها ذات هوية يهودية، وأنتم تعلمون ما هي القناة التي أعنيها، قناة الجزيرة هي التي بثّت هذا الكلام وروجت لهذا الأمر.

• (الدرس 32) – إجابات عن تساؤلات حول الأبحاث السابقة – ج 1

إجابة عن تساؤلات متعلقة بالدرس الماضي

ـ يقول أحد الإخوة: أنك قلت أن السلام مع إسرائيل لا يتحقق حتى تعيد إسرائيل الأراضي العربية المغتصبة، وكما نعلم جميعا أن إسرائيل قامت على أساس الاغتصاب والعدوان، وحتى يتحقق السلام معها يجب أن تعيد الحقوق إلى أصحابها، وهذا يعني زوال إسرائيل عن خريطة الوطن العربي، ومن هذا نستنتج أنه حتى يتحقق السلام مع إسرائيل يجب أن تزول، ومنه لا يمكن السلام معها بأي حال من الأحوال .

إجابة لسائل: عندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وقامت أول دولة إسلامية في ظل قيادة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل اقتضى ذلك أن تزول إسرائيل، وكانت ممثلة آنذاك في ثلاث قبائل وهي بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع ؟ أبدا .

ـ قبل أن تقوم دولة إسرائيل أي قبل عام 1948، ألم يكن في فلسطين يهود ؟ نعم كان هنالك يهود وكانوا يتعايشون مع المسلمين. لتعود الأمور كما كان عليه الحال سابقا، أما أن تستنبط أنه من شروط السلام المتمثلة في رجوع الأرض إلى أصحابها بأن تزول إسرائيل من خريطة الوجود، فهذا استنباط لا وجه له لا في المنطق ولا في الشريعة الإسلامية بشكل من الأشكال .

ـ عندما قامت الدولة الإسلامية في الأندلس، هل اقتضت تلك الدولة أن تمحق اليهودية من وجود المسلمين في الأندلس آنذاك ؟ مع العلم أن اليهودية كانت موجودة في الأندلس في ظل الدولة الإسلامية آنذاك بشكل كثيف جدا، ويضرب المثل في التاريخ بتعامل الإسلامي الإنساني مع اليهود بالأندلس.

ـ يقول سائل آخر :عرفنا من خلال دروس الجهاد، أن الجهاد القتالي هو لدرء الحرابة وأن الخروج على الحاكم الفاسق محرم عند الجمهور وطالما أن هذين الأمرين غير مجمع عليه فهذا يعني وجود مذاهب ترى غير ذلك ؟

ـ السؤال أولا يمكن أن تكون الاجتهادات الأخرى مستندة للمتطرفين من المسلمين في خروجهم على الحكام، وقتالهم غير المسلمين بسبب الكفر فقط ؟ يريد أن يقول لنعطي المتطرفين عذرا، ولنقل أنهم يعتمدون على المذهب الضعيف .

ـ أولا: ليس هنالك مذهب ضعيف، الإمام النووي نقل على شرحه للإمام مسلم الإجماع وقال: " وأخطأ أصحابنا الذين نقلوا خلاف ذلك " ثم إذا كان هنالك نقل ضعيف، لماذا تريد أن تبحث عن مستند لقول لا ثمرة له إلا الفتنة وإلا الدمار وإشاعة السوء على الإسلام قبل المسلمين. لو رجعنا إلى ما قبل ست إلى سبعة قرون ممكن بشكل أكاديمي أن نقول والله فيه خلاف الجمهور يقول أن الجهاد شرع لدرء الحرابة، والرأي الضعيف يقول القتال شرع للقضاء على الكفر ولنا أن نأخذ بالقول الثاني، ممكن للمجتهد أن يأخذ بما يراه، لكن في هذا العصر وقد تكاثرت وتكاتفت الوثائق التي تنطق بأن الغرب الأمريكي يستغل هذا الوضع من أجل ضرب المسلمين بعضهم ببعض، في هذا العصر الذي نقرأ فيه تقريرا مجلس الأمن القومي الأمريكي الذي يقول :" يجب إثارة التناقضات الدينية بين المسلمين، ويجب إثارة المسلمين بعضهم على بعض حتى تتآكل قواهم " عندما نجد هذا الكلام، ثم نجد هذه الفتنة، فإن أصحاب الرأي السابق لو عاشوا في هذا الزمن لألغوا رأيهم ولقالوا: لا يجوز إطلاقا أن نكون أسلحة بأيدي أعدائنا " لحسن الحظ أو لسوء الحظ فالوثائق مقروءة ولم تعد خفية. ومنه كيف نحاول والحالة هذه أن نجعل من أنفسنا جنودا لتنفيذ

خطط الغرب، ونقول لهم: أنتم تخططون لضرب المسلمين بعضهم مع بعض، ولإثارة التناقضات ما بين المسلمين، ونحن سنفعل كما تخططون. وها نحن يكفر بعضنا بعضا، وها نحن نتحول إلى جماعات تتناحر وتتقاتل، حتى تنفذ الخطة التي رسمتموها ضدنا .ونحن عندئذ أنكر لدين الله من أولئك الناس، فهم يخططون ونحن ننفذ .

ـ العودة إلى الحديث عن وصية سيدنا عمر ابن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص في حرب القادسية .

وصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص:

ـ بقي أن نختم وهذه الأبحاث بهذه النصيحة التي توجه بها عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وأمره أن يلقنها لجيشه كله يوم وجهه إلى القادسية، ليبقى صدى هذا الكلام في أذهاننا، ولنعلم أين نقف نحن من واجباتنا الجهادية النفسية ولا أقول التكتيكية الشكلية الظاهرة.

ـ دعونا نصغ معاً إلى أصداء هذه الوصية التي أصغى إليها جيداً جند القادسية، وجعلوا منها عنوان سلوك ومنهج حياة، فتهاوت أمامهم حصون فارس، واندكّ لهيبتهم عرش كسرى، وسجّل التاريخ لهم اسم القادسية غرة في جبين الدهر، لا تمحوه الأحقاب ولا تأتي عليه الدهور.

ـ أما اليوم فمن يدري؟ لعل بيننا أشبالاً لأولئك الجنود، يصغون من جديد إلى تلك الوصية بكل وجداناتهم، كما أصغى إليها أجدادهم من قبل، ثم يضعونها من حياتهم موضع العناية والتنفيذ، كما وضعها أجدادهم من قبل، فيعيد التاريخ نفسه، ويتحقق نصر الله لعباده التائبين الصادقين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمتي كالمطر لا يُدرى أوّلها خير، أم آخرها خير."

ـ يقول عمر، وهو يودع سعد بن أبي وقاص ومن معه، غداة توجههم إلى القادسية: "يا سعد بن أم سعد، لا يغرّنك من الله أن يقال عنك: خال رسول الله وصاحب رسول الله، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن. وليس بين الله وبين أحد نسبٌ إلا بطاعته، فالناس في دين الله سواء، وهم عباده، يتفاضلون عنده بالعاقبة، ويدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه. آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال. فإنّ تقوى الله أفضل العدّة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليكم من عدوكم. وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك، لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، وعدتنا ليست كعدتهم. فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة. وإن لم ننصر عليهم بفضلنا،

لن نغلبهم بقوتنا. فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون .. فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله. ولا تقولوا إن عدونا شرّ منا فلن يسلط علينا، فربّ قوم سلط الله عليهم من هو شر منهم، كما سلط الله على بني إسرائيل لما عملوا بمعاصي الله كفار المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً. وسلوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوّكم. وأسأل الله ذلك لنا ولكم. والله ولي أمرك ومن معك، وولي النصر لكم على عدوكم، والله المستعان".

ـ يقول الدكتور: لو كان الأمر إليّ، لجعلت من هذه الوصية شعاراً يوضع في مدخل كل معسكر، ولجعلت منه شعاراً يوضع بحروف متألقة وكتابة ساطعة واضحة، في كل دائرة عسكرية، بحيث كلما نظر الجنود أمامهم وهم يتنقلون من مكان إلى مكان يجدون هذه الوصية أمام أعينهم. هذه الوصية هي مفتاح النصر، علم ذلك من علم، وجهله من جهل.

ـ انتصار المسلمين في القادسية كان أعجوبة كأعجوبة انتصار المسلمين في غزوة بدر، والأمر كما قال عمر، كان عدد الفُرس أكثر بكثير وعدّتهم لا تقارن بالعدة البسيطة البدائية للمسلمين، ومع ذلك فقد دارت الدائرة على الفرس قادة الحضارة الساسانية، وانتصر الله لعباده الذين نفذوا وصية عمر رضي الله عنه، وعمر لم يأت بهذه الوصية من بنات فكره طبعاً، وإنما جاء بها من تعليمات رسول الله عليه الصلاة والسلام، ورسول الله جاء بها من عند الله سبحانه وتعالى: "إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"

ـ هاهنا وبهذه الوصية ننهي الحديث عما يجب أن نعلمه من أحكام الجهاد وآدابه في الشريعة الإسلامية لعل هذه الوصية تكون صدى دائماً في أذهاننا، تذكرنا بآداب الجهاد كلما تذكرنا الجهاد، وتذكرنا بشروط النصر كلما حدقنا بأبصارنا وحلمنا بأفكارنا بالنصر الذي يؤيدنا به الله سبحانه وتعالى.

ـ بعد الانتهاء من أبحاث الكتاب ننتقل إلى الإجابة على تساؤلات وإشكالات أرسلها بعض الإخوة للدكتور بعد صدور الطبعة الأولى منه، وسأنقلها كما هي من ملحق الكتاب الذي أرفقه مع الكتاب في الطبعات اللاحقة.

يقول بعد مقدمة مهمة: (إنها نصيحة لنا جميعا أثناء حواراتنا مع الآخرين عند مخالفتهم لنا في الرأي)

رجاء لكل عالم وباحث ومفكر إذا استشكل عليه أمرا في هذا الكتاب أو رأى أنني قد حدت وجانبت ميزان الشريعة في هذا الموضوع أن يرسل بإشكاله أو بانتقاده أو بتنبيهه، ووعدته أن أعود فأدرس انتقاده أو رأيه أو استشكاله بموضوعية ودقة، فإن رأيت أنه على حق وأنني مخطئ أعدل، وإن رأيت أنه مستشكل ويحتاج إلى بيان وشرح أشرح له الأمر.والواقع أنه جاءتني رسائل يقول الدكتور خلال فترة معينة، البعض منها فيها استشكال وسؤال،والبعض منها فيها انتقاد، والبعض منها فيها توبيخ وفيها ما يمكن أن يسمى اتهاما وتجريما ربما، قال الدكتور: أنا لن أكون آمينا إن وقفت في دراستي موضوع الجهاد عند هذا الحد، ولم أعرض على مسامعكم الإشكالات والانتقادات التي وردتني والجواب الذي قد ذكرته، والآن سوف نستعرض الإشكالات التي وصلتني أو الانتقادات على بعض من البحوث التي أصغيتم إليها وانتهينا منها الآن بحمد الله سبحانه وتعالى

1ـ استشكل بعضهم ما قررته من أن جمهور الفقهاء متفقون على أن الجهاد إنما شرع لدرء الحرابة، لا للقضاء على الكفر، بسبب كلام قرأه للإمام القرطبي في تفسيره، يفهم منه خلاف ذلك.

وأقول :إن تحقيق مذاهب الفقهاء في هذه المسألة يؤخذ من المصادر الفقهية المعتمدة .ذلك لأن المفسرين كثيراً ما يمزجون آراءهم مع النقول عن المذاهب الفقهية. ومع ذلك فقد قرر القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ.." [الممتحنة:8]، ما ذهب إليه الجمهور من أن هذه الآية محكمة، وليست منسوخة بآية السيف كما ذهب إلى ذلك الشافعية. أي فالقتال للحرابة لا لمجرد الكفر. وقرر ابن العربي –وهو مالكي– في كتابه أحكام القرآن عند قوله تعالى: "فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.." [التوبة:5] أن السنة خصصت من هذا العموم المرأة والصبي والراهب، ولا يبقى تحت هذا اللفظ العام إلا من كان محارباً أو مستعداً للحرابة والإذاية، ثم قال: وتبيّن أن المراد بالآية: اقتلوا المشركين الذين يحاربونكم (أحكام القرآن لابن العربي: 889/2).

وبوسع الأخ المستشكل إن أراد تحقيق هذا الحكم أو التأكد من أننا لم نفتئت في النقل ولا في التحقيق أن يعود إلى الموسوعات الفقهية ويتأمل بإمعان فيما قاله ابن قدامة في كتابه المغني، مطولاً في الصفحة 103 فما بعدها من الجزء التاسع، وفيما قاله ابن الهمام الحنفي في فتح القدير من الصفحة 291 فما بعدها من الجزء الرابع، وفيما قاله الإمام مالك في المدونة ص 6 فما بعدها من الجزء الثاني..على أن السائل لو تأمل بإمعان فيما أوضحناه مفصّلاً من أدلة الجمهور، وفي الفصل التمهيدي المعنون بـ (الإنسان بين الحرية والتكليف) لما تعجب أو استشكل.

2 ـ نقل بعض السائلين كلاماً لأخي الدكتور وهبة الزحيلي في كتابه (التفسير المنير)، يتنافى مع ما نقلته وقررته من أن الجمهور ذهبوا إلى أن علة الجهاد هي درء الحرابة، ويفهم منه بأن الجمهور ذهبوا إلى أن علة الجهاد هي الكفر.

وأقول للسائل: إليك ما قاله الدكتور وهبة في كتابه (آثار الحرب في الإسلام) ص 106 الطبعة الأولى: "قرر جمهور الفقهاء من مالكية وحنفية وحنابلة أن مناط القتال هو الحرابة والمقاتلة والاعتداء وليس الكفر.." أما ما ينقله من كتابه (التفسير المنير) من نقيض ذلك، فينبغي أن يوجه السؤال عن سبب هذا التناقض إليه لا إليّ.

3 ـ يستشكل أحد السائلين أن يكون الإسلام قد وصل إلى الصين وأطرافها، وفرنسا بدون قتال، ثم يستشكل أن يكون القتال هناك لدرء الحرابة.. وأقول لهذا الأخ :إن من المقرر لدى علماء التاريخ أن معظم البلاد النائية التي انتشر فيها الإسلام مثل ماليزيا و اندونيسيا والصين ومختلف بقاع جنوب شرقي آسيا، إنما دخلها الإسلام سلماً عن طريق الدعاة والمسلمين الذين ساقتهم مصالحهم التجارية إلى هناك .وكذلك المناطق التي انتشر فيها الإسلام من أوربا كالأندلس وغيرها، إنما انتشر فيها الإسلام بواسطة الدعوة السلمية التي كانت و لا تزال أقدس وأوسع قاعدة جهادية في الإسلام. وغريب من الأخ السائل أن لا يعرف هذه الحقيقة الذائعة المشهورة.

4 ـ ويقول هذا الأخ السائل ذاته: "في كتاب الجهاد ص167-168 اعتبر الدكتور الخروج على الحاكم ولو كان فاسقاً بغياً أو حرابة. فما رأيه بخروج سيدنا الحسين رضي الله عنه، وما رأيه بخروج ابن الزبير، وما رأيه بخروج ابن الأشعث ومعه سعيد بن جبير، هل هم بغاة أم محاربون ؟ وهل كان يزيد يحكم بالقانون الفرنسي ؟ أم إنه كان لا يجلد الزاني وشارب الخمر ؟ أم إنه !؟ أم إنه !؟

. وأقول في الإجابة عن هذا السؤال:

ليكن الأخ السائل على يقين أنني لم أضع نفسي مكان المجتهد في هذا الكتاب، ولم أنطلق من ذلك إلى اعتبار أن الخروج على الحاكم بغي أو صيال .وإنما نقلت قرار الفقهاء في هذا ..وكان من جملة ذلك، النص الذي نقلته عن إمام من أعلم أئمة الفقه وأصلحهم وأوثقهم وهو الإمام النووي، وهو قوله: "وأما الخروج عليهم وقتالهم -أي الحكام- فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين "من شرح النووي على صحيح مسلم 229/12.

ومن أكبر المعضلات أن لا يميز القارئ بين رأي شخصي يراه المؤلف، ونقولٍ يجمعها ويرويها من مصادرها بأمانة.

أما خروج الحسين وابن الزبير وابن عباس وغيرهم –وهم كثير– على يزيد، فليس ذلك من نوع الخروج على الحاكم الذي استقرّ له الحكم، ولم يقل أحد من الفقهاء ذلك قط.. من الثابت في الأمهات التاريخية المعروفة أن الذين خرجوا على يزيد، خرجوا عليه قبل أن تتم له البيعة الشرعية وقبل أن تستقر له الغلبة. فقد دعا الناس إلى بيعته، وكان قد دعاهم إلى بيعته أبوه قبيل وفاته، ولكن جميع أهل الحجاز وسائر أهل العراق، وجمعاً من أهل الشام، رفضوا مبايعته. وكان في مقدمتهم هؤلاء الذين ذكرت أسماءهم.

إن من المعروف أن مجابهة هؤلاء القياديين ليزيد الذي كان يطمح إلى أن يبايعوه، كانت كمجابهة علي رضي الله عنه لمعاوية من قبله. لقد كانت مقاومةً لمن يريد أن يعلو إلى حكم مشروع، ولم تكن خروجاً على إمام استقر له الحكم المشروع. وهذا شيء أوضحه العلماء لاسيما علماء العقيدة في أواخر بحوث العقيدة، ومنهم صاحب العقائد النسفية وشارحها الإمام التفتازاني. قال ابن العماد في كتابه شذرات الذهب: "والعلماء مجمعون على تصويب قتال عليّ لمخالفيه، لأنه الإمام الحق، كما نقل الاتفاق ذاته على تحسين خروج الحسين على يزيد.." [شذرات الذهب 68/1.]

وقد اتفقت كلمة المؤرخين على أن الحكم لم يستقر لا على وجه الغلبة ولا عن طريق البيعة، ليزيد، إلا بعد مقتل الحسين رضي الله عنه .إذن فخروج الحسين عليه لم يكن لاتهامه إياه بأنه يحكم بالقانون الفرنسي أو لأنه لا يجلد الزاني والشارب، ولكن لأنه –بكل بساطة– لم يكن قد أصبح بعد إماماً للمسلمين، ومن ثم فقد كان من حق أمثاله، فضلاً عمن هو خير منه أن يدعو إلى نفسه، وأن يقطع عليه السبيل.

أما خروج ابن الأشعث وأمثاله على عبد الملك بن مروان، فقد كان من نوع البغي كما قرر جمهور الفقهاء .والباغي هو الذي يعتمد في خروجه، على اجتهاد سائغ وتأويل مقبول في الجملة، خالف به اجتهاد الخليفة الذي يخرج عليه. ومن ثم فهو معذور في خروجه وغير متأثم، كما إن الإمام العدل هو الآخر غير متأثم في مقاتلته والخروج في وجهه. وقد كان لابن الأشعث تأويله السائغ واجتهاده المقبول في خروجه على الخليفة الأموي. ولعل الأخ السائل لا يعلم معنى (البغي) وضوابطه وآدابه في الفقه الإسلامي، لذا فهو يتصور أنهم ليسوا أكثر من فئة من المحاربين وقطاع الطرق، ومن ثم فهو يستعظم أن يوصف عبد الرحمن بن الأشعث بالبغي.

وليت أن شرائط البغي تنطبق على هؤلاء الذين يعلنون اليوم الخروج على حكامهم، فيوغلون في القتل والفتك والخطف، دون تفريق كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الطائع والفاجر،

ودون وجود أي مستند فقهي اجتهادي سليم يعتمدون عليه. إذن لقلنا إن لهم أسوة بعبد الرحمن بن الأشعث، الذي لم يمارس شيئاً من هذا قط.

نعم، قد يرون هم عند أنفسهم أنهم لا يمارسون بهذا أكثر من هذا البغي المشروع.. ولكن الميزان الفقهي بأيّ من اجتهاداته السائغة المقبولة لا يمكن أن يؤيدهم. ولقد ادعى الخوارج من قبل أنهم يمارسون بعملهم ضد سيدنا علي بغياً فقهياً مشروعاً، فما أيدهم في زعمهم هذا أيّ من أصحاب الاجتهادات الفقهية المقبولة والصحيحة قط.

على الباغي أن يكون قد تجاوز حدود الدراية الفقهية إلى مستوى الاجتهاد. وأنا لا أعلم إلى الآن في الإخوة الذين يمارسون هذا الهرج والمرج في الجزائر، عالماً متمرساً بفقه الشريعة الإسلامية، فضلاً عن أن يكون مجتهداً توافرت لديه شرائط الاجتهاد بحق.

أخيراً، ترى لماذا يحب الأخ السائل أن لا يقيم أي وزن للإجماع الفقهي الذي ينقله واحد من أبرز وأصلح الأئمة فيهم، ويفضل أن يعتمد بدلاً عن ذلك على ما يوحي به ضرام الفتنة، وأن يستخرج الأحكام الفقهية للناس من هرجها وصراعها ؟

5 ـ ووردني هذا السؤال من بعض قراء الكتاب: كيف يمكن أن يستمر الدعاة في دعوتهم، إذا منعهم إمام أو حاكم ذلك البلد من القيام بواجبهم؟ وما هو ردّ الدعاة على حاكم تقاعس بل منع الدعاة، فأغلق أبواب المساجد والمدارس والمعاهد في وجوههم، هل يجوز الخروج على هذا الحاكم؟

وأؤكد لهذا السائل ما قلته في كتابي هذا من أنه يجب على المسلمين –المؤهلين للدعوة علماً واستقامة وإخلاصاً– أن لا ينصاعوا لنهي الحاكم ولا لصدّه عن أعمال الدعوة السلمية إلى الله. بل عليهم إن أغلقت في وجوههم المساجد ونحوها أن يجعلوا من الساحات والميادين والحدائق أماكن تعليم ودعوة، شريطة أن تكون دعوتهم إلى الإسلام خالصة عن سائر الشوائب بعيدة عن أي قهر وإلزام. ولنعلم أن الصبر على أذية الحاكم، في هذا المجال يعدّ قمة الجهاد الذي أمر الله به والذي مارسه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما الخروج على الحاكم بسبب هذا المنع فغير جائز. وحكم هذه المسألة كحكم أمر الحاكم بفعلٍ محرم أو نهيه عن القيام بواجب؛ تجب مخالفته، ولا يجوز الخروج عليه. بشرط أن تكون الدعوة بإخلاص لله تعالى لا من أجل أغراض أخرى .

6 ـ سؤال أخر من نفس الأخ يقول: جاء في كتابك في ص 64 وما يليها أنك تجمع كل الجماعات الإسلامية في كفة واحدة وتحكم عليها نفس الحكم، تتهمهم بأنهم طلاب سلطة ، سياسيون لا إسلاميون مقاتلون لا مجاهدون .

نتابع في الدرس القادم إن شاء الله...

- **(الدرس33) – إجابات عن تساؤلات حول الأبحاث السابقة – ج 2**

خلاصة ثلاث أسئلة تتضمن ما يلي :

إسرائيل اليوم ليست مجرد مجموعات من الناس تغتصب من المسلمين حقوقا، هي دولة، وبناء على ذلك فإنها ولو أعادت لأصحاب الحقوق حقوقهم، فتظل شوكتها قائمة، ومن تما سيظل خطرها مستمرا ن ومن تما فالقياس غير وارد على حالة المسلمين مع اليهود عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ؟

الجواب: قلت سابقا أنه إذا رجعت اليهود إلى ما كانت عليه قبل عام 1948 حيث لم تكن لإسرائيل آنذاك دولة التي تقوم على أرض يملكها قادة، وهذه الأرض للمسلمين، وكل شبر أخذ إنما أخذ غصبا، وإن وجدت أراضي اشتراها اليهود من فلسطينيين فإنها لا تشكل مقومات دولة. والشيء الذي يهمنا أن ما فعلته إسرائيل يتمثل في اغتصاب حقوق شرعية وقانونية لمن كانوا في تلك الأرض، وإنما قامت دولة إسرائيل على ذلك الاغتصاب، وبزوال الاغتصاب تزول الدولة، ومنه بعودة حقوقنا فإن الدولة الإسلامية ستزدهر في فلسطين. والعاقل يطالب بالحقوق والنتيجة تأتي تبعا لذلك.

2 ـ أخ يقول عند استلام سيدنا عمر الخلافة قال :" من رأى مني فيكم اعوجاجا فليذكرني " فقام منهم بلال فقال :" لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا " فقال :" الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من إذا رأى فيَ اعوجاجا قومني بسيفه " نرجوا من سيادتكم توضيح ما سبق ؟ وما مدى ارتباطه بالخروج على الحاكم ؟

الجواب: هذه شبهة يجلجل فيها الإخوة الذين يذبحون البرآء منهم الجزائريين (عام1996)، من المفروض بمن يتنطح بمثل هذا الكلام أن يدرس شيء من الشريعة الإسلامية. هذا الحوار الذي جرى بين سيدنا عمر وفلان من الصحابة، هل هو قرءان ؟ أم هل هو سنة ؟ وهل هو إجماع فقهاء ؟ إنه ليس بشيء من ذلك أبدا، فسيدنا عمر يطلب من الناس أن يقوموه إذا اعوج، وهو ينطلق في هذا

من المسؤولية العظمى التي يشعر بها، وكلامه في هذا ليس تشريعا، وإلا فلو اعتبرنا هذا تشريعا، فتعالوا لنتساءل الأسئلة التالية :

ـ هل أخطأ عمر في حياته إذ كان خليفة يوما ما أم لم يخطئ؟ أخطأ وهو ليس بمعصوم، ومنه لماذا لم يمتشق الصحابة سيوفهم ويقتلوه ؟ مثلا أراد أن يحجم المهور ويجعل لها حدا أعلى. وهذا اعوجاج، وعندها نهضت امرأة تذكره بكلام الله سبحانه وتعالى. ولو رجعنا إلى اجتهادات عمر لرأينا أن كثير منها خالفها الصحابة، وهم في نظرهم أن عمر معوج، ومنه لماذا لم يقتلوه ؟ وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" سيكون فيكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، لا يستنون بسنتي ولا يهتدون بهدايتي، قلوبهم قلوب ذئاب في جسمان إنس " فقال له حذيفة فيما تأمرني إن أدركت ذلك ؟ قال :" تسمع وتطيع، وإن ضرب دارك وأخذ مالك " تعرض وتضرب صفحا عن كلام المشرع بأمر الله وهو رسول الله هذا وتتجاهله وربما تسير فوقه بقدمك، ثم تقف عند هذا الحوار ؟ ! كيف بأي عقل ؟! هنالك أسلوب تربوي، وهنالك مبالغات في الكلام والتحذير، مثل ما يقع بين الوالد وأبنائه. هذا الحوار عبارة عن موقف من سيدنا عمر وقد أصبح خليفة يطمئن فيه الناس أن لا يخافوا من بطشة عمر، الذي كان في الجاهلية صاحب صولة وقوة، وكان يخيف الناس ، وكان مشهورا بالقسوة ومعروفا بالغلظة، والناس يتندرون بفضاضته وغلظته. لهذا قال لناس ذلك الكلام طمأن به الناس أنه ينشد الإصلاح أكثر من أن يقود الناس إلى أوامره بالغلظة و الفضاضة. والتطبيق خير شاهد على هذا الذي نقوله .

6 ـ إن من يقرأ ص64 وما يليها من كتابك، يشعر بأنك تجمع كل الجماعات الإسلامية في كفة ميزان واحدة وتحكم عليها نفس الحكم، أنهم طلاب سياسة وطلاب سلطة لا إسلاميون، مقاتلون لا مجاهدون .

الجواب: أربع خمس إلى ست أماكن وأنا أقول وأؤكد بعض الإسلاميين، مثال: أنا قلت في ص 64 :" بوسعك أن تلاحظ لتعلم أن أكثر الدعاة الإسلاميين قد أصيب بعدوى أولئك الحزبيين" ص 165 قلت :" فهل ينطبق ما يجري اليوم على أيدي بعض الإسلاميين من نشر أسباب الذعر" في ص 176 قلت:" إن التهارج الذي يستشري اليوم بين بعض الجماعات الإسلامية والقادة الذين يمسكون بزمام الحكم .." في ص178 قلت :" إن التهارج الذي يجري اليوم في بعض الدول العربية والإسلامية بين القادة وكثير من الفئات الإسلامية ." أين التعميم الذي تقوله،بل نحن نعلم أن كثير من المسلمين لا يؤيدون هذا بل ورفعوا أصواتهم بالنكير،وهم كثرة ولله الحمد .

7 ـ سؤال خلاصته هكذا، كنت قد عرفت دار إسلام ودار كفر يقول ما هو الحكم إذن بالنسبة لبلاد الأندلس، هل يجب على المسلمين جميعا تطهيرها من المعتدين الغاصبين، وإعادتها إلى الدولة الإسلامية ؟

الجواب: قد أجبت عن هذا من خلال جوابي عن سؤال أخر، وهذا عند حديثي عن "عبد الرحمان الداخل" وقلت أنه لم يذهب إلى الأندلس مقاتلا، و بنا الله على يده الدولة الأموية، وكان رجل دعوة إلى الله ورجل سياسة التي استخدمها لما يرضي الله سبحانه وتعالى. نعم الأندلس دار إسلام وستظل كذلك إلى قيام الساعة. الإنسان لما يمشي ينظر إلى موطئ قدمه وهكذا يبني خطواته اللاحقة على الخطوات السابقة، نعم مطمحه إلى هناك بقمة الجبل لكن عينيه تنظران إلى مواطئ قدمه، والعاقل هكذا يتصور، ليكن سؤالكم عن الأشبار التي لا نستطيع إلى اليوم أن نأخذها، وأسأل عن هذه المستوطنات التي تقام يوما بعد يوم، وعن البيوت التي تهدم فوق رؤوس أصحابها. وهكذا الصحابة كانوا يشمئزون عن سؤال لو وقع كذا كيف يكون الحكم، ويقولون اسألوا عن ما يقع الآن، والصحابة يسمون " الأرأيتيين"هؤلاء الذين يقفزون فوق قدراتهم ويحلمون ويبنون عروشا على أسئلتهم الخيالية، وإياكم أن تكونوا مثلهم. وأقول لك هذه دار إسلام حكما وعلى المسلمين واجب على أعناقهم أن يعيدوا هذه الأرض إلى حظيرة الإسلام. وهذا هو الجواب. ولا فائدة تجنيها من هذا الجواب .

8 ـ يعلق بعض الإخوة على التعريف الذي أطلقته للمرتد وقلنا أن الإنسان يرتد بموجب قول أو فعل أو هزأ وسخرية، و أوضحنا ذلك كله مفصلا. ويسأل أحد الإخوة عن حكم من أمر بإفطار رمضان، أو أمر بحذف كلمات أو جمل من القرءان مثل كلمة "قل" من "قل هو الله أحد "

الجواب: هنالك حكمة يجب أن يتحلى بها الجيب عن الأسئلة. مثلا سئل مرة "الإمام الشافعي" في مجلس الخليفة عن رأي إرتأه الخليفة، وعرف الإمام أن هذا السائل يريد أن يستدرج الإمام أمام الخليفة ليوقع بينه وبين الخليفة. فقال له الإمام :" أمير المؤمنين يحكم بالحق أم بالباطل ؟ قال: بالحق. قال الإمام :" إذن لقد أجبت .

نحن نعلم من حذف "قل" ونعلم من أمر بالإفطار في رمضان، ويريد مني أن أقول فلان مرتد وفلان مرتد. لا لن يفرح ويصل هذا السائل إلى ما يريد. نقول له :" ارجع إلى ضوابط الارتداد وقواعده من أقوال وأفعال وسخرية، فإن رأيت أن إسقاط هذه القاعدة على هذين المثالين اللذين تذكرهما يقتضي بالقول بارتداد هذا الإنسان وذاك فينبغي أن تعلم بأنه مرتد ، وإذا رأيت أن القاعدة

لا تنطبق إذن ليس مرتدا. والقاعدة تقول:" كل من أنكر شيئا معلوما من الدين بضرورة فقد كفر، وكل من فعل فعلا يترجم بإنكاره لشيء معلوم من الدين بضرورة فقد كفر " فطبق هذه القاعدة على الجزئيات. وبذلك كلنا يعلم الجواب عندما نطبق هذه القاعدة.

9 ـ سؤال يقول إن الذين حملوا السلاح من جبهة الإنقاذ فئة صغيرة منها، وإن ذلك تما بمكر سياسي لهدف استعماري، ويقول ألا يعد نجاح الإسلاميين في الدورتين الانتخابيتين بمثابة بيعة للإمامة ؟

الجواب: عن الشطر الأول قال الدكتور أنا لست معنيا بأن الذين حملوا السلاح فئة صغيرة أو كبيرة أو متوسطة أو بعضهم أو كلهم، أنا لم أجري تقريرا حول الموضوع أبدا أو استطلاع، إنما يعنيني أن خطأ وقع كم هم أبطاله لا شأن لي بهم، فنتائج هذه الغلطة امتدت وينبغي أن لا نقع في هذا الخطأ مرة أخرى .

ـ وعن السؤال الثاني الجواب أن هؤلاء الذين انتخبوا بنجاح ساحق، هل انتخبوا ليكونوا أئمة أم ليكونوا رؤساء بلديات، أم انتخبوا ليكونوا أعضاء بمجلس البرلمان ؟ فلو بويعوا للإمامة فكلهم أصبحوا أئمة، وأما إذ كان قد بويعوا ليكونوا رؤساء بلديات وهذا ما وقع في الانتخاب الأول، فإذن بموجب هذا الانتخاب يصبحون كما أريد لهم، وبإشراف القائد تمت الانتخابات فليس لهم أن يكونوا قادة، وبهذا النجاح الذي تما تحت مظلة القائد ليس لكم أن تقولوا له ينبغي أن نكون في مكانك. وهذا إشارة إلى نجاح هؤلاء في الانتخابات البلدية، وقولهم بعد ذلك لن ندخل الانتخابات الثانية وهي الرئاسية حتى ينزل مسمار جحا عن الحكم ، وهو " الشاذلي بن جديد" وهو الرجل الأول الذي فتح لهم أفاق الحرية، وهو الذي وقف في وجه الجيش الذي عارض، وهو الذي أصر على أن الإسلاميين ينبغي أن يصلوا إلى الحكم، ثم يقال من قبل الناس الذين أحرج هذا الرجل نفسه في سبيلهم، ويقال عنه هذا الكلام ؟ لا الشرع يوافق على ذلك ولا المنطق ولا القانون يوافقان على ذلك. نعم إن نجحوا في المرحلة الثانية ينبغي أن تعطى لهم حقوقهم، نعم قد ظلموا. وهنا نطرق باب الإسلام فحكمه يقول، إن ظلمتم فاطلبوا حقكم من الله عز وجل، وعودوا إلى قاعدة الصفوف الشعبية دعاة إلى الله، تعلمون الناس دينهم وتحذرونهم من الانحراف، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، أي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أعطوهم مالهم، وسلوا الله مالكم" هذا هو الجواب لسائل .

10 ـ سؤال من أخ فاضل يقول فيه :" ما معنى قول "عوف ابن مالك" الذي رواه مسلم عندما سئل :" أفلا ننابزهم بالسيف؟"

الجواب: هنا النبي صلى الله عليه وسلم تحدث عن حكام منحرفين سيئين قد يأتون مع الزمن .فأجاب الرسول :"لا ما أقاموا فيكم الصلاة " ومعنى هذا القول أي لا تنابزوهم بالخروج عليهم ماداموا يقيمون فيكم شرائع الإسلام ومن أبرزها الصلاة، والإقامة تكون بالرعاية لها والإشراف عليها. لكن الإمام إذا لم يقم الصلاة ولم يتولاها بالرعاية والإشراف هنا قد زال الشرط الذي قاله رسول الله ﷺ، عندها ننابزهم بالسيف.

11 ـ سؤال عن معنى الحرابة التي أقصدها في وصفي لخروج هؤلاء المسلمين على حكامهم ؟

الجواب: قد قلت هذا بعد تعريفي للجهاد، وخروج هؤلاء على حكامهم ليس جهاد، وليس أيضا من البغي. وقلت أن هذا العمل هو نوع من الحرابة. وكلمة الحرابة من الكلمات المتشابهة، وكثيرا ما يقفز إلى الدهن أن معناها "قطاع الطرق" نعم هو نوع من الحرابة ولهم عقاب شديد. أما كلمة الحرابة التي استعملتها القصد منها، أنهم "صائلون" والصائل: هو إنسان استهدف حياتك وأنت بارئ، استهدف مالك بدون حق، أو عرضك. وحكمه أن أول ما ينبغي عليك: أن تحذر وأن تنذر، وأن تقول له أنك معتد ولسوف أدافع عن نفسي، فإياك واذهب إلى حال سبيلك. إذا لم يذهب وأقبل وعاند، فالك الحق أن أشهر السلاح في وجهه، وإذا رأيت أنه لا يتراجع فالك الحق أن تقتله. أمثال هؤلاء الخارجين على حكامهم، فهذا داخل في الصيال .

12 ـ يقول السائل: العقوبات التي رتبتها الشريعة الإسلامية على الجرائم والجنايات لا تطبق إلا بعد أن يدعن مرتكبها لشريعة الإسلامية، ويطلب السائل بيان ذلك

الجواب: يعني أنني قلت أنه لا يجوز نطالب غير المسلمين للخضوع إلى أحكام الشريعة الإسلامية، والسائل استعظم الأمر قائلا أن المسلم وغير المسلم في بلاد إسلامية ينبغي أن يطبق عليهم جميعا الحكم. فأجبته. وألخص الآن باختصار هذه المسألة الهامة: غير المسلمين في دولة إسلامية، فما موقفهم من الإسلام كعقيدة ونظام ؟ فاليهود والنصارى من أهل الكتاب وغيرهم، لا أملك أن أجبرهم على إتباع أحكام الإسلام، فلا يفتنن نصراني عن نصرانيته ولا يهودي عن يهوديته، وإن تظاهر هذا بأفعال المسلمين فلن تقبل منه. ذلك لأن فروع المتعلقة بالشريعة الإسلامية لا تقبل إلا بعد أن تقوم على أساس من العقيدة الإسلامية. أي التطبيقات الإسلامية لا تقبل من غير المسلم. وعن الدولة الإسلامية التي تطبق هذه الأحكام.

هنالك أحكام نختلف فيها مع أهل الكتاب فلا نكلفهم بها .

وهنالك أحكام نتفق نحن وأهل الكتاب فيها منها الظلم، اقتطاع الحقوق، السرقة، لا فرق بين كتابي ومسلم أن هذه الأحكام محرمة. فالقضاء الإسلامي يساوي بين المسلمين والكتابيين فيها.

هنالك أحكام فعلا نختلف نحن وإياهم فيها، مثلا موضوع رجم الزاني، موضوع الخمرة وموضوع الخنزير، لكن إذا هم طلبوا منا أن نحكم بأحكام الشريعة الإسلامية، عندها نفعل ذلك. وهنالك رأي يقول بناء على قول الله عز وجل :" فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ " أي أنت يا قاضي لك الحق، أردت أن تحكم بالإسلام فلك ذلك، وإن رأى أن في ذلك فتح لباب فتنة معهم كذلك يجوز، أي على إمام المسلمين أن يكون حكيما ويرى ما فيه مصلحة الجميع.

• (الدرس 34) – إجابات عن تساؤلات حول الأبحاث السابقة – ج 3

مواصلة الإجابة على السؤال الأخير للدرس الماضي :

هنالك ملاحظة فيما يتعلق بعمل الإنسان الذي لم يؤمن بالله عز وجل أي ليس بمسلم، لكنه يحب أن يمارس بعض القربات مثل الصيام، أو الإصغاء إلى القرءان .

1 ـ هل يثاب هذا الإنسان على أعماله السلوكية وهو غير مسلم ؟ الجواب لا يثاب، ذلك لأن هذه الأعمال السلوكية فروع جاءت نتيجة العقيدة، والفرع لا وجود له إلا مع وجود أصله. فنحن نصلي لأننا أمنا بالله وعرفنا أننا عبيدا له وهو الوحيد الذي لا شريك له، وتكاملت لدينا أركان الإيمان والإسلام، فانبثق عن ذلك الانصياع والانقياد للأوامر السلوكية التي أمرنا بها الله عز وجل، لهذا فإن صلاة الإنسان المسلم يثاب عليها وكذلك أعماله الأخرى. أما الإنسان الذي لم يؤمن بالله، أو إيمانه غير صحيح بحيث لم تتكامل لديه أركان الإيمان أو الإسلام مثل هذا لا تقبل صلاته. الفقهاء يعبرون عن هذا بعبارة كثيرا ما لا يدركها العامة من الناس، يقولون :" لا يطالب الكافر بالأعمال السلوكية في دار الدنيا " ويطلب منه ذلك إلا بعد أن يبني الأساس، أي بعد أن يؤسس العقيدة الإيمانية في كيانه. ويعاقب في يوم القيامة لعدم قيامه بتلك السلوكات الإسلامية. لمادا هكذا لم يطالب بها في دار الدنيا لأنه لم يحقق الشرط لصحتها، ألا وهو العقيدة التي هو مطالب بها، وبعد تصح سلوكاته الإسلامية.

ـ هؤلاء المشركون عندما يعيشون تحت مظلة المجتمع الإسلامي الذي تطبق فيه أحكام الشريعة الإسلامية، وعن تطبيق هؤلاء لتلك الأحكام، ننظر إليها فما كان منها مما لا يتدين به هؤلاء الكافرين كنصارى واليهود الذين يعتبرون أن شريعتهم تختلف عن شريعتنا، كزعمهم أن الخمرة ليست محرمة في شريعتهم، ولحم الخنزير ... عندها لا نلزمهم بتطبيق أمثال هذه الأحكام، وإن كن لا نصدقهم فيما يقولون عن شريعتهم. وقال الفقهاء أنه إذا مسلم حطم قارورة خمره لكافر عليه أن يدفع له ثمنها .

1ـ كثيرا ما يقال أن الإسلام يعلم التسامح مع الكتابيين ، لو تأملنا لوجدنا أن هذه الكلمة لا تنصف أهل الكتاب ولا تصور مدى حقيقة العدالة الإسلامية، وكلمة المسامحة تعني أنه يملك الكتابيون أن يأخذوا بجريرة كذا لكنه يغض الطرف عن ذلك ويسامحه، أي أن الإسلام يعلم أن يتنازل المسلمين عن حقهم وأن يغضوا الطرف عنها مسايرة للكتابيين. وهذا ليس صحيحا فيما يتعلق بحقيقة الإسلام، ولا تقل أنك تتسامح معهم، لأنك بهذا الكلام توحي بأنك تتمنن عليهم. فالشارع جل جلاله أقام موازين العدالة في الدنيا في ظل المجتمع الإسلامي، بين المسلمين وأهل الكتاب، وهذه الموازين تتجسد بأحكام معروفة، يؤخذ بها المسلمون ويثابون بها من قبل الله عز وجل، وأصلا هم إن خالفوا ذلك لعرضوا أنفسهم لعقاب الله عز وجل، وهذا لا يسمى تسامحا مع الكتابيين وإنما يعتبر الإسلام في هذا أنه يعطي لكل ذي حق حقه، ودائما الإسلام هو الحكم العدل في هذه القضايا .

2ـ أما عن الأحكام التي يتساوى فيها المسلمين مع غيرهم، منها الأحكام التي تنهى عن الظلم بأشكاله، وتلاحق الظالمين بالعقوبات. فالكتابيون يؤمنون بهذه الأحكام ولو كانوا غير مسلمين .

ـ لو أن هنالك قائمة من الأحكام التي يختلف في الأخذ بها المسلمون عن الكتابيون مثل موضوع شرب الخمر، أو لحم الخنزير ونحو ذلك، قلنا أن على رئيس الدولة وولي أمر المسلمين بأن يتركهم وما يتدينون به. لكن الموضوع الآن هو التالي: ما الحكم فيما لو طلب هؤلاء الكتابيون بأن نحكم فيهم بأحكام الشريعة الإسلامية؟ مثلا وقوع نزاع بين فئتين مسلمين وكتابيين، وطلب منا من طرفهم أن نحكم بأحكام الشريعة الإسلامية. فيما يخص هذا وجد خلاف بين الفقهاء. كثيرون الذين قالوا لولي أمر المسلمين أن يختار ما يراه مناسبا، أي هذا داخل في أحكام السياسة الشرعية وأحكام الإمامة، وليس داخل في أحكام التبليغ. ويستدلون على هذا بقول الله عز وجل :" فَإِن جَاءُوكَ

فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ " أي إن جاءوك يبتغون حكمك فيما شجر بينهم بشريعة الله عز وجل، فا على الحاكم أن ينظر وفق ما تقتضيه المصلحة .

ـ لكن جمهور من الفقهاء قالوا لا، إذا تحاكموا إلينا، وقد قبلوا بحكم الله عز وجل فواجبنا أن نحكم فيهم بحكم الله، ونحن نثاب بتطبيق حكم الله فيهم، وإن كانوا هم لا يثابون.

النتيجة التي نخلص إليها: الجهاد كلمة تطلق على معنيين اثنين:

ـ معنا عام ولد مع ولادة بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو يعني بدل الجهد بكل أنواعه في سبيل رفع كلمة الإسلام، وفي سبيل التحقق برضا الله سبحانه وتعالى، سواء كان الجهد في عرق تبدله، أو في صبر على أذى تصمد له، أو مال تنفقه، أو عبادات ترهق نفسك في تحملها ضمن حدود مشروعة. فكل جهد تبدله في سبيل مرضات الله هو من النوع الأول أي العام. وهذا النوع بوسعنا أن نتصور أنه المناخ الذي لابد منه لنوع الخاص الثاني من الجهاد.

ـ ومعنا خاص ولد عند استقرار سيدنا محمد ﷺ في المدينة المنورة، وهذا النوع هو الجهاد القتالي الذي شرعه الله تعالى، وقلنا أن هذا النوع قد شرع في المدينة المنورة لامتلاك المسلمين حقوقا لم يمتلكوها من قبل وهي الأرض التي سميت بدار إسلام، وامتلكوا النظام السلطوي، والأمة الإسلامية المتمثلة في المجتمع، والتي أعلن رسول الله ﷺ عن ولادتها في أول بند من بنود الوثيقة التي اكتتبها أصحابه :" المسلمون من يترب ومن تبعهم أمة واحدة من دون الناس"

ـ لما وجدت الدولة بدأ الأعداء يطمحون بالأرض التي أصبحت ملكا للمسلمين وبالنظام الذي هيمن على هذه الأرض، فكان لابد من أن ينافح المسلمون ويبذلوا المال والدم في سبيل المحافظة على هذه المكتسبات. أي أن الجهاد شرع درءا للعدوان على أرض وحق، ولم يشرع إلزاما بالناس للإسلام. وهذا مذهب الحنابلة والمالكية والحنفية وأحد رأيين لشافعية وأوضحنا أدلتهم في ذلك .

ـ النتيجة التي أريد الوصول إليها هي أننا اليوم وغدا وإلى قيام الساعة ومند أن بعث سيدنا رسول الله ﷺ ينبغي أن لا نفرق بين هذين المعنيين للجهاد، وطالما المسلمون كانوا يجمعون بين هذين المعنيين ويجعلون من للجهاد الأول مناخا وأساسا للجهاد الثاني فإنهم بخير، وأن الله عز وجل سينصرهم، ولكن إذا فرقوا بين هذين المعنيين للجهاد، حيث أهملوا الأول ووقفوا عند الثاني فلن يستفيدوا من جهادهم هذا أبدا.

ـ أتممت بحمد الله تعالى ملخص لسلسلة دروس الجهاد لشيخنا وأستاذنا وقرة أعيننا الدكتور سعيد رمضان البوطي رحمات الله عليه، وللأمانة فقد استعنت في ملخصي هذا بملخص لسيد أسمى نفسه سوري أصيل بالفيس وخاصة في كتابة العناوين جزاه الله خيرا. وأسأل الله قبول الأعمال. دعاؤكم الصالح بارك الله فيكم وسدد خطاكم. والسلام عليكم ورحماته تعالى وبركاته.